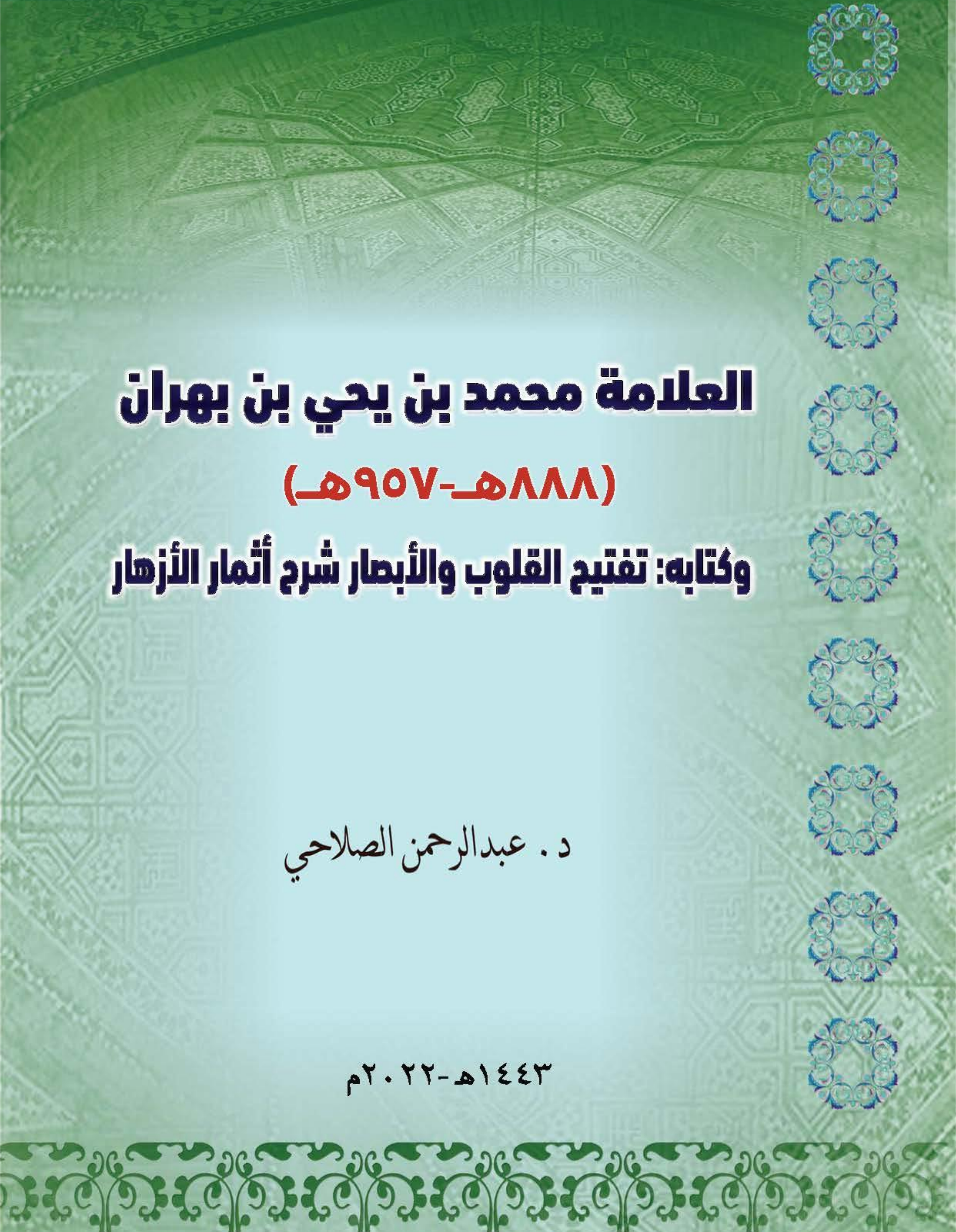


العلامة محمد بن يحي بن بهران
(٨٨٨هـ-٩٥٧هـ)
وكتابه: تفتيح القلوب والأبصار شرح أثمار الأزهار
د . عبدالرحمن الصلاحي
١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م

العلامة محمد بن يحي بن بهران

(٨٨٨هـ-٩٥٧هـ)

وكتابه: تفتيح القلوب والأبصار شرح أثمار الأزهار

كتاب غير مسبوق عن العلامة ابن بهران وكتابه، وعن عصره وشيوخه ومنهجه..كما يتضمن الكتاب دراسة موضوعية عن الفقه الزيدي وكتبه ومصادره ومصطلحاته ومنهجه ومؤلفاته والتعريف بأكثر من 70 كتاب من موارد ومصادر التفتيح.

د. عبدالرحمن الصلاحي

١٤٤٣هـ -٢٠٢٢م

إهـــــداء

إلى روح والدي رحمه الله المهندس عبدالله الصلاحي، والذي كان خير من شجعني وساندني للدراسة والتعليم. وإلى روح والدتي الكريمة رحمها الله خير والدة وأحن إنسانة في حياتي، وإلى إخواني أشقائي الكرام وأخواتي شقيقاتي الكريمات الذين كانوا قدوة لي في الجد والاجتهاد والدراسة والمثابرة.

وكذلك لأساتذتي الأعزاء وأصدقائي الأوفياء.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا... أما بعد:

فإن من خصائص الشريعة الإسلامية خلودها ودوامها إلى قيام الساعة، فهي خاتمة الشرائع السماوية، وشاملة وعامة لجميع الأمم والبشر والطبقات والأزمنة، فهي تجمع بين الثبات في الأصول الراسخة والمرونة في الفروع والتطبيقات، متضمنة أسس البقاء وعوامل التجدد والنماء.

ويمكن القول بأن الفقه الإسلامي بأصوله وفروعه هو واجهة التطبيق للنصوص والأدلة والمنهاج العملي للشريعة الجامع بين النظرية والتطبيق. كما أن الفقه الإسلامي قد تميز منذ نشأته بالحيوية والتجديد والتراكم العلمي والعملي، ولهذا فليس له مثيل في جميع الشرائع الأخرى من حيث السعة والقوة والأصالة والشمول والعموم والتكيف مع الوقائع والأحداث المتغيرة مع ثبات الأصول والأركان. فأي فقه وأي تشريع حوى الآلاف بل الملايين من المؤلفات وملأ مكتبات الدنيا، وأي فقه وأي تشريع تعاقب على

خدمته عشرات الأجيال من عباقرة الفقهاء وجهابذتهم ممن انقطعوا إليه، ووقفوا كل مواهبهم وقدراتهم في خدمته، غير الفقه الإسلامي، فليس لأمة أخرى ثروة فقهية كثروتنا، وكنوزٍ تشريعية عظيمة كما عندنا.

ومن هنا ؛ تبدو الحاجة إلى إبراز هذه الثروة ودراستها والتعريف والعناية بها.

التعريف بموضوع الكتاب:

هذا الكتاب هو دراسة عن العلامة محمد بن يحيى بن محمد بن بهران الصعدي (٨٨٨-٩٥٧هـ) رحمه الله. أحد علماء اليمن المشاهير. وعن كتابه: (تفتيح القلوب والأبصار شرح أثمار الأزهار).

وهو كتاب في الفقه على المذهب الزيدي، ويتميز بذكر الأدلة من القرآن والسنة، وذكر أقوال المذاهب الأخرى من المذاهب الفقهية كالشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية، وأحياناً المذاهب الأخرى كالظاهرية والإمامية. كما يتميز بمناقشة الأقوال وذكر أدلتها وإن كان المؤلف في الغالب يهتم وينتصر للمذهب كما هي عادة المؤلفين في الفقه المذهبي في تلك العصور. إلا أن المؤلف يتميز باطلاعه على الحديث النبوي، واهتمامه بكتب السنة كالبخاري ومسلم والسنن، ولذلك فإن مما يميز هذا الشرح اهتمامه بذكر الأحاديث النبوية في المسائل الواردة بل وذكر أدلة المخالفين، والكلام على تخريج الحديث من كتب السنة، وذكر صحتها أو ضعفها عند مناقشة المخالفين. كما سيأتي الكلام عليه تفصيلاً في

دراسة الكتاب.

وهذا الكتاب هو شرح لمتن مشهور أيضاً في الفقه الزيدي، وهو كتاب (أثمار الأزهار) للمتوكل على الله يحيى شرف الدين (٨٧٧هـ-٩٦٥هـ) أحد أئمة المذهب الزيدي والفقهاء المعتمدين فيه.

وكتاب (أثمار الأزهار) هو أيضاً اختصار وتنقيح لأهم كتاب فقهي مختصر في المذهب الزيدي وهو متن (الأزهار)، ومؤلفه أيضاً أحد أئمة المذهب الزيدي والفقهاء المعتمدين فيه وهو المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (٧٧٥هـ-٨٤٠هـ).

وكتاب (تفتيح القلوب والأبصار) يتكون من ثلاثة مجلدات كبيرة، وقد تمت دراسة هذا الكتاب وتحقيقه بجامعة صنعاء ، اشترك في ذلك أربعة من طلبة الدراسات العليا "الدكتوراه" وأنا منهم ، إلا أن الكتاب لم ينشر إلى الآن.

ثانياً: أهمية الكتاب ومكانته:

هذا الكتاب له أهمية علمية كبيرة ؛ كونه شرحاً لكتاب (أثمار الأزهار) الذي هو اختصار لكتاب (الأزهار) عمدة الفقه الزيدي وَمَدْرَسَهُمْ، ولهذا فإن هناك العشرات بل المئات من الكتب المتعلقة به من شرح واختصار وتعليق وتخريج أدلته، تعاقب على ذلك الفقهاء والمؤلفون والشراح والمحدثون والدارسون والمتعلمون. ويعرف الباحث ذلك من مجرد النظر إلى أي فهرس للمخطوطات العامة أو الخاصة في بلادنا.

وقد تميز هذا الكتاب بين أمثاله من الشروح والحواشي، بسبب مكانة المؤلف العلمية واشتغاله بالفنون والعلوم الشرعية المتعددة ومهارته في التأليف، فكما جاء كتابه حافلاً بالمسائل الفقهية، اشتمل أيضاً على الكثير من الأحاديث النبوية في المواضيع الفقهية، كما يستطرد المؤلف أحياناً فيذكر الآثار والقصص والأبيات المتصلة بالموضوع. ويجهد في الإحاطة بالمسائل الفقهية وإن لم ترد في المتن، ويعنون بالكتاب والباب والفصل والفرع والتنبيه والفائدة.

كما يتميز هذا الكتاب بكثرة نقوله عن كثير من كتب الفقه الزيدي التي لا زالت مخطوطة، وبعضها موجود وبعضها مفقود، لذلك فيمكن أن يعتمد كمصدر للفقه الزيدي والأقوال فيه ومصادر استدلالهم، التي هي في الغالب مصادر الفقه في المذاهب الأربعة وغيرها من الكتاب والسنة المتمثلة في مصادر الحديث المعتمدة كالبخاري ومسلم وكتب السنن والمسانيد والمجاميع ونحوها. وكذلك اتفاقهم في طريقة الاستدلال والمناقشة والجواب والمعارضة وغيرها من المباحث الأصولية، ونحو ذلك من الخصائص التي سوف أتطرق إليها في موضعها.

سيتضمن هذا الكتاب ثلاثة فصول كالتالي:

الفصل الأول: عصر المؤلف

المبحث الأول: الحالة السياسية

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية والاقتصادية

المبحث الثالث: الحالة العلمية

الفصل الثاني: ترجمة (المؤلف) العلامة محمد بن يحيى بن مهران

المبحث الأول: اسمه ولقبه ونشأته العلمية ومناقبه ومنزلته العلمية

المبحث الثاني: أولاده وشيوخه وتلامذته

المبحث الثالث: منهجه العقدي والفقهي

المبحث الرابع: مؤلفاته

الفصل الثالث: دراسة الكتاب

المبحث الأول: التعريف بالكتاب، ونسبته إلى مؤلفه وسبب تأليفه

المبحث الثاني: التعريف بكتابي الأثمار والأزهار ومؤلفيهما

المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب، ومصادره، ومصطلحاته

الفصل الأول: عصر المؤلف ابن بهران

لمعرفة شخصية العالم وجوانبها المختلفة، ينبغي التعرف إجمالاً على العصر الذي عاش فيه، إذ أن البيئة المحيطة بالإنسان لها أثرها البالغ في شخصية الإنسان واتجاهاته العلمية والفكرية.

وسوف أحاول الإلمام بعصر المؤلف من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: الحالة السياسية

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية والاقتصادية

المبحث الثالث: الحالة العلمية

المبحث الأول : الحالة السياسية

عاش العلامة محمد بن يحيى بن محمد بن بهران التميمي الصعدي في الفترة التاريخية (٨٨٨هـ- ٩٥٧هـ/ ١٤٨٣م-١٥٥٠م)، وفي هذه الفترة -أي في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري، والنصف الأول من القرن العاشر الهجري - كانت اليمن تمر بنزاعات سياسية وحربية بين عدة دول وسلطات وحكام، ويمكن حصر الدول التي عاصرها المؤلف في اليمن في أربع دول هي : ١- دولة الأئمة الزيدية. ٢- الدولة الطاهرية. ٣- دولة المماليك. ٤- العثمانيين الأتراك، وسأتحدث عنها بإيجاز فيما يلي:-

أولاً: الأئمة الزيدية :

المؤلف ابن بهران رحمه الله عاصر الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين المتوكل على الله (٨٧٧-٩٦٥هـ)، وحيث إن الإمام شرف الدين ولد قبله بتسع سنوات تقريباً، إضافة إلى المكانة التي كان يتبوؤها، فإنه كان من شيوخ المؤلف ابن بهران ومن أقرانه أيضاً، حيث أنهما متقاربان في السن وفي العلم.

إلا أن العلاقة بين المؤلف ابن بهران والإمام شرف الدين نشأت متأخرة، ويظهر لي

أنها لم تبدأ إلا بعد استيلاء الإمام شرف الدين على صعدة[1] ودخوله منتصراً إليها، ودخول الناس في طاعته رغبةً ورهبة سنة ٩٤٠هـ، ففي هذه السنة قعد الإمام شرف الدين بصعدة، وأسمع العلماء هناك كتابه (الأثمار)، والذي كان قد انتهى من تأليفه سنة ٩٣٨هـ. وكان من العلماء الذين حضروا هذه المجالس العلامة ابن بهران، ومن حينها نشأت صحبة وطيدة بينهما، واحترام وتقدير متبادل. حيث طلب من الإمام إجازة بكتبه ومسموعاته فأجازه.

وفي حياة المؤلف كانت اليمن تتنازعها عدة دول وتحدث صراعات وحروب بينها بسبب النزاع على مناطق النفوذ ، وأيضاً تثور بعض النزاعات والحروب في نطاق الدولة الواحدة بسبب النزاع على السلطة والملك. وفي المناطق التي كانت تخضع لنفوذ الأئمة الزيدية في صنعاء[2] وصعدة وذمار[1]وما حولهن، كانت تثور بين الأئمة نزاعات ومعارك

---

(١) **صَعْدَة** : مدينة مشهورة شمالي صنعاء وتبعد عن صنعاء بحوالي ٣٠٠كم ، وكانت تسمى في الجاهلية جُماع، وهي مدينة عامرة بزرعها وثمارها وفاكهتها، وكذلك عامرة بتاريخها وعلمائها وآثارها، وفيها قبر الإمام الهادي، وكثير من قبور أئمة الزيدية، ونواحيها خمسة سُحار، وجُماعة، وخولان، ورزاح وهمدان. انظر كتاب: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، للقاضي محمد بن أحمد الحجري (توفي ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م)، تحقيق القاضي إسماعيل الأكوع، الناشر مكتبة الإرشاد بصنعاء ، ط٤، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، صـ ٤٦٧.

(٢) **صَنْعَاء** : أم قرى اليمن كما قيل قديماً ، وعاصمتها حديثاً، وقد ذُكر أن أول من بناها بعد الطوفان سام، وكان اسمها في الجاهلية "آزال"، وقد أطال بوصفها المؤلفون كالهمداني في كتابيه الإكليل وصفة جزيرة العرب، وقد كثر الثناء على طيب مناخها وثمرها وفواكهها قديماً وحديثاً نثراً وشعراً، نسب إليها كثير من الفضلاء وأجلهم قدراً عبدالرزاق الصنعاني صاحب المصنف، وأشرف مساجدها الجامع الكبير الذي أسسه وَبْر بن يحنِّس الأنصاري الصحابي في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر المؤرخون. انظر تفصيلاً مطولاً عنها في كتاب: مجموع بلدان اليمن وقبائلها،

كبيرة، إضافة إلى الخلاف بينهم وبين الدولة الطاهرية والمملوكية والأتراك العثمانيين، حيث شهد عصر المؤلف أول دخول عسكري لليمن من قبل الأتراك العثمانيين عام (٩٤٥هـ).

ومع أن النزاعات كانت تثور بين الأئمة الزيدية في صنعاء وصعدة وذمار، إلا أنهم كانوا يتوحدون في الوقوف أمام السلطان عامر بن عبد الوهاب (سلطان الدولة الطاهرية)[٢]، الذي حاول توحيد اليمن تحت حكمه، وقد تم له ذلك فترة وجيزة من الزمن، إلا أنه بعد مقتله، ثار النزاع مجدداً ودخل الأئمة في صراعات وحروب متجددة على الإمامة، كما حصل بين الإمام شرف الدين وبعض الأشراف من معارضيه، فلم

للحجري، صـ٤٨٣.

(١) **ذَمَار** : بلدة معروفة ومدينة مشهورة، جنوب مدينة صنعاء تبعد عنها حوالي ١٠٠كم، وهي الآن مركز المحافظة، ترتفع عن سطح البحر ثمانية آلاف قدم. وقد سميت بقيل من أقيال حمير، فهي مدينة تاريخية قديمة، وهي منطقة واسعة عاصمتها المدينة المعروفة. وجامع ذمار من المساجد القديمة، عُمّر بعد جامع صنعاء وقبل مسجد الجند، وينسب إليها نفر من أهل العلم قديماً وحديثاً . وفيها مدرسة الإمام شرف الدين، وهي من أنفس مدارس ذمار حينها. انظر كتاب: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، للحجري، صـ٣٤٠.

(٢) السلطان عامر بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين، الاموي القرشي (٨١١-٨٦٩هـ): أحد مؤسسي دولة بني طاهر في اليمن. سيطر على المناطق من حيس إلى عدن، وما يلحق ذلك كتعز وإب، ثم ضم إليها ذمارا. وحاول الاستيلاء على صنعاء فهاجمها خمس مرات، فامتنعت عليه، وقتل على بابها .ترجمته في كتاب الأعلام، لخير الدين الزركلي، الناشر : دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م . ٣/ ٢٥٣. وتاريخه مفصل في كتب معاصره عبدالرحمن بن الديبع : قرة العيون، والفضل المزيد.

تستقر الأوضاع للإمام شرف الدين إلا سنة (٩٣٤هـ)[1]. وعند أن فرغ الإمام من حروبه، أمر ابنه المطهر[2] بتتبع من بقي من الطاهريين، فتمكن من دخول المقرانة[3] عام (٩٣٤هـ)، وتبعها سقوط مناطق أخرى، وحاز على كثير من أموال الطاهريين وذخائرهم وجواهرهم وأعمل فيهم السيف حتى حصرهم في عدن[4]، ولكنه تلقى هزيمة منكرةً في زبيد[5] على أيدي المماليك[6].

---

(١) انظر: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ليحيى بن الحسين (ت١٠٩٩هـ)، تحقيق: د. سعيد عاشور، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ٢/ ٦٨١ (٦٨٢).

(٢) المطهر بن الإمام شرف الدين المهدي (توفي ٩٨٠هـ)، ترجم له الإمام محمد بن علي الشوكاني ، وأثنى عليه بالشجاعة والحزم والسياسة ... لكن أشار إلى أنه كان سفاكاً للدماء، وذكر أنه بعد أن تنازل له أبوه وأعطاه ما شرطه، كاد يستولي على اليمن بأسره، وجرت بينه وبين الأتراك خطوب وحروب ، نال منهم ونالوا منه...، انظر: كتاب البدر الطالع، بعناية خليل المنصور، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م. ٢/ ١٦٨.

(٣) **المقرانة** : مدينة على بعد ثلاث ساعات من مدينة دمت المعروفة، وقد اختطها السلطان عامر بن عبدالوهاب بن طاهر، وكانت من أهم مدن الدولة الطاهرية، إلا أنها قد خربت ولم يبق منها إلا بعض البيوت المسكونة. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري، صـ ٣٦٥.

(٤) **عَدَن** : درة مدن اليمن على ساحر البحر الهندي ، ومن أعظم ثغور اليمن قديماً وحديثاً، ويحيط بها سلسلة جبال من خلفها ، وبها مخازن الماء المشهورة بالصهاريج، وكانت عدن تعرف بعدن أبين لأن أبين بن زهير بن أيمن بن الهُمَيْسع بن حمير أقام بها لأنها كانت من أعمال أبين وتمييزاً بينها وبين عدن لاعة قرية قريبة من صنعاء. وينسب إلى عدن جماعة من العلماء، وقد جاء في الحديث في علامات آخر الزمان (نار تخرج من قُعْرة عدن) قال النووي: معناه من أقصى أرض عدن، وسميت عدن من العدون وهو الإقامة لأن تُبّعاً كان يحبس بها أصحاب الجرائم، وهذه النار الخارجة من قعرة عدن واليمن هي الحاشرة للناس. انظر: شرح النووي لمسلم، طبعة دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط٢، ، ١٣٩٢هـ ، ١٨/ ٢٨. ومجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري، صـ٥٨٢ وما بعدها. ولابن مخرمة كتاب مشهور بعنوان : تاريخ ثغر عدن.

(٥) **زَبِيْد**: وادي زبيد من أشهر أودية اليمن وبه سميت مدينة زبيد، ويقال لها قديماً الحصيب ثم غلب عليها اسم الوادي.

وعند دخول العثمانيين لأول مرة إلى اليمن بقيادة سليمان باشا(٢) عام ٩٤٥هـ، والذين نزلوا ابتداء في المناطق الساحلية، لم يدخل الإمام شرف الدين في صراعٍ معهم حتى ينظر ما ينتج عن الصراع القائم بينهم وبين بقية المماليك الذين كانوا في زبيد. وتم للعثمانيين بقيادة سليمان باشا دخول زبيد والغدر بحاكمها المملوكي وقتله مع التخلص من غالبية المماليك بزبيد، ومن ثم غادر اليمن معيناً بدلاً عنه مصطفى عزت بك على المناطق التي تحت أيديهم، كما أمرهم بتحين الفرصة للتقدم نحو الداخل(٣). وقد حاول الاستيلاء على تعز(٤) لكنه هزم، فعزل بمصطفى باشا النشار سنة (٩٤٧هـ).

على مشارف البحر الأحمر، وتتبع الآن محافظة الحديدة إدارياً، وهي مدينة مشهورة باليمن أحدثت في أيام المأمون علي يد عامله الحسن بن سهل الزيادي عام ٢٠٣هـ، وينسب إليها جمع كثير من العلماء، أشهرهم الزبيدي شارح القاموس، وقد كانت حاضرة العلم والعلماء وإحدة المدن الهامة المشهورة ، وقد ألف في فضلها وتاريخها عبدالرحمن بن الديبع كتابه الفضل المزيد في تاريخ مدينة زبيد، من مراجع البحث، وانظر أيضاً: مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري، صـ ٣٨١-٣٨٢ .

(١) غاية الأماني ليحي بن الحسين، ٢/ ٦٨٤.

(٢) سليمان باشا: الوزير ، أحد قادة الأتراك الذين وجههم السلطان سليمان العثماني لدفع البرتغال عن الهند.

(٣) غاية الأماني، ٢/ ٦٨٤.

(٤) **تَعِزّ** : بلدة مشهورة من مدن اليمن تقع في سفح جبل صبر ، وترتفع عن سطح البحر ١٣٠٠متر تقريباً، وقد وصفها ابن مخرمة بأنها دمشق اليمن في الثمار والأزهار والأنهار والنزهة، وكانت محل إقامة ملوك بني رسول وبني طاهر، وقديماً كانت تعد من أعمال الجند أي تابعة لها، وبها المدارس العلمية الكثيرة والأوقاف الجليلة، لكن تعطل غالبها باستيلاء الظلمة. وقيل قديماً : تعز كرسي اليمن ** خراجها من عدن . وكانت قبل الثورة عاصمة الدولة، ثم تحولت إلى عاصمة تجارية، وعسى أن ترجع منارة عالية للعلم والتجارة كما كانت. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري، صـ ١٤٥.

وبعد استتباب الأمر للإمام شرف الدين ودخوله صنعاء وسيطرته على مناطق النفوذ الزيدي، دبَّ الخلاف بينه وبين أبنائه، والذي ابتدأ بتنامي نفوذ ابنه المطهر، واستحواذه على الأعوان والمناطق، واشتهاره بالبطش والشدة، مما جعل أباه الإمام شرف الدين يحاول سحب البساط من تحته، وعزم على اعتزال الحكم واستخلاف ابنه شمس الدين مقدماً إياه على المطهر، مما جعل المطهر يعلن صراحة الخروج على أبيه، وحاز من القوة والتمكن حتى انضم إليه غالب إخوته ضد أبيهم، وانحاز إلى حصن ثلا[1] معقل سلطانهم الأول[2] وألزم كاتبه بكتابة ثمانين كتاباً إلى القبائل في ليلة واحدة يحثهم فيها على الخروج على أبيه[3]. بل بلغ به الأمر إلى أن استعدى الوالي العثماني أويس باشا[4] على أبيه وإخوانه، ودعاه للتقدم إلى المناطق الشمالية الجبلية وبقية المناطق التي لم يكن قد وصلها، وهذا ما لم يكن -أويس باشا- يحلم به حيث وجد الفرصة سانحة لتحقيق هذا الحلم، فكانت الخطوة الأولى الاستيلاء على تعز، وحينما شعر الإمام شرف الدين بالخطر الحادق به من العثمانيين، نظراً لما يمتلكه العثمانيون من جيوش حديثة،

---

(١) **ثُلاَ** : بلدة مشهورة من نواحي صنعاء تتبع محافظة المحويت، شمال غرب صنعاء تبعد عنها حوالي ٤٠كم، وترتفع عن البحر بنحو ثلاثة آلاف متر تقريباً، سمبت بثلا بن لُبَاخة بن أقيان بن حمير الأصغر. وهي من البلدان القديمة الحميرية فيها حصن منيع وآثار قديمة ومساجد كثيرة، منها مسجد الإمام المطهر بن شرف الدين. ومن علماء ثلا المشهورين صالح بن مهدي المقبلي. وهي الآن من المعالم التاريخية . انظر: معجم بلدان اليمن وقبائلها للحجري، صـ ١٦٦-١٦٧.

(٢) انظر: غاية الأماني ليحيى بن الحسين ، ٢/ ٦٨٥.

(٣) غاية الأماني، ٢/ ٦٩٣.

(٤) **أويس باشا** : أحد ولاة الدولة العثمانية ، ولي على مصر وعلى الشام .

ولأن القبائل اليمنية من جانب آخر وجدت في هذا الخلاف متنفساً لها للاستقلال، عندها لم يجد الإمام بداً من التنازل بالإمامة لابنه المطهر، واشترط عليه إبقاء بعض الحصون لإخوانه، فانتقل المطهر إلى صنعاء وضرب السكة باسمه[1].

وفي هذا الوقت كان أويس باشا قد تقدم إلى ذمار وعندها قتل على أيدي بعض معاونيه فخلفه أزدمر باشا، فبادر بالزحف على صنعاء، وتمكن من إجلاء المطهر عنها، فدخلها عام (٩٥٤هـ) واستباحها، وقتل فيها أكثر من ألف من المتعاونين مع آل شرف الدين، ثم أمر برفع السيف بعد ثلاثة أيام وأعطاهم الأمان[2]، وقد كان ذلك والصراع في أوجه بين العثمانيين والأئمة.

ثانياً: الدولة الطاهرية:

قامت الدولة الطاهرية على أنقاض الدولة الرسولية بعد أن كان آل طاهر موالين للرسوليين وكان قيام الدولة الطاهرية سنة (٨٥٨هـ) بعد أن دخل الملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين الأموي القرشي[3] والملك الظاهر عامر بن

---

(١) غاية الأماني ليحي بن الحسين، ٢/ ٦٩٣.

(٢) انظر: غاية الأماني ليحيى بن الحسين ، ٢/ ٤٩٣.

(٣) الملك المجاهد علي بن طاهر بن معوضة (٨٠٩-٨٨٣هـ) القرشي الاموي، أبو الحسن: أحد مؤسسي دولة " بني طاهر " في اليمن اشترك مع أخيه عامر في إنشائها على أنقاض الدولة الرسولية، فامتلكا سنة ٨٥٨ جميع تهامة، من عدن إلى حرض، ثم توسعا، واقتسما بينهما البلاد،، وكان أحب إلى أهل زمانه من أخيه وأكبر سنا، فاضلا قوي الشكيمة على المفسدين، كريما، له آثار في تعز وعدن وزبيد، وهو الذي غرس النخل وقصب السكر والأرز في وادي زبيد. ترجمته في

طاهر مدينة عدن وأعلنوا قيام الدولة الطاهرية[١].

وقد كانت عاصمة هذه الدولة مدينة تعز واسطة مدن اليمن ، وامتد سلطانها لمناطق تهامة[٢] وخصوصاً زبيد التي كانت حاضرة تهامة حينها ومن أكبر مدن اليمن، وكذلك مدينة عدن وما حولها، وامتد في بعض الأزمان لذمار وصنعاء.[٣]

كانت الأوضاع السياسية الداخلية للدولة الظاهرية مستقرة استقراراً نسبياً من وقت لآخر، إلا أن أكثر ما فتَّ في عضد الدولة هو الخلافات الداخلية بين أمراء الدولة نفسها، والتي تطورت إلى اقتتال ونزاع في أكثر من منطقة وعلى مدى تاريخها[٤]. كما كانت تحاك ضدهم المؤامرات والثورات في بعض المناطق ففي سنة (٩٢١هـ) تمرد أهل

الأعلام للزركلي ٤/ ٢٩٦.

(١) انظر: بغية المستفيد من تاريخ مدينة زبيد ، وملحق به ذيله الفضل المزيد ، تأليف عبدالرحمن بن علي الديبع (ت٩٤٤هـ) ، تحقيق الدكتور يوسف شلحد ، مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء، دار العودة بيروت، ١٩٨٣م ، الطبعة: بدون. صـ١٢١-١٢٣. وقرة العيون في أخبار اليمن الميمون، لابن الديبع أيضاً، حققه وعلق عليه القاضي: محمد بن علي الأكوع. ط٢ سنة ١٣٩٦هـ.: صـ٤٠٥.

(٢) **تهامة** : منطقة معروفة في اليمن ، وهي القسم الواقع بين جبال اليمن والبحر من جهة الغرب والجنوب، يقال له غور اليمن، وتهامة واسعة من جنوب اليمن ما بين الشرق والغرب ومن غربي اليمني، فيدخل في اسم تهامة نواحي عدن وأبين ولحج وما إلى ذلك من البلاد الواقعة في جنوب اليمن، إلا أنها صارت تطلق الآن على تهامة الغربية التي أبرز مدنها المخا والخوخة وزبيد والحديدة وميدي وحرض. معجم قبائل وبلدان اليمن للحجري، صـ١٥٦.

(٣) انظر: قرة العيون لابن الديبع، الجزء الأخير من الكتاب المخصص للدولة الطاهرية، صـ٥٢٦-٥٧٦.

(٤) بغية المستفيد لابن الديبع ، صـ ١٧٩ مثلاً .

مدينة بيت الفقيه(1) على السلطان عامر بن عبد الوهاب فخرج إليهم فلما وصل مدينة الضحي(2) دخل عليه العلماء والمشائخ لطلب الشفعة والصلح، فقبل السلطان ذلك منهم وعفى عنهم، وسرعان ما عادوا للتمرد فأرسل إليهم قواده فتتبعوهم وقضوا عليهم حتى لم يفلت منهم أحد.(3) وما إن استقرت الأوضاع في تهامة حتى جهز جيشاً للقضاء على قبائل يافع(4) التي خرجت عليه بدعم من بعض الطاهريين فدخل السلطان بلاد يافع بجيوش عظيمة وجعل على مقدمة الجيش الفقيه النظاري في موكب عظيم، فانهزم أهل يافع أمام هذا الجيش وتفرقوا في الجهات.(5)

وفي محاولة لبسط نفوذه على باقي مناطق اليمن ، قام الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب بغزو مدينة ذمار حيث حاصرها، ومرَّ في طريقه برداع العرش(6) فأقام بها

---

(1) **بيت الفقيه**: من مدن تهامة ما بين زبيد والحديدة، وهي في وسط بلاد الزرانيق. تبعد عن ساحل البحر نحو ست ساعات، وعن جبال ريمة مثل ذلك. نسبت إلى الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل (ت٦٩٠هـ) الذي سكنها، وقضاء زبيد يشمل جميع بلاد الزرانيق وهي أكبر قبيلة في تهامة، وهم في الأصل قبائل المعازبة من الأشاعر كما قال الهمداني، ووقد كان لها شهرة بحسن حياكة الثياب وجودتها. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري، صـ٦٣٦.

(2) **الضِّحي**: بلدة عامرة من بلاد الجرابح العكيين من أعمال قضاء الزيدية، تقع في وادي سُردد، كانت من القرى المشهورة المقصودة لطلب العلم. انظر: مجموع بلدان اليمن للحجري، صـ٥٥٢.

(3) قرة العيون لابن الديبع : ص٤٦١.

(4) **يَافِع**: بلد متسع في الجنوب الشرقي من صنعاء، تتبع إدارياً محافظة لحج. وينسب إليها عدد من العلماء انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري صـ ٧٧٣.

(5) انظر: غاية الأماني ليحيى بن الحسين ، ٢/ ٦٢٤.

(6) **رداع العرش**: بلدة مشهورة في الجنوب الشرقي، وهي المشهورة برداع، وهي بلدة طيبة الهواء ترتفع عن سطح البحر

حتى اجتمعت عساكره ثم توجه إلى ذمار وحاصرها في أواخر ذي الحجة عام ٨٩٥هـ ثم أخذها عنوة ، وكان أهلها قد بنوا سورها وحصنوها، وكان القائم بذلك الشريف محمد بن علي الوشلي[١].. ثم دخلها الظافر وأعطى أهلها الأمان والذمة بشرط أن يخربوا ما بنوا من سورها، وعاد إلى تعز ثم إلى زبيد فدخلها ثامن صفر سنة ٨٩٦هـ.[٢]

وبعد استقرار الأوضاع للطاهريين في ذمار، توجه ركبهم إلى صنعاء في العشرين من شهر رجب سنة (٩٠٨هـ) فحاصروا صنعاء وضيقوا على أهلها إلا أنها لم تسقط في أيديهم واستطاع أن يستولي على الحصون القريبة من صنعاء، واستطاع أن يعود سالماً بعسكره وعتاده إلى مدينة ذمار.[٣]

وفي سنة (٩١٠هـ) دخل السلطان عامر بن عبد الوهاب في معارك كبيرة مع الإمام الوشلي (ت٩١٠هـ) ومن يؤازره، للسيطرة على صنعاء بعد أن فشل في دخولها في السنة

سبعة آلاف قدم. وأرضها خصبة، وفيها مساجد كثيرة منها العامرية من محاسن السلطان عامر بن عبدالوهاب. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري، صـ٣٥٩.

(١) الإمام المنصور بالله محمَّد بن علي، ويعرف بـ (السراجي) و(الوشلي): ولد عام ٨٤٥هـ، ودعا بعد دعوة الإمام الحسن بن عِز الدِّيْن في يوم ٦ من شهر القعدة عام ٩٠٠هـ بقرية القابل من ضواحي صنعاء، وقد خاض حربين مع الدولة الطاهرية؛ في الثانية منها أسره عامر بن عبد الوهاب، وسجنه، ومات في السجن مسموماً عام ٩١٠هـ بعد أن مكث في السجن ثلاثة أشهر، وعمره ٦٥ سنة، ودفن في مسجده المعروف بمسجد الوشلي بصنعاء في اليمن. ترجمته في طبقات الزيدية الكبرى، لإبراهيم بن القاسم المسمى ببلوغ المراد إلى معرفة الإسعاد، تأليف إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله (ت١١٥٢هـ)، تحقيق عبدالسلام الوجيه، ط مؤسسة الإمام زيد، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م،٢/ ٤٤٢ (٦٤٥).

(٢) قرة العيون لابن الديبع، ص٥٣٢.

(٣) قرة العيون لابن الديبع، صـ٥٥٠.

السابقة، وتمكن من هزيمتهم وأخذ المدينة.[1] بل قام بأسر الإمام الوشلي وعدد من المقاتلين وعامل الجميع بالعفو والمعاملة الحسنة[2].

وبعد هذه الصراعات التي عاشها السلطان عامر استقرت له الأوضاع نسبياً في صنعاء وتهامة ومعظم مناطق اليمن، واستمرت لمدة سنتين، ولكن سرعان ما ظهر خطر آخر لم يكن في حسبان السلطان عامر وهو قلة الموارد المالية لدولته بسبب استيلاء البرتغاليين على طريق التجارة البحرية القادمة من الهند في حين كان يظن أنه بعد دخوله لصنعاء قد أصبح الحاكم لجميع اليمن.

وقد كانت نهاية السلطان عامر بن عبدالوهاب بظاهر صنعاء عام ٩٢٣هـ في وقعة بينه وبين حملة عسكرية من المماليك، وبمقتله ضعفت الدولة الطاهرية لكن لم تنته وانحسر نفوذها إلى المناطق الوسطى والجنوبية بما في ذلك مدينة عدن.[3]

ثالثاً: المماليك:

بعد استيلاء البرتغاليين على طريق التجارة في البحر الأحمر وجد المماليك أن تدخلهم في شئون اليمن والبحر الأحمر نتيجة حتمية لحفظ مصالحهم لما رأوه من الضعف الشديد الذي عانت منه القوى اليمنية وجعلها غير قادرة على مواجهة الخطر

---

(١) قرة العيون لابن الديبع، ص٥٥٣.

(٢) بغية المستفيد لابن الديبع ، صـ ٢٨٧.

(٣) بغية المستفيد لابن الديبع ، صـ ٣٧١-٣٧١. وابن الديبع يعد مؤرخ الدولة الطاهرية.

البرتغالي المحدق بالمنطقة وبالسواحل اليمنية على وجه الخصوص، ومن جانب آخر جاء تدخلهم لحماية مصالح المماليك التجارية التي تضررت بسبب النشاط البرتغالي الذي تزايد منذ عام (٩١١هـ/ ١٥٠٥م) عندما احتلوا بعض المدن الهندية وألحقوا الضرر الكبير بأهلها.(١) وأدرك المماليك أن مصالحهم مقصودة ومستهدفة بأسر البرتغاليين التجار في الهند الذين يقومون بتزويد المنطقة بالبضائع الهندية.(٢) فهب المماليك للدفاع عن مصالحهم التجارية في الهند، فحاولوا عام (٩١٣هـ) مهاجمة المراكز البرتغالية فيها، ولكنهم فشلوا فكان الإجراء الوقائي أمامهم هو السيطرة على سواحل البحر الأحمر قبل أن يسيطر عليها البرتغاليون، فأدى إجراؤهم هذا إلى الاصطدام بالطاهريين.(٣)

وقد استغل الإمام شرف الدين ذلك، فسعى للإيقاع بين المماليك والسلطان عامر فقام بمراسلة المماليك مدعياً أن السلطان عامر بن عبد الوهاب يتعاون مع البرتغاليين ضدهم، وتأكد المماليك من صحة ذلك الادعاء عندما رفض السلطان التعاون معهم عندما طلبوا منه العون، وقيامه بمنع الطعام من الوصول إليهم.(٤) فسارع المماليك

---

(١) انظر: قرة العيون لابن الديبع، ص٤٥٣. وقد ذكر ابن الديبع في بغية المستفيد، صـ٢٧٥، في حوادث سنة ٩٠٨هـ ، وفي قرة العيون صـ ٥٥١ : أنه ظهرت فيها مراكب الإفرنج في البحر بطريق الهند وهرموز وتلك النواحي، وأخذوا نحواً من سبعة مراكب وقتلوا أهلها قتلاً ذريعاً، وأخذوا أموالهم جميعها.

(٢) انظر: قرة العيون لابن الديبع، ص٤٥٤. والفضل المزيد: ص٢٧٥.

(٣) انظر: قرة العيون لابن الديبع، ص١٤٣.

(٤) انظر: قرة العيون لابن الديبع، ص٣٠٥، ٣٠٦.

بالاستيلاء على مدينة الحديدة[1] وانتهابها،[2] ثم استولوا على زبيد سنة (٩٢٢هـ).[3]
وزحف المماليك بالسلاح الجديد –البندقية– على السلطان عامر الذي لم يجد بداً من الهرب أمام جيش المماليك حتى أخلى المقرانة، وخرج منها بأهله وذخائره، ثم التقى بهم وهم قاصدون صنعاء فقتل منهم جمعاً كبيراً، ولكنهم هزموه وقتلوا أخاه، ثم أدركوه وهو يفر قاصداً حصن ذي مرمر[4] فقتلوه.[5] وأسروا ولده وولد أخيه ثم استكملوا السيطرة على صنعاء ، إلا أن هذه الحملة أثناء رجوعها إلى مدينة زبيد تعرضت لكمين من أتباع السلطان عامر كاد أن يفنيها عن بكرة أبيها، واستنقذوا الأسرى منهم ، وتمكن من بقي منهم وهم قليل من الرجوع إلى قاعدتهم في مدينة زبيد.[6]

---

(١) **الحُدَيْدَة**: بلدة مشهورة على ساحر البحر الأحمر، وهي عاصمة المحافظة ، ومن أكبر موانئ اليمن، وفيها بيوت عامرة وحارات مقسمة ، ويطلق عليها عروس البحر الأحمر لجمالها وتوسطها. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري، صـ ٢٥٠.

(٢) انظر: غاية الأماني ليحيى بن الحسين ، ٢/ ٦٤٢.

(٣) قرة العيون لابن الديبع، ص٤٦٣.

(٤) **ذي مَرمَر**: أو ذمِرْمَر، أو بميمين مفتوحتين والراء الأولى ساكنة، حصن مشهور، من حصون ناحية بني حشيش وهو إلى الشمال الشرقي من صنعاء، على مسافة ٢٥كيلومتراً. ومن ذمرمر قاضي صنعاء محمد الإبناوي أخذ عنه الإمام أحمد، وهشام الإبناوي أحد شيوخ الشافعي انظر : معجم قبائل وبلدان اليمن للحجري، صـ٢٦١.

(٥) انظر: قرة العيون لابن الديبع، ص٤٦٨-٤٦٩.

(٦) انظر: بغية المستفيد لابن الديبع، ص٣٧١.

رابعاً : الأتراك العثمانيون:

انتقلت الخلافة إلى بني عثمان سنة ٩٢٣هـ حين فتح السلطان سليم الأول العثماني مصر. وقد كان أول غزوة للسيطرة على اليمن عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٧م، حين أرسل سليمان باشا والي مصر بأمر من السلطان العثماني لمحاربة البرتغاليين وفتح عدن وبلاد اليمن حتى لا تستولي عليها البرتغال او أي دولة اوروبية اخرى فتصير حجر عثرة في سبيل تقدم الدولة العثمانية في جهات الشرق.[1]

وقد استطاع العثمانيون السيطرة على المناطق الساحلية أول غزوهم لليمن، إلا أنهم عندما توجهوا للسيطرة على المناطق الشمالية، صنعاء تحديداً لاقوا مقاومة شديدة، إلا أنهم تمكنوا من السيطرة عليها عام (٩٥٤هـ) على يد أزمرد باشا، كما تقدم بيانه.

---

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد بك، الناشر: دار النفائس، بيروت. صـ٢٤٠.

الأئمة والسلاطين والحكام الذين عاصرهم المؤلف:

عاصر المؤلف ابن بهران عدداً من الأئمة والسلاطين والحكام الذي كان لهم نفوذ على اليمن وذلك على النحو التالي:

أولاً: الأئمة الزيدية:

- الإمام المؤيد بالله بن الناصر من سنة (٨٦٦-٩٠٨هـ).
- الإمام الهادي عز الدين الحسن من سنة (٨٧٩-٩٠٠هـ).
- الإمام الأمير أحمد بن الناصر من سنة (ت٩٠٨هـ).
- الإمام الناصر لدين الله الحسن بن عز الدين من سنة (٩٠٠-٩٢١هـ).
- الإمام المنصور بالله محمد بن علي الوشلي من سنة (٨٨٠-٩١٠هـ).
- الإمام المتوكل على الله شرف الدين يحيى من سنة (٩١٢-٩٦٥هـ).
- الإمام مجد الدين بن الحسن من سنة (٩٢٩-٩٦٢هـ).

ثانياً: سلاطين دولة بني طاهر:

- السلطان علي بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين الطاهري، وقد حكم من سنة (٨٧٠-٨٨٣هـ).
- المنصور عبد الوهاب بن داود، وقد حكم من سنة (٨٨٣-٨٩٤هـ).

- الظافر عامر بن عبد الوهاب، وقد حكم من سنة (٨٩٤-٩٢٣هـ).

ثالثاً: أمراء المماليك

- حسين الجركسي، وقد حكم من سنة (٩١٧هـ إلى سنة ٩٢٢هـ).
- برسباي سنة (٩٢٣هـ).
- الإسكندر الجركسي سنة (٩٢٣هـ).
- أحمد الناخوذة الجركسي.

رابعاً: ولاة الدولة العثمانية

- سليمان باشا حكم في الفترة (٩٤٥-٩٤٦هـ).
- مصطفى باشا النشار حكم في الفترة (٩٤٨-٩٥٢هـ).

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية والاقتصادية

غلب على هذا العصر كثرة الصراعات وقيام أكثر من دولة كما مر ذكره مما أدى إلى عدم استقرار الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للناس ومع ذلك وصلت التجارة اليمنية في هذا العصر إلى آسيا وأفريقيا[1].

والمؤلف نفسه ابن بهران رحمه الله كان من التجار اليمنيين الذين وصلوا إلى الحبشة، حيث كان يتاجر بالحرير والأقمشة، إلى جانب تحصيله للعلم.

وقد اتسمت الحياة الاجتماعية في هذا العصر بالنشاط والحركة الدائبة، وانتشار العادات والصفات الحميدة في أوساط المجتمع اليمني، كإكرام الضيف، والحرص على المروءة والشرف، ونحوها من الأخلاق الحسنة.

إلا أن المجتمع كان يصاب ببعض العلل نتيجة ثوران القبائل والحروب بين الأئمة والسلاطين، والتنازع على السلطة، فربما دخلت القبائل إلى المدن ونهبت وسلبت حتى يضمحل الأمن والاستقرار إلى جانب ما يجده الناس من انقطاع الأمطار، وكثرة الضرائب والزكوات التي قد تفرض من بعض الأئمة والولاة.

وامتازت الحياة الاجتماعية في ذلك العصر بكثرة الأعياد والمناسبات كالاحتفال

---

(١) انظر: الفضل المزيد، (ص٢٧٥).

بعيد الفطر وعيد الأضحى، فيقوم الناس بصنع الطعام وإقامة الولائم ويتصدقون على الفقراء.[1]

واعتمد أبناء هذا العصر في دخلهم المادي على ما يعود عليهم من حرفهم التي كانوا يشتغلون بها كالزراعة والصناعة والتجارة، واعتمد الجند في دخلهم على ما يعطون من ديوان الجند، كما اعتمد الأئمة الأشراف على أوقاف تصرف للضعفاء والمعوزين منهم، وربما وضعت لهم صدقة من الجامع الكبير بصنعاء[2].

أما عن اللباس في ذلك العصر. فقد كانت هناك أزياء تتميز بها شرائح المجتمع، فللقضاة زي يعرفون به، وللعلماء زي يعرفون به أيضاً، وللأمراء زي مختلف عن زي القضاة والعلماء، وكذلك للأشراف زي خاص بهم، وللنساء زي خاص بهن، فعند الخروج تستعمل المرأة في الغالب نوعاً من الملابس يسمى جوخة، وتضع على رأسها صرطوراً ثم يغطى بملاءة، ومن أزيائهن نوع من الأغطية يوضع على الرأس يسمى مصون.[3]

كما وجد في هذه الفترة أقلية دينية من اليهود كانوا يستوطنون قرى بجانب قرى

---

(١) انظر: مقدمة كتاب القواعد للإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ)، تحقيق: وليد الربيعي، رسالة ماجستير غير منشورة، صـ ٢٣.

(٢) أئمة اليمن، لزبارة، ٢/ ٢٦٦.

(٣) مقدمة كتاب القواعد لابن الوزير، صـ ٣٥.

المسلمين، وكان أكثر وجودهم في المناطق الجبلية، أما المدن الكبيرة فقد كانت لهـم أحياء خاصة.

وكانت حياة الناس تتفاوت من اليسر والعسر فحين تكثر الأمطار ويرخص السعر وتقل الأمراض تستقر أوضاع الناس المعيشية.

ولقد عمل الأغلب من الأفراد بالزراعة لاعتمادهم عليها في معيشتهم مما أدى إلى تكافل اجتماعي. كما كان الناس يعتمدون في معيشتهم إلى جانب الزراعة والتجارة على بعض الحرف الصناعية كصناعة الأقمشة والأواني والأسلحة، ومما يتقاضونه من أعمالهم مع الدولة.[1]

ومما ذكره المؤلف ابن مهران في كتابه هذا في الكلام على الزكاة، فإنه يمكن لنا أن نقول إن منطقة صعدة حيث عاش المؤلف فترات عمره الأخيرة أثناء اشتغاله بالتدريس والتأليف، أنها كانت -كما هي الآن- غنية بزراعة الفواكه والثمار والخضروات، وقد فصل المؤلف في ذكرها في كتاب الزكاة كقوله: " يجوز خرص التمر الرطب كالعنب والرطب مما يكال إذا جف، فكذا ما لا يجفف منهما ومن غيرهما بتقويمه بالنقد، وذلك كالخوخ، والمشمش، والتفاح، والرمان، والسفرجل، كما في الخضروات التي هي نحو القرع والبطيخ والقثا والقصب والبقول، وكذا ما يخرج دفعات منهما كالليم، والورد،

(١) المصدر السابق، صـ ٤٣.

ونحو الخضروات المذكورة.".[1]

أما في ذمار فقد كان يزرع البر والشعير والذرة والقضب ونحو ذلك، وفيها بساتين يسمونها المقاشم فيها البصل والكراث والفجل والجزر، وتسقى من المياه التي تنزع من الآبار للمساجد للطهارة يوم نزعها، ثم تسقى بها المقاشم ويبدل للمساجد ماء جديد.[2]

وأما في تهامة فأكثر مزارعها الذرة والدخن والجلجلان وهو السمسم، والنخيل والبطيخ والحبحب والتين الحمومي... ويصلح بتهامة التين والعمبا فلفل والليم والقثا، وفي أحوازها أشجار التمر هندي وهو الحُمر وكل ما يصلح في البلاد الحارة يصلح في تهامة.[3]

أما من ناحية العادات والتقاليد: فقد كان المجتمع في تلك الفترة قد اعتاد على أنواع من الأعياد الرسمية والحفلات والنزهات: فمن الحفلات الرسمية وصول خبر انتصار لأحد الأئمة على أعدائه، فتقام الحفلات وتوزع الأطعمة، ومن الحفلات الدينية الاحتفال بعيد الفطر والأضحى، وبيوم عاشوراء، والاحتفال بقدوم الحجيج من بيت الله الحرام فيتلقون بالمدائح والشعر.

كما كانوا يحتفلون بقدوم رمضان والتشفيع فيه، فيقوم الإمام بعمل حفلة للإفطار أو

---

(١) صـ ١١٠ من النص المحقق.

(٢) مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري، صـ ٣٤٥.

(٣) مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري، صـ ١٦٢.

للعشاء ويدعو إليها الأعيان والعلماء، وربما جرت فيها المناقشات العلمية والأدبية.[1]



(١) مقدمة كتاب القواعد لابن الوزير، صـ ٣٤ وما بعدها.

المبحث الثالث : الحالة العلمية

لقد شهد العصر الذي عاشه المؤلف نهضة في العلوم الشرعية، ووفرة في العلماء قلَّ أن يوجد مثيلها، وقد كان من أبرز معالمها اشتراط الفقه الزيدي –حينها– في الإمام أن يكون أعلم أهل وقته، وهو ما جعل أسر الأئمة تهتم بتعليم أبنائها، وتعاقب على الحكم عدد من الأئمة العلماء المجتهدين، مثل الإمام المهدي مؤلف "الأزهار"، وحفيده الإمام شرف الدين المتوكل مؤلف "الأثمار"، وكان لهم دورٌ بارزٌ في تشجيع العلم وفي مجالسة العلماء، واستضافتهم ودعوتهم، واستقدام المؤلفات والنسخ والكتب، وإنشاء المكتبات، ووقف الوقوفات على العلماء وطلاب العلم، ونشوء هجر العلم التي كان يقصدها العلماء والمتعلمون.

وإضافة إلى المكتبات التي أنشأها هؤلاء الأئمة والحكام ومن في طبقتهم، فقد تنافس العلماء بل وغيرهم ممن له فضل ومكانة اجتماعية في إنشاء المكتبات الخاصة بهم، واستنساخ النسخ، وبذل الغالي والنفيس في ذلك.

ويمكن أن نتعرف على الحالة العلمية في هذا العصر عبر عدة ملامح منها:

١- هجر العلم ومدارس التعليم:

كانت هناك عدة مراكز علمية للتدريس والتعليم، جذبت إليها العلماء والمتعلمين،

كهجرة السر[1] ، حيث ذكر العلامة المقرائي[2]: "أن هذا الوطن سكنه العلماء الفضلاء... ولقد كان يفد إليه أعيان الأعيان، وتراجم أهل تلك الأزمان، فيردون ويصدرون، وينهلون وينتفعون، وبه من شامها ويمنها[3]، ينتفعون، ومنه من تهامتها وجبالها يغترفون[4]"، "وكانت مساجد هذه الجهة من أعظم المساجد حياة وإقامة، لا سيما المسجدين المباركين، أحدهما المسجد المعروف بقرية الدار[5]، فإنه وقف فيه للقراءة والإقراء جماعة من الفضلاء والأخيار، والعلماء المبرون الأحبار"[6].

---

(١) **السِّرّ**: مدينة من نواحي بني حشيش شرق صنعاء، ووادي السر يقع بين سلستي جبال تمتد م نالغرب إلى الشرق تفصل بين منطقتي "خولان" و"نهم" باستثناء بعض الجيوب النهمية يقال لهم "نهم السر". تشابكت مع الحشيشية. ويمتد الوادي من حدود بني الحارث صعداً حتى أعالي الشرفة، وهو في طول ٣٠كم وعرض يتراوح بين ٤-١٠كم. وقد ألف في هذه المدينة وفضائلها وعلمائها العلامة المقرائي في كتابه " مكنون السر في تحرير نحارير السر". ولايزال في السر طائفة من ذرية علي بن الإمام شرف الدين يقال لهم بيت صلاح الدين في قرية النِخَيْف. انظر: مكنون السر للمقرائي. ومعجم قبائل وبلدان اليمن للحجري، صـ٢٦١.

(٢) سيأتي ترجمته في متن الدراسة في الكلام على تلاميذ المؤلف ابن بهران .

(٣) **شام اليمن**: شمالها. ويمنها: جنوبها. انظر: مكنون السر، للعلامة محمد بن حسن المقرائي ، حققه زيد بن علي الوزير، الناشر: مركز التراث والبحوث اليمني، ط١، ٢٠٠٢م. صـ ٨٣ حاشية ١٣٠.

(٤) **تهامة** : يقصد بها تهامة اليمن وهو ما صاقب حدودها الغربية كلها، ويقصد بـ"الجبال" ما يسمى بـ"اليمن الأعلى". انظر: مكنون السر صـ ٦٩ حاشية رقم ٢٠.

(٥) مسجد قرية الدار يقع غربي بيوت قرية الأبناء. وهو الآن مهمل ويعرف بمسجد الدار الأصلي. وقرية الأبناء ثمن من أثمان بني حشيش يشمل قرى ومحلات كثيرة. انظر: مكنون السر صـ ٦٩ حاشية رقم ٢١. وصـ٢٥٤.

(٦) انظر: مكنون السر صـ ٦٩. وص١٣٦.

وقد ذكر الإمام المقرائي[1] تلميذ الشارح، هجراً كثيرة للعلم منها هجرة الأبناء، وهجرة بني جرموز، وهجرة بهمان، وهجرة بيت السيد، وهجرة الحنكة، وهجرة الرحا، وهجرة شاطب، وهجرة شعب زايد، وهجرة فللة، وهجرة القضاء بني مرغم، وهجرة المغربة.

ثم ذكر مجموعة كبيرة من العلماء الأخيار الساكنين فيها والواردين إليها، حتى أن الإمام شرف الدين المتوكل (مؤلف الأثمار) وفد إلى هذه المنطقة، لما بلغه من كثرة الإحياء والطلبة للعلم وإقامتهم هنالك. وأنه اجتمع معه العلماء والفضلاء والأولياء وأضافوه، وأنه حصلت مناقشات ومراجعات في العلوم من الحديث وعلم الرجال والتواريخ وغيرها مما لا يكاد يحصل إلا مثلها من مثلهم، بل لا يكاد يجتمع مثلهم على تلك الصفات، إذ هؤلاء المجتمعون أئمة العلم وأعيان أهل الفضل والاجتهاد. وقد استمرت هذه المناقشات لما يقارب الخمس السنوات.[2]

٢- كثرة الأوقاف على العلم وأهله:

فقد كان كثير من أهل المدن والمراكز ينذرون ويقفون على هذه الهجر العلمية، ويقفون عليها وقوفات صالحة، يجعلونها للعلماء والمتعلمين. فمنها ما هو للصرف على

(١) تأتي ترجمته في تلاميذ المؤلف.

(٢) في مكنون السر، ص ١٣٦-١٣٧.

العلماء ومشايخ العلـم، ومنهـا مـا هـو للمتعلمـين، ومنهـا مـا هـو لـتعلم القـرآن العظـيم وأهله، ومنها مـا هـو لـذلك ولإصـلاح المسـاجد ومنافعهـا ومـا يزيـد في إحيائهـا ونحـو ذلك. ومدينة صنعاء بالذات عرفت بكثرة الأوقاف وتعددها وتنوعها[1].

٣- المجالس العلمية:

والتي كانت تنشأ في مختلف هجر العلم ومراكزه في صنعاء وصعدة ومـا حـولهما مـن المناطق، فقد كانت تنشأ المجالس العلمية التي لا تحوي كما هو المتبادر العالم وطلابه، بـل التي يحضرـها جمع غفـير مـن العلـماء، يقومـون بالمدارسـة، والمناقشـة، والحـوار العلمـي المثمر. وكـان بعـض العلـماء يقـوم بقـراءة كتابـه الـذي ألفـه، ثـم تـدور بعـض المناقشـات والحوارات والاعتراضات، فيقـوم هـذا العـالم بتـدوين ذلـك، وبتعـديل مؤلفـه بالحـذف والإضافة والتغيير، مما استفاده من تلك المجالس وممن حضرها من العلماء.

ومن أمثلة ذلك، مما له صلة بموضوع البحـث، تلـك المجـالس العلميـة التـي أقامهـا الإمام شرف الدين، والتي كان يقرأ فيها المؤلفون، شروحهم للأثمار، كمثل المؤلف ابـن بهران، وتلميذه وقرينه يحيى المقرائي، وغيرهم ممن قام بشرح الأثمار والذين ذكرناهم في سرد شروح الأثمار.

وقد ذكر المقرائي في كتابه (مكنون السرـ) وصـفاً لهـذه المجـالس التـي كـان يحضرـها

---

(١) انظر: مكنون السر للعلامة المقرائي، صـ ٧٢.

الجهابذة الكبار، والعلماء المجتهدون، والقضاة. وسرد منهم كثيراً بأسمائهم وصفاتهم.

ومما يتسق مع هذا الملمح، ما كان يجري من حوارات علمية عبر الكتابات والرسائل بين العلماء، والسؤالات والأجوبة والاعتراضات والفوائد والتنبيهات، حتى إن بعض هذه المراسلات صارت كتباً مفيدة، يتناقلها أهل العلم وينسخونها، ومن ذلك ما ذكر في هذه الدراسة في ترجمة مؤلف الأزهار والأثمار والشارح ابن بهران، من الرسائل والأجوبة التي صارت مؤلفات مستقلة لها مكانتها العلمية.

٣- تعظيم القبائل للعلماء[1]:

حيث كان أهل تلك الجهات يحتكمون لعلمائها وفضلائها، ويمتثلون لأوامرهم ونواهيهم، ولا يقدمون إلا تبعاً لإقدامهم ولا يحجمون إلا تبعاً لإحجامهم، وكانوا يقومون بطلبة العلم وغيره، ويعينونهم على الطاعات بالإعانات النافعات، التي تفرغ قلوبهم للعلم والطاعات ليحصل الثواب للجميع، وكان كثير منهم يخرجون زكاتين، زكاة للدولة وزكاة للطلبة والمستحقين.

وكانت القبائل في هذه المناطق مع كثرتهم واختلافهم، لهم علماء ورؤساء يقتدون بهم، ويجلونهم، ويفدون عليهم للتفقه في الدين وأعمال الدنيا والآخرة، ويصلونهم بالزكوات، ويبرونهم من خالص أموالهم بأنواع البر.

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٣.

٤- تجمع العلماء وطلاب العلم في هجر العلم ومراكز التعليم:

حيث كان يحضر الكثير من طلاب العلم لطلب العلم، وبعضهم كان يواصل مسيرته حتى يبلغ مرتبة العلماء، فيستوطن هذه الأماكن لما يرى من الإكرام والاحترام ووفور العلماء وطلاب العلم.

بل كان العلماء الذين قد بلغوا مراتب في العلم، يفدون إلى هجر العلم ومدارسه، لاستكمال علومهم وفضائلهم، ثم يستوطنونها، حتى تكاثر العلماء ونشأت بيئة علمية متوافرة.

ومن هؤلاء مثلاً العلامة (المرتضى بن القاسم) شيخ المؤلف ابن بهران، فإنه وفد إلى هجرة السر بأولاده من (هجرة فلله) لطلب العلم والنهاية فيه، وكان قد بلغ درجة الكمال.. ثم بنى له فيها داراً واكتسب هناك أموالاً، وترك وطنه وإخوته وقرابته ؛ لما رأى في هذه الأماكن من العلماء والفضلاء والأتقياء والمحاسن التي لا تكاد توجد في وطنه.[(١)]

٥- انتشار الكتب ونشاط حركة النسخ

الكتب مستودع العلم، وهي أصله وأساسه، ولهذا فقد انتشرت المكتبات العامة والخاصة، وتسابق العلماء والفضلاء في اقتناء الكتب واستنساخها، وروايتها مسندة إلى

---

(١) انظر مكنون السر للعلامة المقرائي، ص ٧٧.

مؤلفيها فيما يعرف بـ (الإجازة).

وقد ذكر المقرائي وصفاً عجيباً عن المكتبات في عصر المؤلف، منها ما ذكره عن مكتبة آل المقرائي جده وأبيه، فقد ذكر عن جده حسن بن حميد أنه حصل في مكتبته فوق الخمسمائة مجلد كبار، منها ما هو بخطه ومنها ما هو تنسيخه وتملكه وشراؤه، ولم يخلُ مجلد منها مما هو بغير خطه عن وضع شيء من الفوائد والتعاليق والحواشي والتنبيهات والاستدراكات بخط يده، بحيث أن بعض تلك الكتب وضع فيها بخط يده أكثر من المتن.[1]

وعن والده الفقيه محمد بن حسن بن حميد، أنه جمع كتب الجد، ثم أقام بهجرة السر، وألف التأليفات الكثيرة، ولم يزل يتناهى في العلوم ويحصل كتبها حتى بلغ الغاية القصوى، وقد بلغت الكتب التي نسخها بيده ما يزيد عن أربعين مجلداً، وقد كان مكباً على تحصيل الكتب العديدة، وكانت يده خفيفة في النسخ، بحيث ينسخ كتابين في نفس الوقت، فيكتب الصفحة الكبيرة من الكتاب الأول سريعاً، فإلى أن ينشف الحبر، كان ينتقل إلى كتاب آخر فيكتب صفحة، ثم يعود إلى الآخر وهكذا حتى يتم الكتابين معاً. وقد توفي وقد بدأ في كتب كثيرة لم يتمها، وهي كراريس تقارب العشرين كتاباً.[2]

ثم المؤلف المقرائي الذي جمع كتب جده ووالده وأضاف إليها، وهو نفسه ألف

---

(١) انظر: مكنون السر، صـ ١٢٠-١٢١.

(٢) انظر: مكنون السر، صـ ١١٧-١١٨.

التآليف الكثيرة والكبيرة، ومنها عدة شروح لمتن الأثمار كما سيأتي.

وذكر أيضاً مكتبة بني ذرة الحيمي، وكان عالماً فقيهاً، وأولاده محمد وعبدالرحيم وعبدالرحمن، وكانوا من أهل العلم والكمال، ولهم خزانة كتب في جميع العلوم من خطوطهم وغيرها، صارت باقية مع ذريتهم في الحيمة، وهي من أعظم خزائن كتب الزيدية ومحاسنها.[1]

---

(١) انظر: مكنون السر، صـ ١١١.

الفصل الثاني : ترجمة (المؤلف) العلامة محمد بن مهران

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ولقبه ونشأته العلمية ومناقبه ومنزلته عند العلماء

المبحث الثاني: أولاده وشيوخه وتلامذته

المبحث الثالث: منهجه العقدي والفقهي

المبحث الرابع: مؤلفاته

المبحث الأول: اسمه ولقبه ومولده ونشأته ومناقبه ومنزلته عند العلماء

اسمه:

محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد بن موسى بن أحمد ابن يونس بن حسن بن حجاج بن حسن بن إسماعيل بن إبراهيم بن حميدان بن قمران بن مالك بن عمر بن رازح بن أسعد بن يحيى بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناه بن تميم بن مر اليمانى الصعدي[1].

لقبه:

لقب المؤلف بـ(بدر الدين)[2]، كما عرف ببهران الزيدى.[3] وعرف بالصعدي، حيث

---

(١) هكذا ذكر نسبه العلامة محمد بن علي الشوكاني في البدر الطالع ٢/ ١٤٩، وذكر نحوه في مطلع البدور ومجمع البحور، لأحمد بن صالح بن أبي الرجال (١٠٢٩-١٠٩٢)، تحقيق عبدالرقيب مطهر، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة ، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. ٤/ ٣٩٨. وطبعة مركز التراث والبحوث ، بتحقيق عبدالسلام الوجيه ومحمد عزان، ٤/ ٣٧٦.

(٢) طبقات الزيدية الكبرى، المسمى ببلوغ المراد إلى معرفة الإسعاد، لإبراهيم بن القاسم،٢/ ١١٠٣. وفي النسخة الإلكترونية ٢/ ٥٢٢.

(٣) البدر الطالع ٢/ ٢٧١.

مولده ووفاته فيها.[1] واشتهر بـ: ابن بهران.

مولده و نشأته:

كانت ولادته بمدينة صعدة سنة ثمان وثمانين وثمان مائة (٨٨٨هـ/ ١٣٧٨م).[2]

وكانت بداية نشأته بمدينة بصعدة، التي كانت حاضرة العلم حينها، حيث أخذ على علمائها، في مختلف الفنون.

والعلامة ابن بهران رحمه الله، ابتدأ بطلب العلم في بلده صعدة، ولكنه بجانب ذلك امتهن التجارة، في بيع الحرير وغيره، وكان يتنقل بين المدن اليمنية بل وغيرها، حيث وصل إلى الحبشة، لكن امتهانه للتجارة لم يشغله عن طلب العلم، بل ساعده تنقله للتعرف على عدد من العلماء، وعلى سعة أفقه، وتعدد مواهبه، واشتغاله بفنون العلم المتعددة، حيث لم يقتصر على جانب واحد من العلم، بل كان موسوعة علمية. أضف إلى ذلك ما كان يتميز به من روح أدبية وعلمية أضفت عليه التأمل والنظر والاعتبار في المشاهد والأحوال والناس والخلائق، والحكمة والاعتبار والبلاغة. ولذلك فإنه كان يلتقط العلوم والفوائد في أي مدينة ينزلها ومن أي عالم يلقاه، بلا كبرٍ ولا استخفاف. وقد قالوا إنه: " كان إذا وفد قرية فيها قراءة حضر معهم، ولم يستقلّ قليلاً من العلم أينما

---

(١) المصادر السابقة، وكتاب الأعلام، لخير الدين الزركلي، ٧/ ١٤٠.

(٢) كذا ذكر أغلب من ترجم له، أما المقرائي في مكنون السر، ص٨٣ فقد ذكر أن تاريخ ولادته هي ٨٨٣م.

سقط على درة لقط معولاً على ما اشتهر، إنما السيل اجتماع النقط، ولما برع في العلوم وعاد من رحلته إلى شيخه العلامة السيد المرتضى بن قاسم نشر العلوم بمسجد الصّرحة من مدينة (صعدة)، وكان فيه أكثر وقته"[1].

وامتهانه للتجارة يدل على أنه نشأ في أسرة متوسطة من الناحية المادية، حيث أن الأسر الثرية ذات الدخول العالية، كان أبناؤها يتفرغون للعلم والتحصيل، مكتفين بما يملكونه من دخول من الزراعة أو الأملاك أو التركات. كما يدلنا ذلك على روحه العالية، حيث رفع نفسه من الحاجة للغير، أو الفاقة المذلة، والطمع لما عند الغير، ولهذا فقد ذكروا إن من سجاياه أنه كان يأكل من صنعة يده.

ولهذا قال ابن أبي الرجال: "وكان محمد بن يحيى رئيس وقته في العلوم، وجيهاً في العلماء، وذلك نتيجة الورع وعزف النفس عن الطمع".[2]

أسرته:

ولم أجد ذكراً لأحدٍ قبله من أسرته في باب العلم أو الحكم أو الوجاهة، مما يدل على أنه كما يُقال رجلٌ عصامي، وأنه نهض بنفسه في العلم وفي الكسب وفي الجاه والمكانة.

---

(١) مطلع البدور ومجمع البحور، لأحمد بن صالح بن أبي الرجال ٤/ ٣٧٨.

(٢) مطلع البدور ومجمع البحور، لأحمد بن صالح بن أبي الرجال ٤/ ٣٧٨.

وله أخ يسمى موسى بن يحيى بهران: كان شاعراً مجيداً، وله ديوان شعر مخطوط[1]، غالبه في مدح الإمام شرف الدين وأولاده، بل وقصائد قالها على لسان الإمام جواباً على بعض من راسله شعراً. وفيه قصائد في الغزل والنسيب، وأبيات متفرقة في التواشيح، ولد بصعدة، وتوفي قبل المؤلف بمدينة صنعاء بالطاعون سنة ٩٣٣هـ.[2]

منزلته عند العلماء وثناؤهم عليه:

للمؤلف مكانة علمية كبيرة، وقد أثنى عليه العلماء ثناءً عاطراً، بعبارات موجزة ومفصلة، ومدحوه بالعلم والفقه والتحقيق وحسن التأليف والأدب والفضل والورع والوجاهة.. إلى ما هنالك من عبارات الثناء، وهذا الثناء يبدأ من شيوخه وأقرانه، ويتصل بتلاميذه ومن بعده. وأكتفي ببعض هذه النقول التي تبين ذلك، وما ذكر يدل على ما أغفل:

- قال فيه إمامه وشيخه الإمام شرف الدين المتوكل: "هو الفقيه، الفاضل، المحدث، الأصولي، النحوي، المفسر، فريد دهره، وشمس عصره، وزينة مصره، عين أعيان العلماء، من شيعتنا العاملين المحيين لسنة رسول رب العالمين، مَنْ علمه ممدود

---

(١) لديَّ صورة منه، وناسخه عبدالله بن محمد بن حسين بن محمد بن علي بن يحيى الشامي، سنة ١٣١٠هـ، قال ناسخها: والنسخة التي نقلت هذه منها مبتورة من آخرها. وفيه قصيدة ذكر فيها: ومما قاله الفقيه جمال الدين محمد بن يحيى بهران صنو صاحب الديوان يمدح بها المرتضى بن قاسم... أ.هـ والصنو تطلق على الأخ الشقيق.

(٢) الأعلام للزركلي ٧/ ٣٣١.

بسبعة أبحر، ويومه في العلوم كعمر سبعة أنسر، العلم ثيابه، والأدب ملئ إهابه، ما يؤنسه في الوحشة إلا الدفاتر، ولا يصحبه في الوحدة إلا المحابر، عَلَمُ الفضل، وواسطة عقد الدهر، ونادرة الدنيا، وغرة العصر، علاَّمة الأوان، والمفسر للقرآن".[1]

- وقال شيخه المرتضى بن قاسم: "هو الفقيه، الأفضل، العلامة، بهاء المجالس، وعماد المدارس، ذو القريحة المنقادة، والفطنة الوقادة، الأديب النجيب، الآخذ من كل فن بأوفر نصيب، الرامي في كل سهم مصيب"[2].

- العلامة محمد بن أحمد مرغم، حيث قال: " وبعد فقد سألني من يجب عليَّ إسعاده وتعين الإتيان بما يحصل عنده مراده لثقتي بفضله، ومعرفتي بكماله ونبله، وهو الفقيه محمد بن يحيى أن أجيز له ما علا من مسموعاتي وعلوم العربية والأحكام الفقهية، والأصول غير الكلامية، فأجبته إلى ما طلب".[3]

- وقد أثنى عليه العلامة ابن أبي الرجال لمَّا ترجم له بما لا مزيد عليه، وذكر خلاصة ذلك بقوله: "واتفقت كلمتهم على جميل نعته، وعلى أنه وحيد زمانه ووقته، خاض في العلوم الإسلامية جميعها، وانقاد له أبيُّها المنيع مطيعاً، فله في كل عِلْمٍ عَلَمٌ منشور، ولواء

---

(١) طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٥٢٣. وذكرها أيضاً العلامة القاضي الحسين بن الناصر الشرفي (ت ١١١١هـ) في كتاب مطمح الآمال، بتحقيق عبدالله الحوثي، من مطبوعات مؤسسة الإمام زيد، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ١/ ٣٤٣.

(٢) طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٥٢٣.

(٣) طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٥٢٢.

يمضي تحته كُلُّ علَمٍ مشهور".[1]

- لقبه الشوكاني بـ "المحقق / محمد بن يحيى بهران"، وقال عنه: "أحد علماء اليمن المشاهير، وقال: وبرع في جميع الفنون وفاق أقرانه وتفرد برياسة العلم في عصره وصنف التصانيف". [2]

- أثنى عليه تلميذه العلامة يحيى المقرائي فقال: "كان رحمه الله عالم عصره وإمام دهره، وكان إليه النهاية في حل العقود، وحكماً فيصلاً في المقصود، في شامها ويمنها[3]، وشرقها وغربها، يرجع إليه نحارير العلماء، ويلتمس منه الأحكام الفقهية الحكماء، قد انتشر علمه في تلك الجهات، وارتفعت تأليفاته إلى أعلى الدرجات، قد ألف في كل فن التأليفات المفيدة الكبار المشرقة أنوارها في جميع أقطارها"[4].

وقال أيضاً[5]: " وله في جميع فنون العلوم التأليفات والموضوعات المفيدات، المنقولات والمعقولات جزاه الله عن المسلمين خيراً، ولقد أخذ بأوفر من معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية،

---

(١) مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال، ٤/ ٣٧٦.

(٢) البدر الطالع ٢/ ٤٤٠.

(٣) شام اليمن: شمالها. ويمنها: جنوبها. مكنون السر صـ ٨٣ حاشية ١٣٠.

(٤) مكنون السر صـ ٨٤.

(٥) مكنون السر، ص٨٧.

أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[1]".

وفاتــه:

توفي رحمه الله تعالى عصر يوم السبت، في ١٥ رمضان سنة ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م، في مدينة صعدة، وقبره في المقبرة التي غربي المدينة المذكورة، في موضع يسمى "العرضيين"[2].

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٥/ ٧٣ (٤٣١٠)

(٢) البدر الطالع ٢/ ٢٧١. طبقات الزيدية الكبرى ٤/ ٣٨٠. مكنون السر، ص ٨٣.

المبحث الثاني : أولاده وشيوخه وتلامذته

أولاده:

اشتهر من أولاده واحد هو/ عبد العزيز بن محمد بن يحيى بهران (٩٣٢هـ-١٠١٠هـ)، والذي سلك طريق والده في العلم والفضل، وقد لازمه ملازمة شديدة، وكان أجل تلامذته، وأعطاه إجازة بجميع مؤلفاته ومسموعاته، حيث قال والده ما لفظه: ": قد أجزت للولد الفاضل العالم العامل وجيه الدين عبد العزيز أدام الله توفيقه أن يروي عني جميع ما سمعه علي من الكتب المذكورة، وكذلك سائر تأليفاتي ومسموعاتي ومجازاتي لمعرفتي بكماله وصلاحيته لذلك وإتقانه "[1].

كما تتلمذ كثيراً على القاضي محمد بن علي الضمدي، حيث قال له مالفظه: " وبعد فكان من نعم الله علي وإحسانه المسوق إلي، أن قيض لي بالاجتماع بالولد الفاضل الكامل، العلامة العامل، ربيب حجر الفضائل، الآخذ في كل فن من العلم الشريف بحظ طائل، وجيه الدين عبد العزيز، وقد وقعت بيننا مذاكرات في كتب من العلوم العقلية والنقلية فمن ذلك (جامع الأصول) في أحاديث الرسول[2].... قرأ أيده الله

---

(١) طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٥١٤.

(٢) وذكر هنا أسماء الكتب المختلفة.

جميع ذلك قراءة فحص وتحقيق، وأحاط بكل ما اشتملت (عليه) من كل معنى دقيق، وأبدع في ذلك وأجاد، وبلغ غاية السؤل والمراد، وقد سألني الإذن في رواية ما سمعه مني، وحفظه عني، وأن أجيز له ما سوى ذلك من مسموعاتي ومستجازاتي، وقد آثرت إسعاده، وإجابته إلى ما أراده، لما هو عليه من العلم والورع والإتقان، وإن لم أكن ممن يصلح لهذا الشأن، فأجزت له أن يروي عني جميع ما ذكر وغير ذلك مما ثبت لي فيه طريق الرواية، غير مشترط عليه إلا ما هو معروف عند أهل النقل، وإن كان يجلّ عن الاشتراط لما خصه الله به من العلم والفضل. انتهى[1]

وقد بلغ عبد العزيز من العلم المرتبة الفضلى، حتى قال القاضي أحمد بن يحيى حابس: إنه كان يعرف جميع علوم الاجتهاد علم إتقان، لكنه لا يستنبط الأحكام، وهو شيخ الشيوخ في الحديث والتفسير.[2]

وقد تولَّى عبد العزيز قضاء مدينة صعدة، وعرف بالعفة والحزم والتمكن من القضاء أثناء توليه، حتى صار يلقب بـ الحاكم/ عبدالعزيز بن بهران.

وهناك إشكالٌ كبير في تاريخ مولد عبد العزيز، إذ ذكر المترجمون له إنه ولد سنة ٩٤٨هـ وتوفي سنة ١٠١٠هـ. فعلى هذا يكون عبد العزيز هذا قد ولد قبل وفاة والده بـ ٩ سنين، ويبعد أن يكون في هذا السن قد بلغ درجة من العلم تناسب ما ذكره والده في

---

(١) طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٥١٤.

(٢) مطلع البدور ٣/ ٣٣.

الإجازة التي ذكرناها هنا. ولهذا فإني أرجح أن يكون مولده هو سنة ٩٣٢هـ، حيث صرح العلامة إبراهيم بن القاسم بأنه عُمّر ٧٨سنة.[1] فيكون والده قد توفي وعمره ٢٥ سنة.

ولم أجد ذكراً لولدٍ غيره في التراجم، فمن المحتمل أنه لم يكن للمؤلف ابن بهران غيره، أو أنه لم يشتهر ويُعرف غير عبد العزيز ، والله أعلم.

شيوخ المؤلف:

تقدم فيما سبق أن العلامة ابن بهران درس على العديد من المشايخ والعلماء، لكن ذكر المترجمون للمؤلف أشهر أربعة مشايخ له وهم:

١- الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدى أحمد بن يحيى[2] (ت٨٧٧هـ) (مؤلف الأثمار) الذي شرحه المؤلف بهذا الكتاب.

٢- محمد بن أحمد بن مرغم (٨٣٦-٩٣١هـ)[3] من العلماء المعروفين برع في الفقه، وقد

---

(١) في طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٥١٦. وذكر مولده ووفاته (٩٤٨-١٠١٠) وأن عمره ٧٨ سنة وهو مشكل، إذ لو حسبنا عمره حسب ما ذكره المؤلف في تاريخ ولادته ووفاته فسيكون ٦٢ سنة. وحل الإشكال فيما ذكر أعلاه، وأن هناك خطأ في تاريخ مولده.

(٢) ترجمته في البدر الطالع ١/ ٢٦٤ (١٩٥). وطبقات الزيدية الكبرى لإبراهيم بن القاسم المؤيد بالله ٣/ ١٠٨ (٧٨١). ومآثر الأبرار لمحمد بن علي الصعدي المعروف بابن فند ٣/ ١٧٨. وأعلام المؤلفين الزيدية للوجيه.

(٣) البدر الطالع ٢/ ١١٦. وطبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٣٣٢ (٥٦٨). ومطلع البدور ٤/ ١٨٥.

وصفه أحد تلامذته أنه إمام وقته، ووحيد دهره... كان شيخاً للكبار والصغار، وحكماً فيصلاً في المسائل والمعضلات الكبار، وغيثاً في العلماء النحارير المجتهدين الأخيار[1].

وكانت إجازته للقاضي[2] محمد بن يحيى بهران سنة ست عشرة وتسعمائة.

٣- المرتضى بن القاسم بن إبراهيم المؤيدي القطابري (ت٩٣١هـ) [3]، كان إماما عظيما محققا في المنطق والمعانى والبيان وسائر علوم العربية متفقها، له في أصول الدين وفروعه اليد الطولى وفتاواه بالتحقيق مشهورة. قرأ عليه ابن بهران فترة، ثم أعطاه إجازة عامة وذلك سنة ٩١٦هـ.

٤- يحيى بن حرمل الصعدي (توفي عام ٩٤١هـ) في صعدة. كان شيخاً مشهوراً في جميع الفنون، وهو من مشايخ ابن بهران، قرأ عليه (شرح ابن عقيل). [4]

تلامذة المؤلف:

للمؤلف رحمه الله تلاميذ عدة، والذين وقفت عليهم أربعة:

١- **ولده / عبد العزيز بن محمد بن يحيى بهران** (٩٣٢هـ-١٠١٠هـ)، وهو كما ذُكر

---

(١) مكنون السر، صـ٧٦.

(٢) كذا ذكر المؤيد بالله في كتابه طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٣٣٢، ولم أعلم هل هو لقب يلقب به العلماء عند العامة (وهو ما زال سارياً في بعض المناطق في اليمن)، أو لأنه قد تولى القضاء في حياته !!

(٣) البدر الطالع ٣/ ٧٣. وطبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٣٣٢ (٥٦٨). ومطلع البدور ٤/ ١٨٥. مكنون السر، ص٧٧.

(٤) مكنون السر ص ٩

أوجههم، حيث أجازه والده المؤلف ابن بهران إجازة عامة بجميع مسموعاته ومروياته. وقد سبق الحديث عنه.

٢- **يحيى بن محمد بن حسن بن حميد بن مسعود المقرائي** بلداً الحارثي المذحجي نسباً (٩٠٨ - ٩٨٠ هـ)[١] قيل فيه: العالم بن العالم بن العالم. من علماء صعدة، أقام يدرس بها ويؤلف. وقد رحل إلى مكة ولقي الحافظ ابن حجر الهيثمي وسأله بمسائل. وقد شارك المقرائي شيخه ابن بهران بل نافسه في شرح الأثمار بعدة شروح ذكرناها في الكلام على شروح الأثمار. كما شاركه في التتلمذ ومصاحبة الإمام شرف الدين المتوكل، إلا أنه كان يوقره التوقير التام، ويقول عنه: سيدي وشيخي الفقيه المجتهد المبرز الإمام، الإمام الحبر القَمْقَام[٢] عز الدين محمد بن يحيى.[٣] وقد ترجم له ترجمة واسعة جيدة في كتابه مكنون السر.[٤]

٣- - **الفقيه بدر الدين محمد بن علي بن عمر الضمدي** (ت٩٨٨هـ)[٥] رحل إلى مكة ولقي الحافظ ابن حجر، وأجازه إجازة عامة عجيبة، قال في أولها: " قال شيخه ابن حجر

---

(١) البدر الطالع ٢/ ٣٣٠. وطبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١٣٥ (٧٩٦).

(٢) القمقام: البحر والسيد الجامع للسيادة الواسع الخير. المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرون، ٢/ ٧٦٠. نشر دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية.

(٣) مكنون السر صـ ٨٣.

(٤) صـ٨٣-٩٢.

(٥) ملحق البدر الطالع ٣/ ٦٦. وطبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٤٥٤ (٦٥٤). ومطلع البدور ٤/ ٣٧٩.

الهيثمي: هو الشيخ العلامة الهمام، والمفتي القمقام، والمتضلع بالعلوم الشرعية، والمتمكن من العلوم الآلية والأدبية والفقهية.."[1].

قال هو: "وأكثر قراءتي في التفسير والعربية والحديث والأصول الفقهية والدينية والقواعد المنطقية، وأكثر العلوم الأدبية على حي[2] سيدنا عز الدين محمد بن يحيى بهران، وقد أجاز لي أن أروي عنه كل مسموعاته ومستجازاته ومجموعاته، ما قرأته عليه ومالم أقرأ، وقد قرأت على غيره أشياء.أ.هـ[3].

وهو الذي ألح على شيخه ابن بهران بإنشاء قصيدته المشهورة اللامية على نهج قصيدة الطغرائي، وإليه أشار ابن بهران بقوله فيها:

تَمَّتْ بِرَسْمِ أَخٍ مَا زَالَ يَسْأَلُنِي ** إِنْشَاءَهَا أَبَدًا فِي الصُّبْحِ وَالطَّفَلِ[4]

٤- **الحسن بن محمد** بن علي بن سليمان بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن مسعود بن زريق

---

(١) انظرها في طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٤٥٥ (٦٥٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظرها في طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٤٥٥ (٦٥٤).

(٤) **الطَّفَل** : اختلاط ظُلْمة الليل بباقِي ضَوءِ النهار. انظر: كتاب الاشتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار النشر : مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر - الطبعة : الثالثة . صـ ٨٤. ويطلق على الوقت الذي قبل الغروب بقليل ، فإذا طَفّلت الشمس أى دَنَتْ للغروب وقَلّ ما بينها وبينه واسم تلك الساعِة الطَّفَلَ اشتق من الطِّفْل لقلته وصغره. انظر: الصحاح للجوهري، ٢/ ٣٦٤.

الزريقي، العنسي، الهيصمي، الجلجلي، الهمداني، الفقيه، العلامة. (٨٩٦ - ٩٦٠هـ)[1] وكان من الأعلام المحققين، وهو ممن أسهم في شرح الأثمار بحاشية تشبه الشرح، وسيأتي ذكرها في شروح الأثمار. وقد أجازه ابن بهران بخطه إجازة عامة من تأليف ومسموع سنة ٩٤٦هـ.

---

(١) طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٣١١ (١٩٧). أعلام المؤلفين الزيدية ١/ ٣٤٩.

المبحث الثالث: منهجه العقدي والفقهي

المؤلف ابن بهران رحمه الله زيدي المذهب عقيدةً وفقهاً وولاءً وموطناً، ومنهجه العقدي والفقهي يتمثل في المذهب الزيدي، ولذلك فإنه يحسن بنا التعريف بإيجاز بالمذهب الزيدي.

التعريف بمذهب الزيدية:

الزيدية فرقة تنسب إلى الإمام زيد بن علي[1] بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبي الحسين (٧٥هـ-١٢٢هـ) روى عن أبيه زين العابدين، وأخيه الباقر، وعروة بن الزبير. وعنه ابن أخيه جعفر بن محمد، وشعبة، وفضيل بن مرزوق، والمطلب ابن زياد، وسعيد بن خثيم، وابن أبي الزناد. وكان ذا علم وجلالة وصلاح، خرج على هشام بن عبدالملك، فاستشهد.

قال عباد الرواجني: أنبأنا عمرو بن القاسم قال: دخلت على جعفر الصادق، وعنده

---

(١) ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ٣٨٩ (١٨٧). وطبقات ابن سعد ٥ / ٣٢٥، وكتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، ١٩٩٤م. ٥/ ١٢٢، و ٦ / ١١٠، وكتاب فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق : إحسان عباس، الناشر : دار صادر – بيروت، ط١، ١٩٧٤م. ٢ / ٣٥، ٣٨. وغيرها

ناس من الرافضة. فقلت: إنهم يبرؤون من عمك زيد، فقال: برئ الله ممن تبرأ منه، كان والله أقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله، وأوصلنا للرحم، ما تركنا وفينا مثله.

ويذهب بعض الدارسين للمذهب الزيدي، أن النسبة إلى الإمام زيد بن علي رحمه الله لم تكن نسبة مذهبية، كتقليد الشافعية للإمام الشافعي أو المالكية للإمام مالك، وإنما هي نسبة اعتزاء[1]؛ ذلك أن الإمام زيد لم يؤسس مذهباً فقهياً، مع علمه وجلالته، وإنما قام بالثورة ضد المنكر، وقتال الظالمين. كما فعل جده الحسين رضي الله عنهم أجمعين. ولم يكن له فقه وفتوى يتميز بهما كأئمة المذاهب، كما لم يكن له تلاميذ منصرفون لتدوين فقهه وفتاويه وتأصيلها وكتابتها.. كما أن هناك سبباً آخر يؤيد ما ذكرنا وهو أن المذهب الزيدي من قواعده الهامة تحريم التقليد على المجتهد ومنعه إلا للعامي.

ولذلك فإن هذه النسبة لم يطلقها الإمام زيد على نفسه ولا على أتباعه ولا أطلقها أتباعه على أنفسهم في البداية، وإنما أطلقت بعد ذلك بفترات طويلة.

ولهذا قال الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى في (الملل والنحل) في تعريف الزيدية: "فالزيدية منسوبون إلى زيد بن علي عليه السلام ؛ لقولهم جميعاً بإمامته، وإن لم يكونوا على مذهبه في مسائل الفروع، وهي تخالف الشافعية والحنفية في ذلك؛ لأنهم إنما

---

(١) كتاب الزيدية الطائفة لا المذهب، لعلي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين، ١/ ٤. وأئمة أهل البيت الزيدية، لعباس محمد زيد، ١/ ٣، نشر مؤسسة الإمام زيد.

نُسبوا إلى أبي حنيفة والشافعية لمتابعتهم لهما في الفروع"[1].

فالمذهب الزيدي إنما نشأ وتأسس وقام على موضوع واحد وهو موضوع الإمامة، والإمامة هي مدار اهتمام فرق الشيعة كلها، وشغلهم الشاغل، ومحور عقائدهم السياسية، والإمام زيد بن علي أساس دعوته هو موضوع الإمامة والثورة على الظلمة.. ولم ينشأ المذهب في الفروع إلا على فترات متباعدة تقدر بقرنين تقريباً من مقتل الإمام زيد، بعد أن قام للمذهب نوعٌ من السلطة والحكم في منطقتين:

الأولى: في خراسان في الديلم والجيل[2] على يد الإمام الناصر الأطروش الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (المتوفى سنة ٣٠٤هـ).

الثانية: في جهة اليمن – في صعدة وصنعاء وما حولهما- على يد الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، (المتوفى سنة ٢٩٨هـ).

وحين قامت لهذين الإمامين دولة احتاجا إلى تأصيل وتأسيس الفروع والأحكام الفقهية وتدوين وتأصيل وتأليف للمذهب ليتميز عن المذاهب الأخرى، وكانت

---

(١) الملل والنحل للإمام المهدي ص ٢٢٦، نقلاً من كتاب الزيدية نشأتها ومعتقداتها، للقاضي إسماعيل الأكوع ، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، بدون ناشر ، ص١١.

(٢) الجيل والديلم من بلاد خراسان من خلف طبرستان ، ولوعورتها يقال أحياناً جبل الجيل وجبال الديلم، ولهذا استطاع الخارجون على دولة الخلافة الاستقلال بهذه المناطق لصعوبة السيطرة عليها. انظر: معجم البلدان ، لياقوت بن عبد الله الحموي أبي عبد الله ، الناشر : دار الفكر –بيروت. ٢/ ٢٠٢ و٣/ ١٧٩ و٣/ ٢٩٢.

المؤلفات قبل هذا مجرد أمالي ومسائل وأجزاء في مواضيع متفرقة.

وأما قبل هذا فقد كانت أسس وقواعد المذهب الزيدي تنحصر في مسألة الإمامة، وعرف المذهب بهذا الموضوع، وتعريفات العلماء للزيدية من الزيدية أنفسهم أو من غيرهم تنطلق من هذا الأساس، كما عرفها ابن النديم بالفهرست بقوله: " الزيدية الذين قالوا بإمامة زيد بن علي عليه السلام، ثم قالوا بعده بالإمامة في ولد فاطمة كائناً من كان بعد أن يكون عنده شروط الإمامة"[1]. وكذلك تعريف الشيخ المفيد بقوله: " وأما الزيدية فهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين وزيد بن علي عليهم السلام، وبإمامة كل فاطمي دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة، ومن أهل العلم والشجاعة، وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد"[2].

ولما سبق فقد استخلص بعض الباحثين "أن الزيدية عبر تاريخها الطويل، هي حركة سياسية أصلاً وابتداءً"[3].

---

(١) الملل والنحل للإمام المهدي ص ٢٢٦، نقلاً من كتاب الزيدية للقاضي إسماعيل الأكوع ص١١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الدكتور عبدالله الشماحي في مقدمته لكتاب القول الجلي في الذب عن مذهب الإمام زيد بن علي، ص١١. الطبعة الثالثة، الناشر: دار النشر والإكليل، صنعاء.

طبقات رجال المذهب الزيدي[1]:

١- طبقة المؤسسين:

- الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المتوفى شهيداً سنة ١٢٢هـ.
- الإمام القاسم بن إبراهيم الرسّي (ت٢٤٦هـ).
- الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي (ت٢٩٨هـ) (حفيد القاسم الرسي). وهو المؤسس للمذهب وللدولة الزيدية في اليمن. وإليه ينسب المذهب فيقال المذهب الهادوي ؛ لأنه في الواقع هو الذي وضع أسس وفروع المذهب في اليمن.
- الإمام الناصر لدين الله الحسن الأطروش بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت٣٠٤هـ) ؛ وهو المؤسس للمذهب وللدولة الزيدية في خراسان.

٢- طبقة المخرجين: وهم الذين استخرجوا من كلام الأئمة أو احتجاجاتهم أحكاماً لا تتعارض مع الأدلّة الشرعية ؛ ومن هؤلاء:

- العلاّمة محمد بن منصور المرادي (ت٢٩٣هـ)

(١) انظر مقدمة تحقيق كتاب أصول الأحكام الجامع لأدلة الحلال والحرام، للإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان، تحقيق عبدالله بن حمود العزي، ١/ ١٠. و كتاب (الزيدية الطائفة لا المذهب)، لعلي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين، ١/ ٤.

- العلاّمة أبو العباس أحمد بن إبراهيم المتوفى سنة ٣٥٣هـ.
- العلامة الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون الحسني (ت٤١٦هـ)
- العلامة أبوطالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسني (ت٤٢٤هـ)
- العلامة علي بن بلال الأملي مولى الإمامين المؤيد بالله و أبي طالب.

٣- **طبقة المحصِّلين**. وهم الذين اهتموا بتحصيل أقوال الأئمة وما استخرج منها ونقلوها إلى تلامذتهم بطريق الرواية أو المناولة (الإجازة) لمؤلفاتهم ؛ ومن رجال هذه الطبقة:-

- القاضي زيد بن محمد الكلاري الجيلي الملقب بحافظ أقوال العِترة وهو من أتباع الإمام المؤيد بالله السالف الذكر.
- العلامة السيد علي بن العباس بن إبراهيم الملقب براوي إجماعات أهل البيت (ت٤٣٠هـ)
- العلامة القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام البهلولي (ت٥٧٣هـ).
- العلامة القاضي الحسن بن محمد الرصاص (ت٥٨٤هـ).
- العلامة الإمام عبدالله بن حمزة (ت٦١٤هـ).

٤- **طبقة المذاكرين**: وهم الذين راجعوا أقوال من تقدمهم وفحصوها سنداً ومتناً وعرضوها على أصول المذهب وقواعده المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله فأقروا ما

توافق معها واعتبروها المذهب، وما لم يوافقها في رأيهم لم يعتبروها مذهباً للفرقة الزيدية، وكان في نظرهم رأياً خاصاً بصاحبه غير معاب عليه باعتبار أن كلّ مجتهد مصيب ؛ ومن هؤلاء:

- القاضي العلامة عبدالله بن زيد العنسي (ت٦٦٧هـ).
- القاضي العلامة محمد بن سليمان بن أبي الرجال العُمَري نسباً الصعدي موطناً (ت٧٣٠هـ).
- القاضي العلامة محمد بن يحيى حنش (ت٧١٧هـ).
- العلامة الإمام يحيى بن حمزة (ت٧٤٩هـ).
- القاضي العلامة يوسف بن أحمد بن عثمان الثلائي (ت٨٣٢هـ)
- العلامة الإمام أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت٨٤٠هـ).

٥- **طبقة المجتهدين**: نظراً لما يتميز به المذهب الزيدي من الدعوة للاجتهاد، والحث على التفقه ونبذ التقليد لمن تحقق بالعلم، فقد نبغ من حضن هذا المذهب، عدد من المجتهدين، الذين لاقت مؤلفاتهم القبول لدى جميع علماء المسلمين، ولأقوالهم وعلمهم الفضل في جمع كلمة المسلمين على الكتاب والسنة ونبذ التعصبات المذهبية والعرقية والتمسك بما كان عليه السلف الصالح، ومن هؤلاء تمثيلاً لا حصراً مع ذكر أبرز كتاب عرفوا به:

- الإمام محمد بن إبراهيم الوزير (المتوفى ٨٤٠هـ) صاحب كتاب العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم.

- الإمام الحسن بن أحمد الجلال (المتوفى سنة ١٠٨٤هـ) صاحب كتاب ضوء النهار المشرق على صفحات الأنهار.

- الإمام صالح بن المهدي المقبلي (المتوفي بمكة سنة ١١٠٨هـ). صاحب كتاب العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ.

- الإمام محمد بن إسماعيل الأمير (المتوفى سنة ١١٨٢هـ) صاحب كتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام.

- الإمام محمد بن علي الشوكاني (المتوفى سنة ١٢٥٠هـ) صاحب كتاب نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار.

زيدية اليمن[1]:

زيدية اليمن ينتسبون عملياً إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي (٢٤٥ – ٢٩٨هـ) الذي قدم إلى اليمن من الحجاز سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م ؛ فدعا إلى نفسه بالإمامة، وتلقب بالهادي، فكان المؤسس الأول لدولة الأئمة في اليمن، وكان عالماً مجتهداً كبيراً، أخذ (علم الكلام) عن بعض أئمة المعتزلة[٢]، وهو في الأصول تبع لهم، وأما في الفروع فقد استقل فيها باجتهاده، فخالف زيد بن علي فيما ذهب إليه من اجتهاده، ولم يتقيد بأقواله التي تضمنها (مجموع الفقه الكبير) و (الجامع الكافي) لأقواله أيضاً، ولم يبق لمذهب الإمام زيد بن علي الأول في الأصول والفروع منهم متابع.[٣]

---

(١) والقسم الثاني للزيدية جغرافياً ومذهبياً: زيدية الجبل والديلم أتباع الناصر الأطروش الحسن بن علي (٢٨٤-٣٠٤هـ) الذي صار إلى بلاد الجيل والديلم فدعا الناس إلى الإسلام على مذهب زيد بن علي، وبقت الزيدية ظاهرين هناك، ثم اكتسحهم المذهب الرافضي بسبب المجاورة.

(٢)وقد ذكر بعض المترجمين لعلماء الزيدية أن الإمام الهادي تتلمذ على يد أبي القاسم البلخي (٢٧٣-٣١٩هـ) أحد أئمة المعتزلة، وبعضهم ذكر أن الهادي سافر إلى بغداد لطلب العلم ولقي هنالك البلخي وتتلمذ عليه.

وهذا الأمر يكاد يكون مستحيلاً ، فالإمام الهادي لما سافر إلى اليمن عام (٢٨٣هـ) كما هو معروف، كان عمر البلخي ١٠ سنوات تقريباً ، ولم ينقل عن الهادي أنه خرج من اليمن حتى مماته عام (٢٩٨هـ). وحينئذ ربما يكون تأثر الهادي بالبلخي تم عن طريق قراءة كتبه أو حدثت مراسلة بينهما ، لا سيما وأن البلخي قد سافر إلى جرجان مناصراً للداعي والناصر وهما من أئمة الزيدية. والغريب أن بعض الزيدية يذكر أيضاً أن الهادي قد سافر إلى هناك أيام الدعوة الزيدية!!!

(٣) طبقات الزيدية الصغرى (المستطاب) مخطوط للإمام يحيى بن القاسم (ت ١١٠٠هـ) ، نقلاً من كتاب الزيدية للقاضي إسماعيل الأكوع ص١٠٧.

ومع هذا، فقد تغلب اسم المذهب الزيدي على مذهب الهادي، وذلك لأن الهادي وأتباعه يقولون بإمامة زيد بن علي، ووجوب الخروج على الظلمة، ويعتقدون فضله، وزعامته، ويحصرون الإمامة فيمن قام ودعا من أولاد الحسنين وهو جامع لشروط الإمامة المدونة في كتبهم، فمن قال بإمامته فهو زيدي، وإن لم يلتزم مذهبه في الفروع؛ فإن أكثر الزيدية على رأي غيره في المسائل الاجتهادية والمسائل النظرية، وكذلك أئمته كالقاسم، والهادي، والناصر؛ فهم ينتسبون إلى زيد بن علي، مع أنهم كانوا مثله في الاجتهاد ويخالفونه في كثير من المسائل.[1]

---

(١) المنية والأمل شرح كتاب الملل والنحل، للإمام الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (٧٧٥-٨٤٠هـ) مطبوع، نقلاً من كتاب الزيدية للقاضي إسماعيل الأكوع ص ١٠٧.

عقيدة الزيدية :

هناك علاقة قوية بين الزيدية والمعتزلة[1]، ومع أن المعتزلة يخالفون الزيدية في أساس مذهبهم وهو الإمامة وموقفهم من الإمام علي بن أبي طالب نفسه[2]، إلا أن هناك تواصلاً وعلاقة تاريخية ثابتة بين أئمة الزيدية وعلماء المعتزلة[3]، جعلت المذهب الزيدي يتأرجح في باب العقيدة بين عقيدة أسلافه أئمة أهل البيت، وبين أصول وعقائد المعتزلة.

ولهذا يذهب بعض الباحثين[4] أن هناك ثلاثة تيارات في المذهب الزيدي وهي:

---

(١) **المعتزلة** : فرقة من الْمُتَكَلِّمين يخالفون أهل السّنة فِي بعض المعتقدات على رَأْسهمْ وَاصل بن عَطاء الَّذِي اعتزل بِأَصْحَابِهِ حَلقَة الْحسن الْبَصْرِيّ الْوَاحِد معتزلي، نشأت في أواخر العصر الأموي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية (*) والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة و الوعيدية ". انظر: "المعجم الوسيط (٢/ ٥٩٩)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٦٤).

(٢) حيث يجوّز المعتزلة الخطأ على الإمام علي في حروبه وأن الإمام علي ما كان على يقين من الصواب في قتاله وحروبه التي جرت بينه وبين مخالفيه، حيث يرى أن أحد الفريقين منهما كان على خطأ لكن لا يعينه. ومن الغرابة أن بعض علماء الزيدية يرى أن المعتزلة يحكم عليهم بالفسق بسبب مسألة الإمامة هذه، بينما هو في العقيدة مقلد وتابع لهم.

(٣) هناك علاقة تاريخية بين أئمة الزيدية وبين بعض علماء المعتزلة، كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين كالدكتور الكمالي في كتابه عن الإمام المهدي، فالإمام زيد بن علي (٧٥هـ-١٢٢هـ) ورأس المعتزلة واصل بن عطاء (٨٠ -١٣١هـ)، حينما التقاه في رحلته بالبصرة وقيل أنه التقى به في المدينة، وكذا الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي (١٦٩هـ-٢٤٦هـ) وأبي الهذيل العلاّف المعتزلي (ت ٢٣٥هـ)، وذلكَ عندما قابلَه في مصر.

(٤) الدكتور محمد الكمالي في كتابه (الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأثره في الفكر الإسلامي سياسياً وعقائدياً). طبعة

التيار الأول: يتبع مذهب المعتزلة ويعتبره قرين المذهب الزيدي في العقيدة، وقد كان على رأس هذا التيار كثير من أكابر الزيدية في القرن السادس الهجري وما بعده، كالإمام أحمد بن سليمان (٥٦٦هـ) والإمام عبد الله بن حمزه (٦٥٣هـ).

ويظهر أن هذا التيار هو الذي كان سائداً في عصر المؤلف ابن بهران رحمه الله، حيث أن الإمام شمس الدين (مؤلف الأثمار) قد ضمن عقيدة المعتزلة كاملة في مقدمة الأثمار (خطبة الكتاب)، وقام المؤلف ابن بهران بشرحها بالتفصيل في مقدمة الكتاب، وهي نفسها عقيدة المعتزلة المنقولة من كتبهم وأصولهم.

التيار الثاني: المعارض لتيار الاعتزال ويرون أن عقائد المعتزلة دخيلة على آل البيت فهم يدافعون عن مذهب آل البيت ويحاولون تحريره من ربقة الاعتزال، ومن هؤلاء أحمد بن يحيى بن حميدان، الذي ألف مجموعاً جمع فيه مقولات وأخباراً كثيرة تثبت أن مذهب الاعتزال يخالف المعقول والمنقول، وأن الزيدية الحقيقية بعيدة كل البعد عن مذهب الاعتزال الابتداعي. وكذلك الإمام القاسم بن محمد (ت١٠٢٩هـ) مؤلف كتاب "الأساس"[1].

وهؤلاء يرون أن الاعتزال طارئ على الزيدية وعلى اليمن، فقد ذكرَ يحيى بن الحسين في كتابه (أنباء اليمن) في أخبار سنة ٥٦٦هـ ما لفظه: "وفي أيام أحمد بن سليمان خرجت

دار الحكمة اليمانية – صنعاء – اليمن، الطبعة الأولى ١٤١١هـ–١٩٩١م. صـ ٥٧.

(١) الدكتور محمد الكمالي، الإمام المهدي، صـ ٥٨.

كُتب المعتزلة من العراق إلى اليمن، على يد القاضي جعفر بن عبدالسلام، لمّا سافرَ إلى تلك الجهة، فمِن ذلك الوقت ظهرَ واستظهر مذهب المعتزلَة وكتُبُهُم في اليمن، وتمسّكَ به أيضاً المطرفيّة[1]، وتابعوا أبا القاسم البلخي، وسائر الزيدية المخترعة[2] تابَعوا أبا هاشم عبدالسلام بن محمد بن عبدالوهاب الجبائي المعتزلي[3]، وكان قبل ذلك في اليمن غير معروفٍ بين أئمّة أهل البيت ولا غيرِهم من سائر العرب، وإنّما كانَت معرفَة علمائهم المعرفةَ من التمسّك بالكتاب وصحيح السنّة، وهُو الذي كان عليه السلف الصالح".[4]

---

(١) **المطرفية** : فرقة من فرق الزيدية تنسب إلى مطَرّف بن شهاب، من أعلام أواخر المئة الرابعة وأوائل المئة الخامسة للهجرة، وكانوا من شيعة الهادي يحي بن الحسين ويقلدونه في الفروع، أما في الأصول فهم على طريقة المعتزلة ، لكنهم يقولون بخلق العناصر الأربعة الماء والتراب والهواء والنار، وبالانفعال فيما عدا ذلك... كما أنهم خالفوا الزيدية في أهم مبادئها وهو الإمامة، فإنهم لم يشترطوا النسب فيمن يتولاها، وهو ما جر عليهم العداء كما فعل الإمام عبدالله بن حمزة الذي استحل دماءهم وأموالهم وأخرب ديارهم ومساجدهم، وممن يوافقهم بهذا نشوان بن سعيد الحميري. انظر: الزيدية نشأتها ومعتقداتها ، لإسماعيل الأكوع ، صـ ٨٩-٩١.

(٢) **المخترعة**: فرقة زيدية عرفت بهذا الاسم لقولهم: باختراع الله الأعراض في الأجسام، وأنها لا تحصل بطبائعها-كما تقول المطرفية- وهو يقولون بإمامة علي بالنص، وخطأ المشايخ بالتقدم عليه ومخالفة ذلك النص، والتوقف في تفسيقهم. وقد جرى بينهم وبين المطرفية نزاع شديد وخلاف مرير في عهد الإمام عبدالله بن حمزة، وكان رئيس المخترعة علي بن شهر من بيت أكلب من قاع البون شمال صنعاء، وقد تابع أبا هاشم المعتزلي. انظر: الزيدية نشأتها ومعتقداتها، لإسماعيل الأكوع، صـ٩١-٩٢.

(٣) **أبو هاشم المعتزلي** عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي (٢٤٧-٣٢١هـ)، من أبناء أبان مولى عثمان: عالم بالكلام، من كبار المعتزلة، له آراء انفرد بها. وتبعته فرقة سميت "البهشمية" نسبة إلى كنيته"أبي هاشم"، وله مصنفات ككتاب "الشامل" في الفقه، و"تذكرة العالم"، و"العدة" في أصول الفقه. ترجمته في الأعلام للزركلي، ٤/ ٧.

(٤) نقل ذلك القاضي إسماعيل الأكوع في كتابه (نشوان بن سعيد الحميري) صـ١١ حاشية.

التيار الثالث: الذين يرون أن مذهب الإمام زيد هو مذهب السلف المناقض لمذهب المعتزلة والمتحرر من التعصب والتقليد، ومن هؤلاء الإمام محمد بن إبراهيم الوزير (٧٧٥-٨٤٠هـ) والذي ضمن ذلك في مؤلفات مشهورة مثل (العواصم من القواصم) و (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) . وقد ذكر فيه أن سلسلة من علماء الزيدية على امتداد التاريخ كانوا على مذهب السلف وقاوموا المذهب الاعتزالي مقاومة عنيفة حتى بلغوا درجة من التعصب.[1]

---

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، ص٢٢ وما بعدها. نقلاً عن الدكتور الكمالي في كتابه عن الإمام المهدي السابق الذكر، صـ ٦٠.

خصائص المذهب الزيدي:

للمذهب الزيدي في اليمن خصائص يتميز بها عن غيره من المذاهب، وله أصول وأسس يتميز بها عن باقي المذاهب الشيعية الذين ينسب المذهب لهم والزيدية منهم براء، ومن ذلك بإيجاز:

١- الدعوة للاجتهاد[1]:

تميز المذهب الزيدي في اليمن عن غيره من المذاهب الأخرى بفتح الباب على مصراعيه للاجتهاد، وذلك لمن حذق علومه، وأتقن فنونه، من معرفة آيات الأحكام، وأحاديثها، ومعرفة مصطلح الحديث، وأصول الفقه، وكذلك النحو والصرف والمعاني والبيان، إلى غير ذلك من علوم الرواية والدراية.

فكان أن ولج لهذا الباب عدد غير قليل من علماء زيدية اليمن، ممن هيأه الله لصعود مدارج الاجتهاد، فاشتغلوا بعلوم القرآن المجيد، وتفاسيره، ودراسة أمهات كتب الحديث وعلومه، فوجدوا في كتاب الله، وسنة رسوله الصحيحة، مالا يحتاج طالب إلى معرفة الحق معهما إلى شيء آخر مما يعد من محض الرأي الذي ليس له عليه أثارة من علم، فبرز من هؤلاء العلماء أئمة الاجتهاد المطلق، الذين خلعوا ربقة التقليد من أعناقهم، ومن أبرزهم: ابن الوزير والجلال والمقبلي والصنعاني والشوكاني، وقد أشرنا

---

(١) انظر: كتاب الزيدية، للقاضي إسماعيل الأكوع ص١٠٨.

لذلك قريباً في ذكر طبقة المجتهدين.

كما ظهر من علماء الزيدية دون هؤلاء في العلم والاجتهاد، ظل اجتهاده داخل حدود المذهب ملتزماً بنصوصه وتفريعاته، وهم كثر، ولهم قواعد فقهية معتبرة قرروها على أصول الفقه.

٢- الرجوع إلى الحديث النبوي من مصادره المعتبرة:

وهذه ميزة يتميز بها المذهب الزيدي، فعلماء المذهب الزيدي الهادوي، يأخذون بالسنة والحديث من مصادرها المعتبرة المعروفة، في صحيح البخاري ومسلم وكتب السنن والمسانيد وغيرها، كما هو صنيع الشارح ابن بهران في هذا الكتاب محل الدراسة. فأنت لا ترى فيه فرقاً من حيث الاستدلال بالحديث النبوي عن أي كتاب فقهي آخر في المذاهب الأخرى الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة، وهو الأمر الذي يقرب بين المذاهب بل يجعلها منهجاً واحداً وطريقاً متحداً وإن اختلف في التفريعات لكن المرجع والأصل واحد وهو الكتاب والسنة.

وما ذكرناه هو المعتمد في المذهب، والخط الوسطي فيه، كما نراه في هذا الشرح وفي غيره من الشروح الفقهية الزيدية، وهذا لا يعني أنه لا يوجد في المذهب من يغلو كغلو الرافضة في ردّ السنة، ومن يتابعه على ذلك من طوائف المقلدين المتعصبين، فوجود

هؤلاء لا يستطيع أن ينكره أحد. وقد حكى عنهم الإمام الشوكاني في أدب الطلب[1]، حيث ذكر نقائص المقلدين المتعصبين ثم قال: "وقد ينضم إلى هذا من بعض أهل الجهل والسفه والوقاحة وصف ذلك الدليل الذي جاء به المخاطب لهم بالبطلان والكذب إن كان من السنة ولو تمكنوا من تكذيب ما في الكتاب العزيز إذا خالف ما قد قلدوا فيه لفعلوا. وأما في ديارنا هذه فقد لقنهم من هو مثلهم في القصور والبعد عن معرفة الحق، ذريعة إبليسية ولطيفة مشئومة، هي أن دواوين الإسلام الصحيحين والسنن الأربع وما يلتحق بها من المستندات والمجاميع المشتملة على السنة، إنما يشتغل بها ويكرر درسها، ويأخذ منها ما تدعو حاجته إليه، من لم يكن من أتباع أهل البيت ! لأن المؤلفين لها لم يكونوا من الشيعة ؛ فيدفعون بهذه الذريعة الملعونة جميع السنة المطهرة لأن السنة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هي ما في تلك المصنفات ولا سنة غير ما فيها.

ثم قال في الرد عليهم: وهؤلاء وإن كانوا يعدون من أهل العلم لا يستحقون أن يذكروا مع أهله، ولا تنبغي الشغلة بنشر جهلهم وتدوين غباوتهم، لكنهم لما كانوا قد تلبسوا بلباس أهل العلم وحملوا دفاتره، وقعدوا في المساجد والمدارس اعتقدتهم العامة من أهل العلم، وقبلوا ما يلقونه من هذه الفواقر، فضلوا وأضلوا، وعظمت بهم الفتنة وحلت بسببهم الرزية، فشاركوا سائر المقلدة في ذلك الاعتقاد في أئمتهم الذين قد

---

(١) أدب الطلب ومنتهى الأدب للإمام الشوكاني– ص ٧٤. بتحقيق عبد الله السريحيى، طبعة دار ابن حزم، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م –بيروت لبنان.

قلدوهم، واختصوا من بينهم بهذه الخصلة الشنيعة والمقالة الفضيعة، فإن أهل التقليد من سائر المذاهب يعظمون كتب السنة ويعترفون بشرفها وأنها أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأنها هي دواوين الإسلام وأمهات الحديث وجوامعه التي عول عليها أهل العلم في سابق الدهر ولاحقه، بخلاف أولئك فإنها عندهم بالمنزلة التي ذكرناها، فضموا إلى شنعة التقليد شنعة أخرى هي أشنع منها، وإلى بدعة التعصب بدعة أخرى هي أفظع منها، ولو كان لهم أقل حظ من علم وأحقر نصيب من فهم لم يخف عليهم أن هذه الكتب لم يقصد مصنفوها إلا جمع ما بلغ إليهم من السنة بحسب ما بلغت إليه مقدرتهم وانتهى إليه علمهم ولم يتعصبوا فيها لمذهب ولا اقتصروا فيها على ما يطابق بعض المذاهب دون بعض بل جمعوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته ليأخذ كل عالم منها بقدر علمه وبحسب استعداده. ومن لم يفهم هذا فهو بهيمة لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب به النوع الإنساني وغاية ما ظفر به من الفائدة بمعاداة كتب السنة التسجيل على نفسه بأنه مبتدع أشد ابتداع فإن أهل البدع لم ينكروا جميع السنة ولا عادوا كتبها الموضوعة لجمعها بل حق عليهم اسم البدعة عند سائر المسلمين بمخالفة بعض مسائل الشرع، فانظر أصلحك الله ما يصنع الجهل بأهله ويبلغ منهم حتى يوقعهم في هذه الهوة فيعترفون على أنفسهم بما يقشعر له جلد الإسلام وتبكي منه عيون أهله"[1].

---

(١) المرجع السابق.

٣- توقير الصحابة وتحريم سبهم:

وهذا المسألة هي من عقيدة الزيدية الأساسية والتي كانت من أسباب استشهاد الإمام زيد بن علي رحمه الله من وراء خذلان الرافضة له وغدرهم به، بسبب أنه رفض الانسياق في ضلالهم بسب الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فقد ذكر المؤرخون أنه: لما استتب الأمر لزيد بن علي عليه السلام جمع أصحابه فخطبهم وأمرهم بسيرة علي بن أبي طالب في الحرب. فقالوا: قد سمعنا مقالتك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال: وما عسيت أن أقول فيهما؟ صحبا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأحسن الصحبة، وهاجرا معه، وجاهدا في الله حق جهاده، ما سمعت أحداً من أهل بيتي تبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيراً.

قالوا: فلم تطلب بدم أهل بيتك، ورد مظالمهم إذاً، وليس قد وثبا على سلطانهم، فنزعاه من أيديكم، وحملا الناس على أكتافكم، يقتلونكم إلى يومكم هذا؟ فقال لهم زيد: إنما وليا علينا وعلى الناس، فلم يألوا العمل بكتاب الله وسنة رسوله.

قالوا: فلم يظلمك بنو أمية إذاً، إن كان أبو بكر وعمر لم يظلماك! فلم تدعونا إلى قتال بني أمية، وهم ليسوا لكم ظالمين، لأن هؤلاء إنما تبعوا في ذلك سنة أبي بكر وعمر؟

فقال لهم زيد: إن أبا بكر وعمر ليسا كهؤلاء، هؤلاء ظالمون لكم ولأنفسهم، ولأهل بيت نبيهم، وإنما أدعوكم إلى كتاب الله ليعمل به، وإلى السنة أن يعمل بها، وإلى البدع أن تطفأ، وإلى الظلمة من بني أمية أن تخلع وتنفى، فإن أجبتم سعدتم، وإن أبيتم خسرتم،

ولست عليكم بوكيل.

قالوا: إن برئت منهما وإلا رفضناك!! فقال زيد: الله أكبر، حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: (إنه سيكون قوم يدَّعون حبنا، لهم نبزٌ يعرفون به، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون)[1]. اذهبوا فإنكم الرافضة.

ففارقوا زيداً يومئذٍ فسماهم: الرافضة، فجرى عليهم هذا الاسم.[2]

وقد روى هاشم بن البريد، عن زيد بن علي، قال: كان أبو بكر رضي الله عنه إمام الشاكرين، ثم تلا (وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)[3] ثم قال: البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي.[4]

وقد حكى الإمام الشوكاني إجماع أهل البيت على حرمة سب الأصحاب وساق

---

(١) هذا الحديث روي من عدة طرق، وهو يعتبر من أصح الأحاديث التي رواها الهادي حيث رواه عن أبيه وأبوه عن جده وهكذا حتى وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روى الطبراني نحوه في الأوسط ٦/ ٢٥٤ (٦٦٠٥) من طريق أبي سعيد عن أم سلمة، وكذا في الكبير ١٠/ ٣٨٣ (١٢٨٢٢) من طريق ابن عباس. وقد أورده أبو يعلى في مسنده ١٢/ ١١٦ (٦٧٤٩) من طريق فاطمة بنت النبي رضي الله عنها، وقاله محقق الكتاب حسين سليم أسد : إسناده صحيح. وقد أورده ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ١/ ١٦٥ ، وكذا الشوكاني في الفوائد المجموعة ١/ ٣٨٠ (٨٨) وكذا ضعفه الألباني في الضعيفة (٥٥٩٠) وغيرهم .

(٢) رسالة الحور العين وتنبيه السامعين ، لنشوان بن سعيد الحميري (توفي ٥٧٣هـ) ، تحقيق كمال مصطفى، الناشر: الجيل الجديد- صنعاء ، ط٢، ١٠١-١٤٣١هـ، صـ٥٣. تاريخ الطبري ٤/ ٢٠٥.

(٣) سورة آل عمران / آية ١٤٤.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ٣٨٩ (١٨٧).

ذلك الإجماع من ثلاث عشرة طريقة عن أئمتهم، وفي الطريقة العاشرة قال: حكاها الإمام شرف الدين في شرح مقدمة الأثمار، ثم قال: فهذه طرق متضمنة لإجماع أهل البيت من أئمة الزيدية ومن غيرهم، كما في بعض هذه الطرق، والناقل لهذا الإجماع من أسلفنا ذكره من أكابر أئمتهم.

ثم قال: " فيا من أفسد دينه بذم خير القرون، وفعل بنفسه مالا يفعله المجنون... وإن قلت أيها الساب لخير هذه الأمة من الأصحاب أنك اقتديت بأئمة أهل البيت في هذه القضية الفظيعة، فقد حكينا لك في هذه الرسالة إجماعهم على خلاف ما أنت عليه من تلك الطرق.

ثم قال: وإن قلت أيها الساب أنك اقتديت بفرقة من غلاة الإمامية فنقول صدقت، فإن فيهم فرقة مخذولة تصرح بسب أكابر الصحابة، وقد أجمع على تضليلهم جميع علماء الإسلام من أهل البيت وغيرهم، وهم الرافضة الذين رويت الأحاديث في ذمهم.[1]

وقال في موضع آخر[2]: فمن غلا من الزيدية وسَبَّ وثَلَبَ، فليس هو من الزيدية، ولا من أتباع أئمة أهل البيت سلام الله عليهم، بل هو رافضي مقلد لغلاة الرافضة، وقد جمعتُ رسالةً حكيتُ فيها الإجماع من الآل من نحو ثلاثة عشر طريقاً، على أن مذهبهم

---

(١) من كتاب تنبيه الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي، ص ٤٧٤ وما بعدها. والكتاب مطبوع ضمن كتاب الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني، طبعة المعهد العالي للقضاء. وقد طبعت هذه الرسالة طبعة مستقلة.

(٢) وبل الغمام على شفاء الأوام ٢/ ٣٩٥.

خلاف مذهب الرافضة، وأنهم يعتقدون فضل الصحابة، الذين هم خير القرون، ويتحاشون عن مذاهب الرفض ".

وللفقيه عبد العزيز ابن المؤلف ابن بهران، والذي كان أحد العلماء والقضاة المرموقين كتاب في الاحتجاج في الترضية على المشايخ الثلاثة وتحريم سبهم.[1]

وللإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة (٧٤٩هـ)، رسالة نافعة باسم "الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين"[2] ذكر فيها الأدلة على تعظيم الصحابة وحرمتهم، ورد على الغالين من الجارودية[3] في هذا الشأن.

٤- عدم القول بعصمة الأئمة:

فالزيدية مع تعظيمهم وتوقيرهم لأئمة أهل البيت، فلا يقولون بعصمتهم، ولهذا

---

(١) المستطاب (طبقات الزيدية الصغرى) ليحيى بن القاسم ٢/ ١٦٥. نقلاً عن محقق مكنون السر ص ٢١٩. والمشايخ الثلاثة يعني بهم الثلاثة الخلفاء الراشدين .

(٢) مطبوعة حديثاً عن دار النشر للجامعات بصنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

(٣) **الجارودية**: فرقة تنسب إلى الزيدية، نسبة إلى أبي الجارود زياد بن المنذر (توفي سنة ١٥٠وقيل١٦٠هـ) ويقولون بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نص على علي بالوصف والإشارة دون التسمية والتعيين، وهو الإمام بعده، والناس قصَّروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف، وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم، فكفروا بذلك. وهو ما دفع البعض إلى أن يُلحقَ الجارودية بغلاة الشيعة ويقرنها بالإمامية. انظر: الزيدية للقاضي إسماعيل الأكوع، صـ٢٣-٢٤. وقد ذكر الإمام عبدالله بن حمزة في كتابه الرسالة الوازعة، صـ٥٦: بأن هذه الجارودية مختصون من بين سائر فرق الزيدية بالتخطئة للصحابة وتفسيقهم، وقد نقل عن بعضهم إكفار بعض الصحافة والله حسبهم فيما زعموه واعتقدوه وهو لهم بالمرصاد، وهذه المقالة لا تنسب إلى أحد من أكابر أهل البيت وعلمائهم وأئمتهم ..

تجد أن أئمة الزيدية قد حدث اختلاف بينهم في الأصول والفروع، فتجد علماء الزيدية يختارون من أقوالهم ما ساندته الأدلة وما رأوه صواباً. ولا زال ذلك الأمر متجدداً إلى اليوم. خلافاً لشطحات الرافضة وغلوهم في أئمتهم.

والقول بعصمة الأئمة مناقض لمذهب الزيدية، فأئمة المذهب غير محصورين، كما عند الرافضة الإمامية، فالإمام عندهم من تحققت فيه شروط معينة ذكروها، وهي قابلة للانطباق على أي إمام في أي عصر حتى يومنا. وأئمة الزيدية وعلماؤهم لا ينحصرون في أقوال من سبقهم، بل كل واحدٍ منهم يجتهد ما دام قد تأهل لذلك، ولذلك تعددت الاجتهادات في المذهب، بل إن الإمام زيد أقواله تذكر مع الأقوال الأخرى في الفقه وما سانده الدليل يذكر، وكذلك الإمام الهادي قد يخالفه فقهاء المذهب فيختارون قولاً مخالفاً لما ذكره. وتجد هذه الأمور في هذا الشرح. وهكذا ما يروى من اجتهادات الإمام علي رضي الله عنه قد يخالفونه إذا ظهر الدليل بخلافه، ومروياته في الحديث كمرويات الصحابة الآخرين، يأخذون بما صح منها. قال صاحب الطبقات الصغرى: " وأما الفروع فاستقل (أي الهادي) فيها باجتهاده فخالف زيد بن علي في مذهبه ولم يتقيد لأقواله التي تضمنها مجموع الفقه الكبير لزيد بن علي وجامع الكافي لأقوال زيد بن علي وأقوال أهل البيت السابقين فمن عرفها علم الخلاف فيها"[1].

وللإمام يحيى بن المحسن بن أبي الفوارس (ت٦٣٦هـ) الملقب بالداعي رسالة في

---

(١) مذكورة في مجموع رسائل حول الزيدية للشريف أبي الحسن الرسي، ضمن المكتبة الزيدية، صـ٤٨ .

هذا المعنى، قال فيها: "ولعلي عليه السلام من القضايا ما لو أجاب به بعض أهل العصر لعد جاهلاً، كقوله: العبد لا يملك من الطلاق إلا اثنتين ولا يتزوج إلا اثنتين، وقوله في أمة منازع فيها ثلاثة في ظهر واحد يقرع بينهم ويغرم القارع لكل من الآخرين ثلث القيمة، وقضى في بغل شهد أربعة أنه لفلان، وثلاثة أنه لفلان أنه يقسم بينهم أسباعاً... ". وذكر مسائل أخرى. ثم قال في آخرها: " وأما رجوعنا عن قول إلى خلافة، فليس فيه نقص، والانتقال من اجتهاد إلى اجتهاد آخر جائز بل واجب عند وضوح الحجة، ومن العلماء من له قولان في مسألة، ومنهم من له ستة أقوال، علي عليه السلام رجع عن بعض قضاياه، والهادي قال في (الفنون) بخلاف قوله في (الأحكام)، وفي (الأحكام) بخلاف قوله في (المنتخب)".[1]

وقال الناصر للحق الحسن بن علي: (فإذا نظر الطالب للحق في اختلاف علماء آل الرسول فله أن يتبع قول أحدهم إذا وقع له الحق فيه بدليل من غير طعن ولا تخطئة للباقين)[2].

روي عن الإمام أبي الفتح بن الحسين الديلمي - عَلَيْه السَّلام - أنه قال: (أما فروع الشريعة فإن وقع بين الأئمة عَلَيْهم السَّلام في ذلك اختلاف فليس ذلك مما ينقص من علمهم وفضلهم؛ لأن الإجتهاد في الدين واجب، والإحتياط لازم، والرجوع إلى

---

(١) انظرها وافية في ترجمته في طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١٢٦ (٧٩٠). ومآثر الأبرار ٢/ ٦٤.

(٢) انظر: مجموع السيد حميدان بن يحيى القاسمي، الناشر : مركز أهل البيت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، صـ ١٤٧.

الكتاب والسنة مما تعم به البلوى[1]، ولكل في عصره نظر واستدلال وبحث وكشف، وقد ينكشف للمتأخر ما لم ينكشف للمتقدم، لا بأن المتقدم قصر عما بان للمتأخر... إلى قوله: وليس من الدين تخطئة واحد منهم، والحكم عليه بأنه خالف الشريعة والأئمة)[2].

والعصمة عند الزيدية غيرها عند الرافضة، فالعصمة عند الزيدية جاءت من فهم خاص

لقوله تعالى (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)[3] بأن معناه تطهيرهم من الوقوع في الكبائر، ولهذا يقولون بأن من شملتهم الآية (علي فاطمة والحسن والحسين) فإنما المراد عصمتهم من الكبائر لا الصغائر. وفي هذا السياق يقول الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة: " ولم تقع العصمة فيمن علمنا من ولد إسماعيل إلا لمحمد وعلي وفاطمة وابنيها ". [4]

---

(١) المعنى هو لزوم الرجوع إلى الكتاب والسنة في الأمور التي تعم بها البلوى.

(٢) انظر مجموع السيد حميدان بن يحيى القاسمي، صـ ١٧٨.

(٣) سورة الأحزاب / آية ٣٣.

(٤) في كتابه (الرسالة النافعة بالأدلة الواقعة)انظر: مجموع رسائل حول الزيدية للشريف أبو الحسن الرسي، صـ٤٨.

المبحث الرابع : مؤلفاته

للعلامة ابن بهران رحمه الله مؤلفات كثيرة، وفي مختلف فنون وأبواب العلم الشرعي، وهو ما يدلنا على تبحره وتوسعه في العلوم، وأخذه بنصيب وافر من كل فن من فنون العلم الشرعي الموجودة في عصره، وهو ما ذكره من ترجم له من تلامذته ومن المؤرخين بعده، مثل ما ذكر تلميذه المقرائي قوله: "وله في جميع فنون العلوم التأليفات والموضوعات المفيدات، المنقولات والمعقولات جزاه الله عن المسلمين خيراً"[1].

وسوف أذكر اسم الكتاب وبين قوسين أذكر الفن الذي ينتمي له، وغالبها مخطوط، وما طبع منها أشير إلى ذلك. ومن هذه المؤلفات.

١- تفتيح القلوب والأبصار للاهتداء إلى اقتطاف أثمار الأزهار (فقه)

وهو هذا الكتاب محل الدراسة والكلام عليه مفصلاً في هذا الكتاب.

٢- التفسير الجامع بين الرواية والدراية[2] – التكميل الشاف لتفسير الكشاف- تكميل الشاف في كشف الكشاف

جمع فيه بين فوائد (الكشاف) وغيره من التفاسير للزمخشري وابن كثير، مما يتعلق

---

(١) مكنون السر، ص٨٧.

(٢) مكنون السر ص٨٤.

بالتفاسير القرآنية والأحاديث النبوية، في ثمانية أجزاء.[1]

وقد حظي هذا الكتاب بعناية بالغة واحتفاء تام من الإمام المتوكل، فقد قال ابن أبي الرجال في ذلك: "ولما صنف كتابه التفسير وبلغ إلى الإمام شرف الدين وهو يومئذ بالجراف[2] كتب إلى أولاده وخلصانه كتاباً في تعظيم ذلك الكتاب ولفظه، ومن خط الإمام نقلت: (بسم الله الرحمن الرحيم، أمير المؤمنين وألزمنا الولد الشمسي وصنوه الولد الجمالي، وجميع الأولاد، والخواص أن يكونوا من جملة من يزف السفر الجليل النبيل إلى المساجد المحروسة والمشاهد المأنوسة مع العلماء والمتعلمين والأعيان أجمعين، وأمامهم الأرياح والأعلام وجميع ما يفعل في المسار العظام؛ لأن هذه المسرة أعظم ما يكون، وفيها قرار القلوب والعيون)، انتهى كلام الإمام شرف الدين، وألصقها العلامة عبد العزيز بن محمد بهران بكتاب التكميل المذكور"[3].

ولعل العلامة شيخ الإسلام الشوكاني، اقتبس من المؤلف عنوان الكتاب في تفسيره المشهور المسمى: (فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير)، قال

---

(١) طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٥٢٣ (٦٩٤).

(٢) الجراف : بلدة من بني الحارث صارت الآن داخل مدينة صنعاء ، فيها قبر العلامة ابن الجلال (المتوفى ١٠٨٤هـ) وكان يسكنها الإمام شرف الدين، ولزوجته الشريفة فاطمة قصيدة للإمام عندما مكث بها وتزوج بها، وقد رد عليها على وزن قصيدتها. انظرها في مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري، صـ١٨٢.

(٣) مطلع البدرو ومجمع البحور لابن أبي الرجال ٤/ ٣٨٠. وانظر أيضاً طبقات الزيدية ٢/ ٥٢٤. وذكر معنى ذلك المقرائي في مكنون السر، صـ ٨٤. وأشار لذلك أيضاً العلامة القاضي الحسين بن الناصر الشرفي (ت ١١١١هـ) في كتاب مطمح الآمال ١/ ٢٧٨.

العلامة صديق بن حسن القنوجي في ترجمة الإمام الشوكاني[1]: " وله التفسير الكبير المسمى: (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير،) وقد سبقه إلى التأليف في الجمع بين الرواية والدراية، العلامة: محمد بن يحيى بن بهران، فله تفسير في ذلك عظيم، لكن تفسير شيخنا أبسط، وأجمع، وأحسن ترتيبا وترصيفا؛ وقد ذكر الحافظ السيوطي في (الإتقان): أنه جعله مقدمة لتفسيرٍ جامعٍ للدراية والرواية، سماه: (مطلع البدرين، ومجمع البحرين)".

ومنه نسخ في مكتبة حمود محمد شرف الدين بكوكبان - يوجد الجزء الثاني والثالث والرابع على تجزئة المصنف من كتاب (تكميل الشاف في كشف الكشاف) لمحمد بن يحيى بهران، المتوفى سنة ٩٥٧هـ، بخط نسخي ممتاز خطَّ سنة ٩٦٤هـ على نسخة المصنف بقلم نجل المصنف عبد العزيز بن محمد بن يحيى بهران، وكذلك الجزء الثالث من ذلك الكتاب خطَّ سنة ٩٤٥هـ، أي في عصر المؤلف بنفس الخط والناسخ. [2]

٣- حاشية على الكشاف (تفسير) [3]

وأظن أنه مؤلف على عادة العلماء والمصنفين القدماء عند دراسة كتاب أو قراءته،

---

(١) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تأليف صديق بن حسن القنوجي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، تحقيق: عبدالجبار زكار (٣ مجلدات)، ٣/ ٢٠٢.

(٢) مصادر التراث في المكتبات الخاصة- للوجيه ١/ ٥٤٧-٧٠٤. طبقات الزيدية ٢/ ٥٢٣ (٦٩٤)

(٣) طبقات الزيدية ٢/ ٥٢٣ (٦٩٤). ومكنون السر، ص ٨٦.

يكتبون تعليقات وفوائد على بعض ما في الشرح، أو اعتراضات وتساؤلات، وتسمى بالحاشية.

٤- جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار[١] (حديث)- مطبوع

قال المقرائي[٢]: "ووفاه بتفسير الغريب، فجاء بحمد الله غريب عجيب". ويقول عنه يحيى بن القاسم بأنه: " من الكتب المعتمدة، أسند فيها الأحاديث إلى الأمهات الست، استخرجه من جامع الأصول وغيره"[٣].

طبع مع أصله البحر الزخار في القاهرة سنة ١٣٦٦هـ..

٥- **المعتمد**[٤]/ معتمد ذوي العقول المنتزع من جامع الأصول[٥] (حديث)

انتزعه من جامع الأصول ورتبه على أبواب الفقه.[٦] قال ابن أبي الرجال: " جمع الأمهات الست جميعها، كما فعل ابن الأثير، غير أنه رتب ذلك على أبواب الفقه"[٧].

---

(١) طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٥٢٣ (٦٩٤.) ومصادر التراث ١/ ٧٠٦. وقد طبع عن دار الحكمة اليمانية.

(٢) في مكنون السر، ص٨٥.

(٣) مكنون السر، ص٨٥. حاشية ١٣٧. وذكر الوجيه في مصادر التراث نسخة منه (الجزء الثالث) ١/ ١٩٧ في مكتبة الهاشمي بصعدة، وذكر أن مؤلفه مجهول.

(٤) طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٥٢٣ (٦٩٤.)

(٥) مكنون السر، ص٨٥.

(٦) مصادر التراث في المكتبات الخاصة- للوجيه ١/ ٤٣٦. وذكره في طبقات الزيدية ٢/ ٥٢٣ (٦٩٤) باسم المعتمد.

(٧) مطلع البدور ومجمع البحور ٤/ ٣٧٧.

والمؤلف رحمه الله كان له عناية خاصة بجامع الأصول، بل هو معتمده في نقل الأحاديث والألفاظ والروايات التي في هذا الشرح، كما سيأتي تفصيله في مصادر المؤلف.

٦- **الطراز المنتزع من كتاب المعتمد في الحديث**[١] (حديث)

وكأن هذا الكتاب مختصر عن السابق (المعتمد).

٧- **مختصر الشافي**[٢] / **المختصر الشافي في علم العروض والقوافي**[٣] (في العروض والقوافي)

٨- **التحفة**[٤] / تحفة الطلاب[٥] (في النحو)

٩- **شرح المقدمة** الموسومة بتحفة الطلاب في الإعراب[٦] (في النحو)

١٠- **الكافل بنيل السؤول في علم الأصول** [٧] / **الكافل لذوي العقول بنيل السؤل في**

---

(١) مصادر التراث في المكتبات الخاصة- للوجيه ١/ ٤٣٦. وذكره في طبقات الزيدية ٢/ ٥٢٣ (٦٩٤) باسم المعتمد.

(٢) طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٥٢٣ (٦٩٤.)

(٣) له عدة نسخ مخطوطة. انظر مصادر التراث للوجيه ١/ ٢١٧-٤٣٦.

(٤) البدر الطالع ٢/ ٢٧١. طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٥٢٣ (٦٩٤.)

(٥) مكنون السر، ص٨٥.

(٦) مكنون السر، ص ٨٥. ومنه نسخة في مكتبة جامع الإمام الهادي بصعدة، ذكره في مصادر التراث في المكتبات، ١/ ٦٥٦.

(٧) طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٥٢٣ (٦٩٤.) والكاشف لذوي العقول للعلامة شمس الدين أحمد بن محمد لقمان ١/ ١. مصادر التراث ١/ ٧١٩. مكنون السر ٨٦.

علم الأصول (في أصول الفقه)- مطبوع[1]

وقد حظي الكافل بعناية خاصة من العلماء، وتلقاه الناس بالقبول وشرحه جماعة من العلماء، وقد ذكر ناظمه في أوله:

لأنه مهذب موضح *** محرر محقق منقح

وأسأل الله به أن ينفعا *** لأنه بأصله قد نفعا

وقد شرح النظم الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني بكتابه (إجابة السائل شرح بغية الآمل) مطبوع. وشرحه تلميذ الصنعاني المحقق إسماعيل بن محمد بن إسحاق بشرح طويل سماه (الفواصل شرح بغية الآمل)[2]. وشرحه العلامة أحمد بن محمد بن لقمان (٩٦٧-١٠٣٩هـ) بشرح سماه (الكاشف لذوي العقول بنيل السؤول)[3]. كما نظمه العالم الأصولي صالح النصيري (... ـ بعد١١٢١هـ) بكتاب سماه: (العقد الكامل نظم مختصر الكافل) قال صاحب مطلع الأقمار: نظم بديع في غاية النفاسة ونهاية السلاسة مع زيادات زادها من حفظه وهو أبسط من منظومة السيد الأمير.[4]

١١- **بهجة الجمال** / بهجة الجمال ومهجة الكمال في المذموم والممدوح من الخصال في

---

(١) طبع في مركز بدر العلمي.

(٢) ذكره في مقدمة إجابة السائل.

(٣) مصادر التراث ١/ ٦٨٢. وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق عبدالكريم الجدبان – وهو في المكتبة الزيدية الشاملة.

(٤) أعلام المؤلفين الزيدية ١/ ٤٦١. ومنه نسخة في المكتبة الغربية جامع صنعاء

الأئمة والعمال- مطبوع[1].

رجّح فيها المنع من التأديب بالمال موافقاً للإمام الشافعي، وذكر جملة يسيرة في ترهيب الحكام. وذكر المقرائي بأنه كتاب جليل ضمَّنه الاحتجاج على من يقول بالتضمين والتوصل[2] إلى أخذ الأموال الممنوع عنها بواضح الدليل.[3] وقد نهج نهج المؤلف ابن بهران في هذا الكتاب القاضي الحسين بن ناصر الحسين بن ناصر النيسائي الشرفي المعروف بالمهلا (المتوفى سنة ١١١١هـ) في كتابه (طمح الآمال في إيقاظ جهلة العمال من سِنَةِ الضلال و التنبيه على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه والأئمة الهادون في الأحوال والأقوال والأفعال). ذكر في مقدمته أنه ألفه على نهج (بهجة الجمال) للعلامة ابن بهران[4].

وهو كتاب بديع، وينقل عن العلامة ابن بهران نصوصاً كثيرة ومن ذلك قوله في ذكر المفاسد التي أحدثها العمال : " المفسدة الأولى: ما تهور فيه العمال من التأديب بالمال، والعقوبة بالمال، إما بأخذه أو بإتلافه، والأمر في ذلك كما حققه الفقيه العلامة: محمد بن يحيى بن بهران رحمه الله وغيره من علمائنا إنها إما بأخذ المال أو بإتلافه، ولا شك ولا شبهة

---

(١) طبع سنة ١٣٤٩هـ ضمن مجموعة الرسائل اليمنية والرسالة السابقة بتحقيق العلامة محمد زبارة- مطبعة الجمل المصرية جوار الأزهر الشريف.

(٢) وهي من حيل الحكام والقضاة في ذلك الزمن في التوصل لأخذ أموال الناس.

(٣) انظر: مكنون السر، ص٨٦.

(٤) صـ ١/ ٣٨.

في أن دليل العقل ناهض، والقرآن ناطق، والسنة متواترة، والإجماع منعقد على تحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم إلا ما دل دليل قاطع على استباحته إذا ثبت هذا فلا يجوز العمل بما صادم تلك الأدلة وإن اقتضته السياسة؛ فإن الله ورسوله لم يتركا في الشريعة نقصاً يحتاج إلى التكميل...".[1]

١٢- **ابتسام البرق شرح منظومة القصص الحق** (في السيرة) - مطبوع[2]

والقصص الحق هي قصيدة للإمام المتوكل شرف الدين مؤلف الأثمار، في السيرة النبوية وعنونها بـ (القصص الحق في سيرة سيد الخلق) ومطلعها:

لكم من الحب صافيه ووافيه ** ومن هوى القلب باديه وخافيه

أنتم حلول فؤادي وهو بيتكمُ ** وصاحب البيت أدرى بالذي فيه

١٣- **الكشف والبيان في الرد على متصوفة الزمان**[3]-. (تصوف) وهي رسالة صغيرة مكونة من ١٤صفحة. وقد ذكر المقرائي بأن له رسالة في الرد على المتسمين الصوفية، وذكر

---

(١) مطمح الآمال في إيقاظ جهلة العمال من سيرة الضلال للقاضي الحسين الشرفي ١/ ٣٨٤. من إصدارات مؤسسة الإمام زيد الثقافية، ضمن المكتبة الشاملة.

(٢) طبع برعاية مؤسسة غمضان. ومنه نسخ مخطوطة انظرها في مصادر التراث في المكتبات الخاصة ١/ ١٣٣.

وهذه القصيدة قد شرحها السيد / عبدالله ابن الإمام المتوكل، كما في البدر الطالع ١/ ٣٦٦. وقال: ذكر فيها فوائد جليلة. كما ذكر أيضاً (٣/ ٧) أن هناك شرحاً لطيفاً للقصيدة للقاضي / عثمان بن علي الوزير اليمني.

(٣) مصادر التراث للوجيه، ١/ ٢٢٥.

أنه ذيَّل عليها بما يناسب الحال.[1]

١٤- **مختصر في أصول الدين**. (في علم الكلام) [2]

١٥- **مجموع في سيرة الأئمة**[3] (تاريخ)

١٦- **المهتدي** / بداية المهتدي وهداية المبتدي (في علم السلوك والتصوف)[4]

اختصره من كتاب بداية الهداية للغزالي. قال الحبشي: مخطوط بالمتحف البريطاني برقم (٨٣٩)[5].

١٧- **كتاب النجاة في معرفة الله عز وجل** - (في علم السلوك والتصوف)[6]

١٨- **المختصر الوافي في علم العروض والقوافي**- (في علم العروض وموازين الشعر)[7]

١٩- **الملاحة في علم المساحة**[8] - (الجغرافيا)

٢٠- **مختصر في الضرب وما يتبعه**[1] - (لعل المقصود ضرب وسك النقود)

---

(١) مكنون السر، ص٨٦.

(٢) مكنون السر، ص٨٥.

(٣) مكنون السر، ص٨٦.

(٤) مكنون السر، ص٨٦.

(٥) مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، عبدالله الحبشي.

(٦) مكنون السر، ص٨٦.

(٧) مكنون السر، ص٨٦.

(٨) مكنون السر، ص٨٧.

٢١- **مختصر في الفرائض**[٢] – (في علم الفرائض والمواريث)

٢٢- - **تعليق على المصباح الفائض**، لتلميذه محمد بن يحيى المقرائي.[٣]

٢٣- **سؤالات وجوابات الإمام عز الدين / جمل من الفوائد** (في علوم متنوعة)

وهي مسائل متنوعة في فنون مختلفة سأل عنها الإمام الحسن بن عز الدين[٤] (٨٦٢-٩٢٩هـ) فأجابه فيها وألحق في جوابات الإمام عليه إلحاقات حسنة وتذييلات على جوابات الإمام مستحسنة.[٥]

---

(١) مكنون السر، ص٨٧.

(٢) مكنون السر، ص٨٧.

(٣) مكنون السر، ص٨٧.

(٤) الإمام الناصر الحسن بن عز الدين بن الحسن، من العلماء المجتهدين والمؤلفين، ولد في ٨٦٢هـ، وترك الحكم وانصرف للعلم، وتوفي عام ٩٢٩هـ.

(٥) مكنون السر، ص٨٧.

شعره:

المؤلف ابن بهران كان موسوعة في العلوم الشرعية، وله شعر جيد، ومن مشاهير شعره اللامية على نهج قصيدة الطغرائي[1]، وهي مشهورة ومطلعها:

الجَدُّ فِي الجِدِّ وَالحِرْمَانُ في الكَسَلِ ** فَانْصَبْ تُصِبْ عَنْ قَرِيبٍ غَايَةَ الأَمَلِ

وَشِمْ بُروقَ الأَمَانِي في مَخَايِلِهَا ** بِنَاظِرِ القَلْبِ يَكْفِى مُؤْنَةَ العَمَلِ

وَاصْبِرْ عَلَى كُلِّ مَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ ** صَبْرَ الحُسَامِ بِكَفِّ الدَّارِعِ البَطَلِ

مَنْ لَمْ تُفِدْهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَجْرِبَةً * فَيمَا يُحَاوِلُ فَلْيَرْعَى مَعَ الهَمَلِ

مَنْ سَالَمَتْهُ اللَّيَالِي فَلْيَثِقْ عَجِلاً * مِنْهَا بِحَرْبِ عَدُوٍّ غَيْرِ ذِى مَهَلِ

مَنْ كَانَ هِمَّتُهُ وَالشَّمْسُ فِي قَرَنٍ * كَانَتْ مَنِيَّتُهُ فِي دَارَةِ الحَمَلِ[2]

مَنْ ضَيَّعَ الحَزْمَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ * وَمَنْ رَمَى بِسِهَامِ العَجْزِ لَمْ يَنَلِ

مَنْ جَالَسِ الغَاغَةَ النَّوْكَا جَنَى نَدَمًا * لِنَفْسِهِ وَرُمِى بِالْحَادِثِ الجَلَلِ

---

(١) الطغرائي: الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، أبو إسماعيل، مؤيد الدين، الاصبهاني الطغرائي (٤٥٥-٥١٤هـ): شاعر، من الوزراء الكتاب، كان ينعت بالأستاذ. قتله السلطان محمود السلجوقي بسبب وشاية سنة ٥١٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٥٤ (٢٦٢). والوافي بالوفيات للصفدي ٤/ ٢٦٤. وقصيدته تسمى (لامية العجم) بديعة ومطلعها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل *** وشرعة الحزم ذادتني عن المذل

وحلة العلم أغنتني ملابسها ***وحلية الفضل زانتني لدى العطل

(٢) القرن ، ودارة الحمل: من منازل الشمس ومواضعها التي وضعها الفلكيون لأماكن مسيرها.

مَـنْ جَـادَ سَـادَ وَأَضْـحَى العَـالَمُونَ لَـهُ * رِقًّـا وَحَالَـةَ جَعْـدِ الكَـفِّ لَمْ تَحُـلِ

مَـنْ لَمْ يَصُـنْ عُرْضَـهُ سَـاءَتْ خَلِيقَتَـهُ * وَكُـلُّ طَبْـعٍ لَئِـيمٍ غَـيْرِ مُنْتَقِـلِ

مَـنْ رَامَ نَيْـلَ العُـلاَ بِالْمَـالِ يَجْمَعُـهُ * مِنْ غَـيْرِ حِـلٍّ بَلَى مِنْ جَهْلِهِ وَبِلِي

مَـنْ هَـاشَ عَـاشَ وَخَـيْرُ العَـيْشِ أَشْرَفُـهُ * وَشَرُّهُ عَـيْش أَهْـلِ الجُـبْنِ وَالبُخْـلِ

عَاجَبْـتُ أَيَّـامَ دَهْـرِي شِـدَّةً وَرَخَـا * وَبُـؤْتُ فِيهَـا بِأَثْقَـالٍ عَـلَيَّ وَلِي

وَخُضْـتُ فِي كُـلِّ وَادٍ مِـنْ مَسَـالِكِهَا * بِـلاَ تَـوَانٍ وَلاَ عَجْـزٍ وَلاَ كَسَـلِ

طَـوْرًا مُقِـيمًا مُقَـامَ الـدُّرِّ فِي صَـدَفٍ * وَتَـارَةً فِي ظُهُـورِ الأَيْنُـقِ الـذُّلُلِ

بِالشَّرْقِ يَوْمًـا وَيَوْمًـا فِي مَغَارِبِهَـا * وَالغـورِ يَوْمًا وَيَوْمًا فِي ذُرَى القُلَلِ

وَتَـارَةً بَـيْنَ أَحْبَـارٍ جَهَابِـذَةٍ * وَتَـارَةً أَصْـحَبُ الغَوْغَـاءَ فِي زَجَـلِ

وَتَـارَةً عِنْـدَ أَمْـلاَكٍ غَطَارِفَـةٍ * شُـمِّ العَـرَانِينَ بَـيْنَ الخَيْـلِ وَالخَـوَلِ

هَـذَا وَلَمْ يَـرْضَ لِي حَـالٌ وَقَعْـتُ بِـهِ * إِلاَّ وُثِقْـتُ بِحَبْـلٍ غَـيْرِ مُنْفَصِـلِ

وَلَمْ يَلُـذْ لِعَيْنِـي مَنْظَـرٌ أَبَـدًا * وَلَمْ أَزَلْ وَبَنَـاتُ الـدَّهْرِ فِي جَـدَلِ

وَلاَ أُيَمِّـمُ بَحْـرًا جَـاشَ غَارِبُـهُ * إِلاَّ وَجَدْتُ سَرَاباً أَوْ جَرَى وَشَـلِ[1]

وَحُلَّـةُ الْعِلْـمِ أَغْنَتْنِـيْ مَلاَبِسُـهَا * وَحِلْيَةُ الفَضْلِ زَانَتْنِي لَـدَى العَطَلِ

فَـالْيَوْمَ لاَ أَحَـدٌ لِي عِنْـدَهُ أَدَبٌ * وَلاَ فَتًـى أَبَـدًا ذُو حَاجَـةٍ قِبَـلِي

---

(١) الوشل: الماء القليل، ووشل الماء يشل وشلا ووشلانا: سال أو قطر. انظر: الصحاح للجوهري، ٦/ ١١٩-١١٢٠.

إِنْ قلــتُ كُنْــتُ لِحَــقٍّ قَــائِلاً وَإِنْ * عَمَــرْتُ فَلَــنْ أُصْــغِي إِلَى عَــذِلِ

وَفِي الفُــؤَادِ أُمُــورٌ لاَ أَبُــوحُ بِهَــا * مَا قَرَّبَ النَّائِيُ أَيْدِي الخَيْلِ وَالإِبِلِ

فَــإِنْ أَمُــتْ فَلَقَــدْ أَعْــذَرْتُ فِي طَلَــبٍ * وَإِنْ تَعَمَّــرْتُ لاَ أُصْــغِي إِلَى عَــذَلِ

وقد ذكر ولده الفقيه عبد العزيز بن محمد أن والده قالها في ابتداء أمره، فلم تكن مثل ما قاله بعد كماله، ولهذا ذكر أنه لم يرض بظهور هذه القصيدة وانتشارها؛ لكونها لم يرقمها في البلاغة والفصاحة الغاية. إلا أن حسن معانيها نشر مبانيها وحكمها.[١]

وله رحمه الله تعالى قطع شعرية في مناسبات متفرقة، منها قوله يمدح شيخه المرتضى بن قاسم:

سَرَى وجَلا عن مُقْلَةِ الهايمِ الغَمْضُ عشــيَّةَ حــنَّ الرعــدُ وابتســمَ الــوَمْضُ

وأسـبلَ جَفْـنُ الغـيمِ وَاكِـفَ دمعـهِ على صحنِ خدَّ الأفق فاهتزَّت الأرضُ

ولاَعَبـت الأغصـان وهنـاً يَـدَ الصَّبا فأصبحَ يحكي السندس الورقُ الغضُّ[٢]

وقد ذكر المقرائي في ترجمته في مكنون السر[٣] قوله في بدائع صنع الله وخلقه للإنسان وتفضله عليه بالنعم قوله:

---

(١) انظر مكنون السر، ص٩١. وقد ساقها المقرائي بتمامها هناك.

(٢) وردت في ديوان أخيه موسى بن بهران مخطوط لوحة ٤٢.

(٣) صـ ٩١.

بَــدَائِعُ صُــنْعِ اللهِ فِيــكَ عَجِيــبُ وَإِحْسَــانُهُ الْمَعْهُــودُ مِنْــكَ قَرِيــبُ

وَفِي كُــلِّ عُضْــوٍ فِيــكَ للهِ نِعْمَــةٌ وَمِــنْ حِفْظِـهِ مِنْهَـا عَلَيْـكَ رَقِيــبُ

أَلَمْ تَــرَ أَنَّ اللهَ أَنْشَــاكَ نُطْفَــةً فَخَالَطَهَــا –مِمَّــا عَلِمْــتَ– حَبِيــبُ

فَصِرْتَ عِظَامًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ مُضْغَةً وَزَادَكَ مِــنْ بَعْــدِ الشَّــبَابِ مَشِــيبُ

تَقَلَّــبُ فِي يُسْرٍ وَعُسْرٍ وَصِحَّةٍ وَسُــقْمٍ فَلِلْحَــالاَتِ فِيــكَ نَصِــيبُ

وَإِنْ بَلَــغَ السَّــيْلُ الزُّبَــى فِي مُلِمَّــةٍ دَعَــوْتَ سَــمِيعًا قَــادِرًا فَيُجِيــبُ

وَيَكْشِــفُ عَنْــكَ الغَــمَّ بَعْــدَ نُزُولِـهِ لَعَلَّــكَ مِــنْ كَسْــبِ الــذُّنُوبِ تَتُــوبُ

فَــلاَ تَبْتَــئِسْ مِــنْ فَضْــلِ رَبِّــكَ إِنَّــهُ يُعِيــدُ وَيُبْــدِي فَضْــلَهُ وَيُثِيــبُ

وَظُــنَّ بِــهِ خَــيْرًا تَنَلْــهُ وَتَوْبَــةً رَجَــاءً، فَرَاجِــي اللهَ لَــيْسَ يَخِيــبُ

الفصل الثالث : دراسة الكتاب

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالكتاب ونسبته إلى مؤلفه وسبب تأليفه ومكانته

المبحث الثاني: التعريف بكتاب (الأزهار) ومؤلفه

المبحث الثالث: التعريف بكتاب (الأثمار) ومؤلفه

المبحث الرابع: منهج المؤلف في الكتاب ومصادره ومصطلحاته

المبحث الخامس: وصف النسخ المخطوطة ومنهج التحقيق

المبحث الأول : التعريف بالكتاب، ونسبته إلى مؤلفه، وسبب تأليفه

أولاً: اسم الكتاب:

لم يذكر المؤلف اسم الكتاب خلال شرحه[1]، وقد اشتهر الكتاب في أكثر المصادر بشرح ابن مهران، وكذلك ذكره المترجمون للمؤلف، أو الذين ينقلون منه، وذلك اختصاراً منهم، ولطول اسم الكتاب المشهور به حرصاً على السجع كما هي عادة المؤلفين حينها. وقد ذكره تلميذه وقرينه يحيى المقرائي باسم (شرح الأثمار الجامع لأدلة علماء الأمصار).[2]

وقد اختلف عنوان الكتاب المرقوم على النسخ اختلافاً يسيراً، فقد ورد الاسم في نسخة (أ): (**تفتيح القلوب والأبصار للاهتداء إلى اقتطاف أثمار الأزهار**). وهو الاسم الذي اخترته في هذه الدراسة، وهو أنسبها. وفي نسخة الجامع الكبير – نسخة (ج): (**تفتيح القلوب والأبصار للاهتداء إلى كيفية اقتطاف أثمار الأزهار**). وفي نسخة (د): (**تفتيح القلوب والأبصار للاهتداء لاقتطاف أثمار الأزهار**).

---

(١) من خلال قراءتي للنص المحقق في هذا البحث ، وكذلك بالاطلاع على أول الكتاب ومقدمته .

(٢) مكنون السر، ص ٨٥.

ثانياً: نسخ الكتاب:

لهذا الكتاب نسخ كثيرة مبثوثة في المكتبات الخاصة والعامة ومن هذه النسخ:

١- نسخة في مكتبة السيد حمود محمد شرف الدين بمدينة كوكبان، [١] وهي: الجزء الثاني من كتاب (تفتيح القلوب والأبصار) في الفقه لمحمد بن يحيى بهران، المتوفى سنة ٩٥٧هـ، وتأريخ النسخ سنة ٩٥٣هـ، بخط نسخي ممتاز والناسخ مجهول ونسخة من الجزء الأول منه منسوخة بتاريخ ١٠٤٤هـ.

٢- نسخة من المجلد الأول – تاريخها ١٠٧٥هـ – في مكتبة جامع شهارة.[٢]

٣- نسخة كاملة تتكون من ٣ مجلدات، وتاريخها المرقوم على الأول والثاني سنة ١٠٧٨هـ – وعلى الثالث ١٠٨١هـ – في مكتبة السيد محمد عبدالعظيم هادي بضحيان.[٣]

٤- نسخة من الكتاب برقم (١١٠٤) مصنفة (فقه) وعليها تملكات. ونسخة ثانية برقم (١٠٩٣) الجزء الأول ناسخها محمد بن شرف الدين بن الحسن وكان الفراغ من نسخها في ٢٥رمضان سنة ١٠٣٨ هـ بصنعاء – في مكتبة الجامع الكبير بصنعا بدار المخطوطات التابع لوزارة الثقافة.

---

(١) مصادر التراث للوجيه ١/ ٥٤٧. والمكتبة فيها نفائس المخطوطات الزيدية من حيث عناوينها وتواريخها.

(٢) مصادر التراث للوجيه ١/ ٧٠٦. ونسبها خطأ ليحيى المقرائي. ولديَّ نسخة مصورة منها.

(٣) مصادر التراث للوجيه ١/ ٢٦١. ولديَّ نسخة مصورة منها.

ثالثاً: نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

الكتاب هو من تأليف ابن بهران قطعاً، والأدلة متضافرة على ذلك ومنها:

أولاً: نسخ الكتاب المخطوطة والمبثوثة في المكتبات، وهي نسخ كثيرة، وقد اتفقت جميعها على اسم المؤلف رحمه الله.

ثانياً: ذكر هذا الكتاب كل من ترجم للمؤلف رحمه الله.

ثالثاً: شهرة ذلك وتداوله بين العلماء، كما قال ابن فند[1]: وشرح آخر لطيف للفقيه العلامة عز الدين محمد بن يحيى بن بهران، وهي معروفة متداولة.

رابعاً: إجازات العلماء بالكتاب بالسند إلى المؤلف، ومنها: ماذكره الشوكاني في كتابه إتحاف الأكابر. فالعلامة الشوكاني يرويه بإسنادين عن الإمام القاسم بن محمد عن ابن المؤلف عبد العزيز عن أبيه المؤلف.[2]

ومن المعاصرين، العلامة مجد الدين المؤيدي **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**، حيث أن له إجازة بالكتاب بسندين ذكرهما في كتابيه (لوامع الأنوار)[3] و (الجامعة

---

(١) في مآثر الأبرار، ٣/ ١٨٣.

(٢) ينظر: إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر ص ٢٦١، لمحمد بن علي الشوكاني، طبع ضمن كتاب الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني- المعهد العالي للقضاء- صنعاء- ط١ (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

(٣) لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار وتراجم أولي العلم والأنظار، للعلامة مجد الدين المؤيدي، ضمن المكتبة الزيدية الشاملة، ١/ ٣٠٥.

المهمة)[1].

خامساً: نقول العلماء المعاصرين ومن بعدهم عن هذا الكتاب.

سادساً: تدريس الكتاب ودراسته من طلاب العلم والعلماء فقد ذكر في أكثر من ترجمة أن المترجم قد قرأ شرح الأثمار لابن بهران.

وفي بعض ذلك ما يغني ويكفي في توثيق الكتاب إلى مؤلفه.

(١) الجامعة المهمة لأسانيد كتب الأئمة، ١/ ٧٠.

سبب تأليفه:

ذكر المؤلف في أول الكتاب، كعادة المؤلفين، سببين لتأليف الكتاب:

الأول: ما تميز به مختصر الأثمار من ميزات، وقال في ذلك: " ولما كان المختصر الميمون المذكور، قد اشتمل على ما تضمنه أصله من منطوق ومفهوم، واحتوى على ما يوازيه أو يدانيه من روائع بدائع العلوم، بعبارات رائقة، تتسابق معانيها إلى الأفهام، واختيارات فائقة تجلي أنوارها ظلمات الأوهام، فجاء بحمد الله مع لطافة حجمه، بحراً زاخراً ينتهي إلى ساحل، وكنزاً مشحوناً بجواهر ذخائر المسائل... أشار مولانا–أمير المؤمنين– أطال الله بقاءه ونصر لواءه، إلى أن أشرحه شرحاً يبرز السلسال من معين عيونه، ويرفع الأستار عن وجوه خرائد أبكاره وعونه، مع بيان أدلة مسائله التفصيلية، وإقامة البرهان على رجحان اختياراته الإمامية، وزيادة ما أمكن من نكت الفوائد السريعة السنية...".[1]

السبب الثاني: الطلب من مؤلفه شرف الدين المتوكل، وقال في ذلك: " أشار مولانا أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، ونصر لواءه، إلى أن أشرحه شرحاً يبرز السلسال من معين عيونه، ويرفع الأستار عن وجوه خرائد أبكاره وعيونه، مع بيان أدلة مسائله

---

(١) تفتيح القلوب والأبصار (القسم الأول المحقق) ج١ صـ ٩٧. والعَوْن : الظهير على الأمر والجمع.

التفصيلية.. إلى آخر ما ذكره.[1]

وقد أشار من ترجم له لذلك، وأن الإمام المتوكل شرف الدين، طلب من المؤلف القيام بشرح الأثمار، وهذا الطلب لم يختص به المؤلف بل قد طلبه المتوكل من عدة من العلماء الذين كانوا من حوله أن يقوموا بشرح الأثمار، احتفاءً بكتابه، ورغبةً في إثرائه بالشروح والحواشي والتعليقات. وممن ذكر ذلك العلامة ابن أبي الرجال حيث قال: " اعتنى بشرحه عن أمر الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين".[2]

وقد روي احتفاء المتوكل به حين تمامه وأنه لما وصل إلى الإمام نوه بذكره وأعلنه، وروي أنه أمر الإمام أن يطاف به في المشاهد والمدارس بالطبول خانات مع أعيان العلماء الفضلاء.[3]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مطلع البدور ومجمع البحور ٤/ ٣٧٦.

(٣) مطلع البدور ومجمع البحور ٤/ ٣٧٦.

تاريخ تأليفه:

لم أجد فيما بين يديّ ما يشير إلى تاريخ ابتداء المؤلف تأليف كتابه هذا وتاريخ انتهائه منه ، إلا أنه مما تجدر الإشارة إليه أن الشارح ابن بهران كان يحضر مجالس قراءة شرح الأثمار (الوابل المغزار) لتلميذه وقرينه يحيى بن حميد المقرائي (٩٠٨-٩٩٠هـ) والذي ذكر أنه انتهى من تأليفه يوم الجمعة سادس جمادى الأولى سنة ٩٤١هـ.[1]

والمؤلف رحمه الله سمع من الإمام شرف الدين كتاب الأثمار بعد دخوله صعدة منتصراً سنة ٩٤٠هـ، وكان الإمام شرف الدين قد انتهى من تأليفه سنة ٩٣٨هـ. وفي هذه السنة ٩٤٠هـ كان تلميذ المؤلف وقرينه يحيى المقرائي قد أكمل شرحه الأول للأثمار، وقام بشرحه وتدريسه في صعدة، بحضور جمع من العلماء منهم المؤلف ابن بهران، وانتهى من تدريسه سنة ٩٤٣هـ. وعلى هذا فالظاهر أن ٠المؤلف ابن بهران رحمه الله قد ابتدأ تأليفه لهذا الشرح بعد هذا التاريخ. والله أعلم.

وقد ذكروا أن المؤلف ابن بهران رحمه الله ابتدأ بتأليف كتابه المشهور في التفسير سنة ٩٤١ أو ٩٤٢هـ وانتهى منه سنة ٩٤٥هـ وأرسله إلى الإمام شرف الدين بصنعاء الذي احتفى به كما سيأتي. وقد ذكره المقرائي أولاً ثم ذكر شرح الأثمار بعد ذلك، ولم يذكر أنه نقل منه أو استفاد من شرحه مع أنه مدحه وأثنى عليه وهو من شيوخه، فالظاهر أن

(١) انظر مكنون السر ص ٤٧ وص٩٤.

شرح المقرائي كان سابقاً لشرح ابن بهران، لأن المؤلف ابن بهران كان ينقل كثيراً عن شرح المقرائي كما سيأتي توضيحه.

مكانة الكتاب وأهميته:

كتاب: (تفتيح القلوب والأبصار للاهتداء إلى كيفية اقتطاف أثمار الأزهار في فقه الأئمة الأطهار) له أهميته ومنزلته الكبيرة، والتي ترتكز على أمرين:

الأول: أنه يكتسب أهمية كبرى تبعاً لأهمية ومكانة متن (الأثمار) الذي قام بشرحه. فالأثمار هو أشهر مؤلفات الإمام المتوكل، والذي نال الاستحسان والثناء، ولقي العناية الفائقة من العلماء في حياته وبعد مماته، إما بشرحه وإما بالتعليق عليه، أو إفراد أدلته، أو النقل منه. وهذا الكتاب مع أصله الأزهار، هما عمدة الفقه الزيدي، وخلاصة أحكامه واختياراته، ومؤلفاهما لهما المكانة الكبيرة في المذهب. وسيأتي ذكر ذلك مفصلاً في المباحث التي ستأتي.

الثاني: ما تميز به شرح ابن مهران عن غيره من الشروح، من الشمول والإتقان، وحسن الإيراد، وكثرة الاستدلال، وذكر الأقوال الأخرى في المذهب أو غيره، ومناقشة الأقوال، وذكر الفوائد والتنبيهات والمسائل والتعليلات، مع الإيجاز المناسب. واهتمامه بذكر الأحاديث النبوية في المسائل الواردة، والكلام على تخريج الحديث من كتب السنة، وذكر صحتها أو ضعفها. إلى غير ذلك مما امتاز به هذا الشرح، فقد اعتنى به عناية فائقة بحيث صار هو تاج الشروح، واعتنى به العلماء وتناقلوه درساً وتدريساً وإجازة، واقتناءً وحفظاً.

ثناء العلماء عليه

تتابع العلماء في الثناء على هذا الشرح والتنويه به، ومن ذلك:

قال الإمام الشوكاني: "وقد عم النفع بشرحه للأثمار المتقدم ذكره فإنه ذكر فيه من دقائق الفقه وحقائقه مالم يوجد في غيره وذكر الأدلة على مسائله ونقحه احسن تنقيح ويروى أنه لما وصل إلى الإمام شرف الدين مصنف المتن أمر بزفافه بالطبولخانة وطافوا به في المشاهد والمدارس ومعه أعيان العلماء والمتعلمين "[1].

وقال العلامة المؤرخ ابن أبي الرجال: " وفي الفقه شرح على الأثمار، كتاب تشد إليه الأكوار، اشتمل على الدليل والتعليل وعلى غريب الفقه والأهيل، اعتنى بشرحه عن أمر الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين، فكان فنه أعجوبة، ولأهل ذلك العلم البغية المطلوبة، ولما وصل إلى الإمام نوه بذكره وأعلنه، وروي أنه أمر الإمام أن يطاف به في المشاهد والمدارس بالطبول خانات مع أعيان العلماء الفضلاء"[2].

وقال ابن فند[3]: " وأما مصنفاته– يعني المتوكل – فمنها: (كتاب الأثمار)، (انتزعه من كتاب (الأزهار))، وشرحه حي الفقيه العلامة: عز الدين محمد بن يحيى بهران شرحاً فائقاً قدر مجلدين ضخمين.

---

(١) البدر الطالع ١/ ٢٧١.

(٢) مطلع البدور ومجمع البحور ٤/ ٣٧٦.

(٣) مآثر الأبرار لمحمد بن علي الصعدي المعروف بابن فند ٣/ ١٧٨.

وقال ابن حابس:" ومن محاسنه – أي المتوكل -: الأثمار وهو كتاب جليل استدرك فيه على الأزهار كثيرًا من العبارات مما فيه إيهام لخلاف المقصود وقصور في تناول ما هو مقصود) [1]. ثم قال عن الشرح: " وشرحه الشيخ الإمام العلامة محمد بن يحيى بهران بشرح ضمنه من الأدلة والمسائل الفقهية ما يشفي ويكفي".[2].

والإمام يحيى المقرائي كان أيضاً ممن قام بشرح الأثمار كما سيأتي، إلا أنه أنصف شرح شيخه فقال فيه إنه: " جمع فيه الفوائد، وقيد به الشوارد، ولخص فيه الحجج والبراهين، وجمع بين أدلة السنة والكتاب المبين".[3].

وقال العلامة يحيى بن الحسين[4]: "جمع فيه الشوارد وما ندر من الفوائد، واستوفى الحجج من الكتاب والسنة والإجماع، وخرج الأحاديث من الأمهات بلفظها كما يفعله المحدثون". [5].

والمؤلف ابن بهران رحمه الله، أيضاً يثني على شرحه ويمدحه بأوصاف بليغة، من باب التحدث بنعمة الله، وهو دلالة على الجهد الكبير الذي قام به في الشرح، قال رحمه الله في

---

(١) المقصد الحسن، لأحمد بن يحيى حابس الصعدي (مخطوط).

(٢) المرجع السابق.

(٣) مكنون السر، ص ٨٥.

(٤) يحيى بن الحسين القاسم بن محمد الصنعاني، ولد سنة ١٠٣٥هـ، عالم، مصنف مكثر، محدث ومؤرخ، توفي سنة ١١٠٠هـ. أعلام المؤلفين الزيدية ص ١١١١.

(٥) المستطاب، ليحيى بن الحسين بن القاسم، (مخطوط). نقلاً من الجزء الأول من شرح الأثمار المحقق ١/

نهاية الجزء الأول من تجزئته هو في آخر كتاب الحج: " تنبيه: وقد تضمن هذا الفصل ما لايحيط به الوصف من التحقيق والتدقيق والترتيب الأنيق، كما لا يخفى على من له ذوق سليم، وفكر قويم، وفهم غير سقيم. قال عز وجل:[ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ][1].تم الجزء الأول من شرح الأثمار من تجزئة ثلاثة، ويتلوه الجزء الثاني.".

(١) سورة الحديد / آية ٢١.

المبحث الثاني : التعريف بكتاب (الأزهار) ومؤلفه

كتاب (تفتيح القلوب) هو شرح لكتاب (أثمار الأزهار) الذي هو اختصار وتنقيح لكتاب (الأزهار). كما أن الشارح ابن بهران يعتمد كثيراً على مؤلف الأزهار الإمام المهدي في كتبه الأخرى كما سيتبين، ولهذا فإن دراسة (تفتيح القلوب) تحتم علينا دراسة هذا الكتاب ومؤلفه، حيث أن ذلك جزءاً أصيلاً متعلقاً به.

أولاً: ترجمة مؤلف كتاب (الأزهار) الإمام المهدي (٧٧٥هـ -٨٤٠هـ) :

هو الإمام المهدي[1] أَحْمَدُ بْنُ يحيى بن المُرْتَضَى، عالم فقيه مجتهد، له مؤلفات كثيرة لازالت إلى الآن عمدة للمذهب الزيدي.

مولده بآنس من قضاء ذمار في شهر رجب سنة ٧٧٥هـ، وتوفي أبواه في طفولته فأحتضنته أخته دهماء بنت يحيى، وكانت أديبه، وفقيهة، وأشرف على تربيته أخوه الأكبر

---

(١) ترجمته في أغلب المصادر الزيدية، وله ترجمة مفصلة لولده الحسن بن أحمد (مخطوط) سماها (كنز الحكماء وروضة العلماء في سيرة أحمد بن يحيى المرتضى) وعنها ينقل أغلب المترجمين له. انظر مثلاً: البدر الطالع للشوكاني ١/ ١١٦. مآثر الأبرار لمحمد الصعدي المعروف بابن فند ٢/ ٣٥٤. طبقات الزيدية الكبرى للعلامة إبراهيم بن القاسم ١/ ٢٠٨. والتحف شرح الزلف لمجد الدين المؤيدي. وأعلام المؤلفين الزيدية لعبد السلام الوجيه ١/ ٢١٦. وقد أفرده بالترجمة الدكتور محمد الكمالي في كتابه (الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأثره في الفكر الإسلامي سياسياً وعقائدياً). طبعة دار الحكمة اليمانية – صنعاء – اليمن، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

الهادي بن يحيى، وخاله المهدي لدين اللهّ علي بن محمد بـن عـلي. ونهـض للقيـام بالإمامـة بعد أن بايعه أهل صنعاء ٧٩٣هـ بعد وفاة الإمام صلاح الدين فحكم سـنة، ونازعـه عـلى الإمامة ابن الإمام صلاح الدين. وانتصر الأخير بعد أن غدر به في مدينة معبر، ثم سـيق إلى سجن صنعاء، فاشتغل بالتأليف والتدريس في سجنه وألَّف (متن الأزهار) في الفقـه وشرحه (الغيث المدرار).

ثم هرب بعد سبع سنين من السجن إلى مدينة ثلا. وبعد ذلك دخل مع الإمام الهادي علي بن المؤيد سنة ٨٠١هـ إلى صعدة. ثم خرج عنها واعتزل السياسة وانزوى في مدينة ثلا وألَّف فيها كتابه الشهير (البحر الزخار).

وفي سنة ٨١٦هـ سافر إلى مسور[1]، ثم إلى حراز[2]، فمسور مرة ثانيه، ثم استقر أخيراً سنة ٨٣٨هـ في بلاد الضفير (حجه) حتى مات سنة ٨٤٠هـ بمرض الطاعون وقبره هنـاك معروف.

---

(١) **مسور** : تطلق على عدة أماكن ، في منطقة حجة وهي مشهورة، وهي أيضاً وادْ مشهور في بلاد خلوان العالية ، ومسور عزلة في ريمة، والظاهر أن المؤلف يقصد الثانية إذ هي أقرب إلى صنعاء وحراز. وانظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري ، صـ٧٠٨.

(٢) **حراز**: صقع واسع غربي صنعاء، مركزه مناخة في رأس جبل حراز، غرب صنعاء، وترتفع جبال حراز عن سطح البحر نحو ألفي متر وخمسمائة متر، وجبل حراز صعب المرتقى من جميع جهاته. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري ، صـ٢٥٥.

مؤلفات الإمام المهدي:

للإمام المهدي مؤلفات كثيرة عدها بعضهم[1] إلى ما يقارب (٨٤) مؤلفاً ما بين كتاب ورسالة وقصيدة ونصيحة وردود وغير ذلك.

وقد حظيت مؤلفاته بقبول فائق، إلا أن هناك ثلاثة كتب تعتبر من أهم مراجع الفقه الزيدي والشارح ابن مهران وغيره من فقهاء الزيدية يعتمدونها شرحاً واختصاراً ونقلاً واقتباساً وحكماً وحكايةً، وهذه الكتب هي:

- كتاب (الأزهار)
- كتاب (الغيث المدرار شرح كتاب الأزهار).
- كتاب (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار).

والكتابان الأول والثالث مطبوعان ، والثالث لايزال مخطوطاً.

وقد أشار لذلك الإمام الشوكاني (١١٧٣هـ -١٢٥٠هـ) بقوله: " وقد انتفع الناس بمصنفاته لا سيما الفقهية فإن عمدة زيدية اليمن فى جميع جهاته على الأزهار وشرحه والبحر الزخار".[2]

---

(١) أعلام المؤلفين الزيدية لعبد السلام الوجيه ١/ ٢١٦.

(٢) البدر الطالع للشوكاني ١/ ١١٦.

وكأن الإمام المهدي بهذه التآليف كان يضع الأسس الفقهية للمذهب الزيدي، سالكاً نهج من سبقه من علماء المذاهب الأخرى، في وضع مراحل لطالب العلم والفقيه والمجتهد، تبدأ من المختصر إلى المتوسط إلى الشرح الوافي، وسوف أتوسع في الكلام على هذه الكتب كونها من المصادر الأساسية لابن بهران في شرحه هذا.(١)

- الكتاب الأول (الأزهار في فقه الأئمة الأطهار)(2):

وضعه للمبتدئين والعامة حاول فيه أن يشمل جميع أبواب الفقه ومسائله بصورة مختصرة مركزة بعناية فائقة وجهد كبير. وقد نال هذا الكتاب من علماء الزيدية من العناية والشرح والاختصار والنظم والاستدلال والحواشي والتراجم، ما لم ينله أي مؤلف آخر في المذهب بلغت العشرات(٣). وصار هو الكتاب المعتمد في التدريس للطلبة. قال الإمام الشوكاني عنه في مقدمة كتابه السيل الجرار(٤): " فإن مختصر الأزهار لما كان مُدَرَّسَ طلبةِ هذه الديار في هذه الأعصار ومعتمدهم الذي عليه في عباداتهم ومعاملاتهم المدار وكان قد وقع في كثير من مسائله الاختلاف بين المختلفين من علماء

(١) وبيان ذلك والاستدلال له في مبحث مصادر الكتاب.

(٢) ونسخه المخطوطة كثيرة، وقد طبع الكتاب عدة طبعات، منها طبعة عندي بعناية يحيى عبدالكريم الفضيل، وعلى نفقة السيد عبدالله إسماعيل غمضان، وهي الطبعة الرابعة- بدون تاريخ.

(٣) ذكر الدكتور محمد الكمالي في كتابه عن الإمام المهدي صـ ١٢٢ منها: ١٥ شرحاً، و٩ حواشي ونظمان.

(٤) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ١/ ٨٨. تحقيق محمد صبحي حلاق، طبعة دار ابن كثير دمشق بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

الدين والمحققين من المجتهدين، أحببت أن اكون حكما بينه وبينهم ثم بينهم أنفسهم عند اختلافهم في ذات بينهم...".

ومن الغرائب أن الإمام المهدي ألف كتابه هذا في الحبس، ولم يكتب إلا بعد عدة سنين من تأليفه. ولهذا قال العلامة محمد بن علي المعروف بابن فند (توفي بعد ٩١٦هـ):"وإنما حفظه السيد علي بن الهادي، ومولانا -عليه السلام- يملي عليه ما صححوا لمذهب الهادي -عليه السلام- وكانا يكتبانه في باب المجلس بجص؛ لأنهم لم يمكنوه من كتب ولا مداد، فلما خرج السيد علي بن الهادي وهو متغيب له كله غيباً محققاً صبر حولين كاملين، ثم وضعه بكاغد، وسمي كتاب (الأزهار في فقه الأئمة الأطهار).."، ثم قال ابن فند بعده: وهذا الكتاب مشهور البركة، غير ممنوع الحركة، سار في الأقطار مسير الشموس والأقمار، وطار في الآفاق، واشترك في تغيبه أخلاط الرفاق، وبلغ مصنفه مناه في انتشاره، وانتفاع الخلق به وهو في الحياة.[1]

وقد كان الكتاب المعتمد في فقه الزيدية هو كتاب (التذكرة الفاخرة في فقه العترة الطاهرة) لمؤلفه الحسن بن محمد النحوي (توفي ٧٩١هـ)[2]. قال الشوكاني في البدر

---

(١) كتاب / مآثر الأبرار لبدر الدين محمد بن علي بن يونس الزحيف الصعدي، المعروف بابن فند ٢/ ٣٦٣. تحقيق عبد السلام الوجيه وخالد المتوكل – طبعة مؤسسة الإمام زيد الثقافية وترجمة ابن فند في طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٤٥٢. والبدر الطالع ٢/ ٢٢٤. وأعلام المؤلفين الزيدية

(٢) الفقيه الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد النحوي (توفي سنة ٧٩١هـ) ترجم له الشوكاني في البدر الطالع ١/ ٢٠٠ وقال: "عالم الزيدية في زمانه وشيخ شيوخهم وناشر علومهم كان يحضر حلقة تدريسه زهاء ثمانين عالما وله تحقيق

الطالع[1]: وله مصنفات، منها فى الفقه: (كتاب التذكرة الفاخرة)، أودعه من المسائل مالا يحييط به الحصر، مع ايجاز وحسن تعبير، وهو كان مُدَّرَسَ الزيدية وعمدتهم، حتى اختصره الامام المهدى أحمد بن يحيى وجرد منه الازهار فمال الطلبة من حينئذ الى هذا المختصر".

وذكر بعض الشيوخ أيضاً عن كتاب (التذكرة) أن عمدته فيها هو كتاب (اللمع)[2] للفضل العُصَيْفري (توفي سنة ٦١٤هـ)

ولهذا قال بعض الدارسين أن كتاب (الأزهار) اختصره مؤلفه من كتاب (التذكرة الفاخرة) وكتاب (اللمع). ووصف بعض الشيوخ الأزهار بأن (أُمَّهُ التذكرة، وجَدَّتَه اللمع)[3].

وليس ما ذكر يعيب أياً من الكتب، فما زال العلماء يؤخذ بعضهم من بعض، ويستفيد الآخر من الأول، والاختصار والتنقيح هو من مقاصد التأليف، فكيف إذا

واتقان لاسيما لعلم الفقه يفوق الوصف ".أ.هـ. وترجمته أيضاً في طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٣٠٦ (١٩٣). وقد ذكر الوجيه في ترجمته في أعلام المؤلفين ١/ ٣٤١.: يقول الجنداري: إذا أطلق لفظ التذكرة فهي تذكرة الفقيه حسن النحوي، واعتمد المؤلف في كتابه على كتاب اللمع، وشرح الزيادات، وكتاب القاضي زيد بن محمد.، يقول بعض الشيوخ في وصف كتاب الأزهار: أُمُّه التذكرة، وجدَّته اللمع، فرغ مؤلفه من تصنيفه سنة٧٩٠هـ. منه١٧ مجلدا في مكتبة الأوقاف، وخمس نسخ في مكتبة جامع شهارة، ونسخة بمكتبة المرتضى المحطوري، وأخرى كثيرة". أ.هـ

(١) البدر الطالع ١/ ٢٠٠.

(٢) انظر: طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٣٠٧.

(٣) أعلام المؤلفين للوجيه١/ ٣٤١.

حوى الكتاب من الفوائد والترتيب وحسن الإيراد ولطف العبارة وغير ذلك من الفوائد ما لم يكن في الكتب التي قبله، فإن ذلك اختراعٌ منسوبٌ لمؤلفه، حتى إن استفاد واقتبس ونقل ممن سبقه.

قال الشيخ عبد الواسع الواسعي (توفي سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) عن مؤلفات الإمام المهدي(١): " وله المؤلفات الجليلة في كل فن.. و (الأزهار في فقه الأئمة الأطهار) وهو معتمد أهل اليمن في الفقه، مشتمل على ثمانية وعشرين ألف مسألة مفهوماً ومنطوقاً، وقد شرحه مؤلفه وجماعة بعده من العلماء ما بين مطول ومختصر".

ونقل العلامة إبراهيم بن القاسم عن بعض العلماء قولهم عن الأزهار(٢): فإنه على صغر حجمه سبعة وعشرون ألف مسألة منطوقها ومفهومها".

- الكتاب الثاني (الغيث المدرار المفتح لكمائم الأزهار)[3]:

هو شرح مطول لكتابه (الأزهار) في أربعة مجلدات(٤)، يذكر فيه الأدلة والمناقشة

---

(١) في كتابه تاريخ اليمن المسمى فرجة المهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ص٢٠٤. طبعة الدار اليمنية للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٢١٢.

(٣) منه نسخ كثيرة مخطوطة في مكتبتي الأوقاف والغربية بالجامع الكبير وفي المتحف البريطاني وفي عشرات المكتبات الخاصة. ولديَّ صورة مخطوطة منه من مكتبة السيد مجدالدين المؤيدي، في أربعة أجزاء، تم نسخها سنة ١٠٧٦هـ. و صورة لجزء منه من أملاك محمد بن عبدالله الغانمي.

(٤) منه نسخ كثيرة مخطوطة في مكتبتي الأوقاف والغربية بالجامع الكبير وفي المتحف البريطاني وفي عشرات المكتبات

والتعليل والاختلاف الوارد في المذهب. وله مكانة كبيرة في الفقه الزيدي.

ولأن المؤلف طوّل فيه وأفاض، فقد سعى عدد من العلماء لاختصاره، والذي شاع منها وانتشر هو المختصر المعروف بـ (شرح الأزهار المنتزع المختار من الغيث المدرار) لمؤلفه: عبد الله بن أبي القاسم بن مفتاح (المتوفى سنة٨٧٧هـ).

قال القاضي أحمد بن قاسم العنسي في مقدمة كتابه (التاج المُذهب لأحكام المذهب)[1]: "وقد اشتهر منها لتدريس المبتدي، وبحث المتوسط والمنتهي، شرح العلامة عبد الله بن قاسم بن مفتاح رحمه الله، المسمى " المنتزع المختار من الغيث المدرار " مع ما علق عليه، وأضيف من الحواشي إليه". ثم ذكر أن هذا الشرح لابن مفتاح: "حوى كثيرا من المذاهب والخلافات، وما يؤمل وقوعه على أندر الاحتمالات، استغرق على الطالب الوقت الطويل، فلم يتمكن من إكماله إلا القليل".

فإذا كان هذا التطويل في شرح ابن مفتاح فكيف بأصله الغيث المدرار.

الخاصة. انظر مصادر التراث في المكتبات الخاصة في اليمن لعبد السلام الوجيه – طبعة مؤسسة الإمام زيد الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م، صنعاء – اليمن / عمان – الأردن.

(١) في مقدمة الكتاب ص ٤. طبعة دار الحكمة اليمانية – صنعاء – اليمن – الطبعة.. ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م

- الكتاب الثالث (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار)[1]:

وهذا الكتاب أراده مؤلفه الإمام المهدي أن يحتوي على جميع العلوم التي يحتاجها المجتهد حيث ذكر في مقدمته أنه أراد به إحرازه للنصاب المعتبر في الاجتهاد، بل أضاف أيضاً فيه العلوم الإضافية التي يحسن بالمجتهد الإحاطة بها، ويصلح أن يكون كلٌ منها كتاباً مستقلاً. حيث قال: "وقد أوردنا في كتابنا هذا علوما أُخر ليست من شروط الاجتهاد اتفاقا، لكن لا يليق بمن يعد من علماء الأمة ومن عيون من أوتي الحكمة أن يجهلها، وهي: كتاب الملل والنحل، وكتاب رياضة الأفهام في لطيف الكلام، وتاريخ السيرة النبوية، وغيرها، وعلم أعيان مسائل الفقه وتفريعاتها، واستفصال حوادثها وتصوراتها". فهو كما ذكر قد احتوى على: "الاعتقادات الدينية، واللطائف الكلامية، والقواعد الأصولية، والسير النبوية، والآيات الحكمية، والأحكام الفقهية، والمسائل الفرضية، والمحرمات القلبية، مع الأدلة النقلية والحجج القطعية، والأمارات الظنية، من الآيات الحكمية، والآثار النبوية والإجماعات المروية، والقياسات المعنوية والشبهية"[2].

(١) وقد طبع الكتاب عدة طبعات: الأولى في مصر بمكتبة الخانجي ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م، والثانية في لبنان في مؤسسة الرسالة ١٩٧٥م. والطبعة المحققة منه لم تكتمل إلى الآن.

(٢) مقدمة البحر الزخار.

يقول الدكتور محمد الكمالي[1]: " فكتاب البحر الزخار من أهم الموسوعات العلمية التي يعتمد عليها الزيدية لمعرفة المذاهب الأخرى، حيث استوعبت جميع المذاهب والفرق الإسلامية، ومناقشة آرائها، واختيار ما يناسب منهجه في المذهب".

وقال الشيخ عبد الواسع الواسعي (ت ١٣٨٠هـ)[2]: " وله المؤلفات الجليلة في كل فن، منها (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) لم يُسبق لمثاله، ولم يُحْذَ على منواله، لم يَعْرِفْ قدره إلا من اطَّلع عليه".

- اعتماد المؤلف على هذه الكتب:

العلامة ابن مهران رحمه الله، يعتمد في كتابه (تفتيح القلوب والأبصار) اعتماداً كبيراً في شرحه للأثمار على هذه الكتب الثلاثة، وسيأتي بيان ذلك في مصادر المؤلف.

---

(١) في كتابه عن الإمام المهدي ص ١٢٦. وقد ذكر ١١ مؤلفاً له ما بين شرح له وتخريج أحاديثه.

(٢) في كتابه تاريخ اليمن الذي تقدمت الإشارة إليه ص٢٠٤.

المبحث الثالث : التعريف بكتاب (أثمار الأزهار) ومؤلفه

كتاب (تفتيح القلوب) هو شرح لكتاب (أثمار الأزهار)، ولهذا كان لابد من التعريف بهذا الكتاب وبمؤلفه بصورة موجزة تناسب هذا البحث:

التعريف بمؤلف كتاب (أثمار الأزهار) الإمام المتوكل (٨٧٧هـ-٩٦٥هـ):

الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين بن الامام المهدى أحمد بن يحيى[١] ولد في ١٥ رمضان سنة ٨٧٧ هـ بحصن حضور[٢].

وقد قرأ على جماعة من العلماء، ثم رحل الى صنعاء في سنة ٨٨٣ فتمم طلبه للعلم هناك. ولما بلغ الإمام من العلم مبلغه، وظهر القبول له لدى الناس، دعا إلى نفسه في العشر الاولى من جمادى الاولى سنة ٩١٢هـ، وكان بالظَفِير[٣] فبايعه العلماء والأكابر، وتلقاها أهل

---

(١) ترجمته في البدر الطالع ١/ ٢٦٤ (١٩٥). وطبقات الزيدية الكبرى لإبراهيم بن القاسم المؤيد بالله ٣/ ١٠٨ (٧٨١). و مآثر الأبرار لمحمد بن علي الصعدي المعروف بابن فند ٣/ ١٧٨. وأعلام المؤلفين الزيدية للوجيه. وقد أفرد سيرته أحد أحفاده وهو محمد بن إبراهيم بن المفضل بن إبراهيم المفضل بن علي بن الإمام (شرف الدين) (١٠٣٣-١٠٨٥هـ)بكتاب سماه (السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية اليحييوية) لازال مخطوطاً له نسخة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم ٢٥٦٤.

(٢) **حضور**: ويقال له حضور الشيخ : من جبال المصانع وأعمال ثلا، وسماه الهمداني حضور بني أزد. انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري، صـ ٢٧٧.

(٣) **الظَفِير**: حصن من أعمال حجة من أعمال حجة مشهور يعرف بظفير حجة، فيه قبر الإمام أحمد بن يحيى المرتضى وابنه

جبال اليمن بالقبول، وكانت جهات تهامة واليمن الاسفل إلى السلطان عامر بن عبد الوهاب وما زالت بينه وبين الإمام مجاولات ومصاولات.

ثم بعد دخول المماليك الجراكسة إلى اليمن وقضائهم على السلطان عامر ودخولهم إلى صنعاء، جرى بينهم وبين الإمام صراع وصلح، ثم بعد خروجهم، دانت صنعاء وبلادها وصعدة وما بينهما من المدن.

ثم غزا بلاد بنى طاهر فافتتح التعكر[1] وقاهرة تعز[2] وحراز، ثم كان خروج سليمان باشا بجند من الأتراك ووصل الى زبيد وتعز. وقد حصل بين الإمام وولده المطهر بعض مواحشة بسبب رغبة الأخير في تولي الحكم مكان أبيه، ووقع من المطهر بعض الحروب لوالده ولأخيه شمس الدين، واتفقت أمور يطول شرحها، كانت من أعظم أسباب استيلاء الأتراك على كثير من جهات اليمن، واستقر الإمام بكوكبان[3]، ثم انتقل إلى

شمس الدين وحفيده الإمام شرف الدين. مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري، صـ ٥٦٧.

(١) **التعكر**: قلعة حصينة عظيمة مطلة على مدينة جبلة، وقد قيل إنه ليس في اليمن أحصن منها. مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري ، صـ٣٧.

(٢) **القاهرة**: قلعة مشهورة في تعز في وسط جبل صبر ، وقد جددت قريباً وأعيد بنائها لتصبح أحد معالم جبل صبر المطل على مدينة تعز.

(٣) **كوكبان**: حصن مشهور مطل على شبام كوكبان في الغرب الشمالي عن صنعاء على مسافة ٤٠كم تقريباً، وإنما سمي كوكبان لأن قصره كان مبنياً بالفضة والحجارة وداخلها الياقوت والجواهر، وكان ذلك الدر والجوهر يلمع بالليل كما يلمع الكوكب، فسمي بذلك. انظر مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري ، صـ٦٦٨. ولا زال آثار الحصن موجودة حتى الآن.

(الظفير) وامتحن بذهاب بصره، فصبر واحتسب، وأقام على الطاعات حتى توفاه الله ليلة الأحد وقت صلاة العشاء الآخرة سابع شهر جمادى الآخرة سنة ٩٦٥هـ ودفن بحصن الظفير وقبره هنالك معروف. وكان مدة عمره ٨٧سنة، حكم فيها لمدة أربعة وعشرين.

مكانته العلمية:

للإمام المتوكل مسيرة حافلة في تحصيل العلم، ويظهر ذلك جلياً لمن اطلع على مسموعاته وإجازاته ومشايخه وأساتذته، فقد قرأ كتب الفقه الزيدي، وكتب النحو، وكتب الأصول، وكتب التفسير، التي كانت متداولة عند علماء العصر. وقرأ كتب جده الإمام المهدي (الأزهار) و(البحر الزخار) وغيرهما، كما أن له إجازة بصحيحيى البخاري ومسلم وكتب السنن الأربعة وسنن البيهقي، وإجازة بكتب الشافعي وأصحابه، وكتب أبي حنيفة وأصحابه، ومصنفات ابن حجر ومروياته، والذهبي، وابن كثير، والسبكي، والمزي، والجزري القارئ.[1]

ولهذا قال الإمام الشوكاني[2]: " وقرأ في كثير من الفنون وبرع في العلوم العقلية والنقلية، واشتهر علمه، وظهرت نجابته، وأكبَّ على نشر العلم".

---

(١) انظر: طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١٠٨ (٧٨١)

(٢) البدر الطالع ١/ ٢٦٤ (١٩٥).

وقال ابن فند [1]: "وللإمام الأنوار الثاقبة والأنظار الصائبة في جميع العلوم، منها: (الأثمار) هذب به (الأزهار)، وهو مالك زمام الفصاحة والبيان، وكاشف لثام البلاغة والتبيان".

وقال عنه أحد أحفاده وهو: محمد بن إبراهيم بن المفضل بن إبراهيم المفضل بن علي بن أمير المؤمنين شرف الدين (١٠٣٣-١٠٨٥هـ) في كتابه الذي ألفه في سيرته الموسوم بـ (السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية اليحيوية): كان مجبولاً من صغره على نجابة ما بلغها من هو في كهولته، منقاداً إلى صعود المراتب العلية بلا زمام، وكان مغرماً بدرس العلوم، وملازمة المساجد، والحرص أن يكون في أوقات العبادات أول راكع فيها وساجد، وله من المسموعات والمرويات بطريق الإجازة عن المشائخ الأثبات ما يكثر تعداده ويشق حصره، ويخرج بنا عن دائرة الاختصار ذكره، ولم يزل كذلك حتى تضلع من العلوم العقلية والنقلية، وافترع هضبات الكمالات العلمية، وبذّ في الفضائل الغريزية والاكتسابية، وتصرف قلمه في صناعتي النظم والنثر، واشتهر ذكره في الأقطار براً وبحراً، ولاحت عليه أسرار الخلافة، وأقبل على نشر العلم وتدريسه، وتشييد قواعده.[2]

وللإمام المتوكل شعر جيد، نظمه في العلوم الشرعية، وفي الوقائع والنزاعات التي خاضها، ومن ذلك قصيدته المسماة (القصص الحق في سيرة سيد الخلق) ذات المطلع

---

(١) التحف شرح الزلف ١/ ٣٣٢ (٦١).

(٢) ذكر ذلك العلامة إبراهيم بن القاسم في طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١٠٨ (٧٨١).

الرائع:

لكــم مــن الحــب صــافيه ووافيــه ** ومن هوى القلب باديه وخافيه

أنــتم حلــول فــوادي وهــو بيــتكمُ ** وصاحب البيت أدرى بالذي فيه

مؤلفاته:

يظهر لي أن الإمام المتوكل لم يكن محتفلاً بالتأليف ولا متفرغاً له؛ نظراً لانشغاله بالسياسة والحكم والنزاعات والحروب والمشاكل التي كانت في عصره وفي حياته، لم يتح له ما أتيح لجده المهدي من الانصباب على التأليف والتفرغ له، رغم ما اتصف به من علم، وما اكتسبه من علوم عدة، وما تميز به من حسن التأليف والنباهة اللذين ظهرا فيما ألفه على قلّته، ولذلك لم يذكر المترجمون له إلا بعض العناوين أغلبها رسائل أو ردود وإجابات ولم يشتهر من كتبه إلا كتاب (الأثمار) موضوع البحث.

ومن مؤلفاته غير كتاب الأثمار:

١-الإمامة والحسبة[1].

٢- قصيدة القصص الحق في مدح خير الخلق، وهي منظومة في السيرة النبوية مؤلفة من (١٥٠) بيتاً وقد طبعت مع شرحها [2].

---

(١) أعلام المؤلفين الزيدية، ص ١١٣٤.

(٢) مصادر التراث في المكتبات الخاصة في اليمن، لعبد السلام الوجيه، ١/ ٦٠٠. وقد شرحها أكثر من واحد منها ابنه

٣- الرسالة الصادعة بأسنى المطالب الشاملة للفضائل.[1]

٤-شرح مقدمة الأثمار.[2]

٥- الجوابات والرسائل.[3]

٦- الأحكام في أصول المذهب.[4]

كتاب (أثمار الأزهار) ومكانته وما امتاز به:

أشهر مؤلفات الإمام هو كتابه (أثمار الأزهار)، والذي نال الاستحسان والثناء، ولقي العناية الفائقة من العلماء في حياته وبعد مماته، إما بشرحه وإما بالتعليق عليه، أو إفراد أدلته، أو النقل منه. وقد ألفه المؤلف وعمره يقارب الستين سنة، وقد بلغ من النضج العلمي والفقهي مبلغه، ومارس العلم تحصيلاً وتعليماً. فكان هو ثمرة علومه وفقهه، وفخره وثناؤه.

ولهذا فإنه أول ما وصل صعدة فاتحاً وحاكماً، فإنه بدأ بتسميعه وقراءة شرحه، فقد ذكر

عبدالله كما في البدر الطالع ١/ ٣٦٦ (٢٦٠) في ترجمه ابنه عبدالله، كما ذكر أيضاً شرحاً آخر للقصيدة للقاضي عثمان بن علي الوزير ٣/ ٧.

(١) مصادر التراث في المكتبات الخاصة في اليمن ١/ ٢٧٤. الأعلام للزركلي ٨/ ١٥٠.

(٢) مصادر التراث في المكتبات الخاصة في ١/ ٥٩١. طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٤٤٦.

(٣) الأعلام للزركلي ٨/ ١٥٠.

(٤) الأعلام للزركلي ٨/ ١٥٠. وأعلام المؤلفين الزيدية ص ١١٣٤.

العلامة إبراهيم بن القاسم في ترجمته أنه: " تقدم إلى صعدة سنة أربعين وتسعمائة وفيها وصل يحيى حميد بشرحه[1]، وسمع الناس على الإمام تأليفه (الأثمار) في هذه السنة منهم الزريقي، والسيد يحيى بن الحسين بن الإمام، ويحيى بن أحمد بن الإمام، وذلك في ربيع الآخر، وكان ختمه وختم شرحه في سنة ثلاث وأربعين".[2]

كما أثنى على كتابه ومدحه في مقدمته حيث قال:" فهذا مختصر مبارك، حذفت فيه وحوَّلت كثيراً من ألفاظ أصله، أوردت فيه غرراً من المعاني، وأوضحت فيه مشكلات من مسائل فنه، وصححت جماً غفيراً من المباني، فجاء بحمد الله أخمص وأبطن، وأرخص وأثمر، وأهش وأمتن، وأنس وأزكى".[3]

ولأنه لم يرد غمط كتاب الأزهار ومؤلفه الإمام المهدي جده، فقد عقّب على ما تقدم بقوله: " وإن كان الفضل للمتقدم الرجحان، و لولاه لما أعاد ولا أبدى المتأخر في الإحسان... ولا سيما من كان مستغرق الجنان والأركان بأركان الجهادين الأكبر والأصغر، الجزئية والكلية، في كل زمان ومكان"[4].

قال الإمام الشوكاني[5]: "وله مصنفات منها كتاب (الأثمار) اختصر فيه الأزهار وجاء

---

(١) يعني: يحيى بن محمد بن حسن بن حميد المقرائي (٩٠٨-٩٩٠هـ) الذي شرح الأثمار في حياة مؤلفه.

(٢) طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١١٧. والمقصود الـ٩٠٠هـ أي (٩٤٣هـ)

(٣) مخطوط الأثمار لوحة ٤.

(٤) مخطوط الأثمار لوحة ٥.

(٥) البدر الطالع ١/ ٢٦٤ (١٩٥).

بعبارات موجزة نفيسة شاملة لما في الازهار وحذف مافيه تكرار وكان على خلاف الصواب".

وتقدم ذكر ما وصفه به ابن فند[1] بأنه شرح فائق .

وقال العلامة إبراهيم بن القاسم: " وله من التصانيف كتاب (الأثمار) الذي اشتهر بالتحقيق، كان الفراغ من تأليفه في رمضان سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة، واعتنى بشرحه جماعة منهم: ابن بهران، وابن حميد، وصالح بن صديق الشافعي، ولولده عبد الله على المقدمة، شرحان بسيط ووجيز"[2].

ومؤلف الأزهار – كما تقدم- هو الإمام المهدي وهو جد الإمام المتوكل، وقد تقدم ذكر مكانة هذا الكتاب وأهميته وعناية العلماء به وكثرة شروحه وتخريجاته وغير ذلك مما يتعلق به. ومع ذلك فإن الإمام المتوكل بعد الدراسة الوافية لكتاب جده (الأزهار) وجد فيه ملاحظات عدّة واستدراكات في بعض المواضع، وتطويلاً لا يناسب الاختصار، وعبارات قد توهم ما لا يراد، وغير ذلك من الأمور، فقام بتأليف هذا الكتاب (الأثمار) محاولاً إصلاح ذلك، ليكون هذا الكتاب بديلاً لكتاب (الأزهار) خالٍ من النواقص والاستدراكات التي فيه.

وهذه الأمور سيلاحظها القارئ لشرح ابن بهران، إذ يهتم رحمه الله كثيراً بإبراز ما تميز

---

(١) مآثر الأبرار لمحمد بن علي الصعدي المعروف بابن فند ٣/ ١٧٨.

(٢) طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١١٦.

به الأثمار عن الأزهار، ويذكر ذلك كلما أمكن، وسأشير إلى هذه النقاط بالتفصيل عند الكلام على منهج المؤلف ابن مهران في شرحه هذا.

المبحث الرابع: منهج المؤلف في الكتاب ومصادره ومصطلحاته

هذا المبحث يشتمل على أربعة مطالب. الأول: في منهج المؤلف في هذا الكتاب، والثاني: في مصادر المؤلف، والثالث: في مصطلحات الكتاب، والرابع: في المآخذ على هذا الكتاب.

المطلب الأول: منهج المؤلف في هذا الكتاب:

للمؤلف ابن بهران رحمه الله منهج مميز في شرحه للكتاب، ومن خلال دراسة الكتاب -الجزء المقصود بالتحقيق- استخلصت عدة أمور، ألخصها في النقاط الآتية مع ذكر الأمثلة على ذلك بإيجاز:

١- الترتيب والتقسيم:

يسير المؤلف في ترتيب الكتاب وتقسيمه على نهج أصله (الأثمار). وذلك في تقسيمه للأبواب باب الزكاة، باب الخمس، باب الحج.. الخ. وكذلك في الفصول، والمسائل، والفروع.

٢- طريقة الشرح:

يذكر المؤلف لفظ المتن (الأثمار)، ثم يقوم بشرحه، بذكر معناه، ثم يذكر من قال به من

الفقهاء، وأدلته من القرآن والسنة، ثم قد يذكر من خالف ذلك وأدلته.وبعد شرح المتن بـما سبق، قد يذكر المؤلف ما يتعلق بالموضوع من الأمور بعنوان منفصل بقوله: مسألة أو تنبيه. وهذه إجمالاً هي طريقة شارحي المتون.

٣- الاستدلال بالقرآن الكريم:

والقرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع والفقه والاستدلال، والمؤلف رحمه الله كغيره من الفقهاء، يبتدئ في الاستدلال بآيات الكتاب الكريم كما يلاحظ ذلك القارئ لكتابه.

٤- عنايته بالأحاديث النبوية:

المؤلف رحمه الله من علماء الحديث، وله مؤلفات فيه تدل على ذلك وعلى اشتغاله واحتفائه به، ككتاب المعتمد، والذي تابع فيه ابن الأثير في كتابه (جامع الأصول) واستقى منه إلا أنه اقتصر فيه على الأبواب الفقهية. ولهذا فإن من ميزات المؤلف الجيدة التي نلاحظها من خلال الشرح: اعتماده على الأحاديث الصحيحة، فيبتدئ أولاً بما ورد في الكتب الستة، ثم إن وجد الحديث في الصحيحيين اكتفى بذلك، وإلا أورد الحديث من السنن. وهذا هو الغالب في منهج المؤلف.

والمؤلف له عناية بصحة الحديث وثبوته، وهذا هو أساس الفقه الصحيح، ولهذا فالحديث إن كان في الصحيحيين أو أحدهما يكتفي بذلك، وإن كان في غيرهما فقد ينقل عن الحافظ ابن حجر في "تلخيص الحبير" تصحيح الحديث أو تضعيفه، مثل قوله: (قيل

والمعتبر وزن مكة لحديث أبي داود والنسائي بإسناد صحيح (المكيال مكيال أهل[1] المدينة والوزن وزن مكة)[2].)

كما أنه يضعف الأقوال المخالفة مستنداً لذلك بضعف الحديث. مثاله قوله: (وتجب الزكاة فيما زاد على النصاب وإن قل لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديث علي المتقدم (فما زاد فبحساب ذلك). وعن عمر والصادق وجماعة من التابعين وأبي حنيفة لا شيء في الزايد حتى يبلغ خمس النصاب[3] لحديث رووه، قلنا لم يصح والله أعلم.)

وفي أثناء الجواب عن أدلة المخالفين يذكر من الأجوبة قوله: (قلنا: لم يصح الحديث) إذا كان دليلهم ضعيفاً.

كما أن المؤلف يعظم الحديث النبوي ويجعل ظاهر النص هو الأولى بالاتباع، وانظر إلى قوله في كتاب الزكاة بعد أن ذكر الأقوال المختلفة، فرد على المخالفين قائلاً: " **قلنا**: والعمل بظاهر النص أولى "[4]. وعندما ذكر أقوال المخالفين في وزن الدينار والدرهم عقب على

---

(١) أهل – سقطت من (ج).

(٢) أخرجه أبو داود كتاب البيوع: باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "المكيال مكيال المدينة" ٣/ ٢٥١ (٣٣٤٠). والنسائي كتاب الزكاة باب كم الصاع، ٥/ ٥٤ (٢٥٢٠)، وفي كتاب البيوع باب الرجحان في الوزن في ٧/ ٢٨٤. والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الزكاة باب أصل الوزن والكيل ٦/ ٣١ (١٠٩٤٢). كلهم من طريق طاوس عن ابن عمر. قال الحافظ في تخليص الحبير ٢/ ٣٨٣ (٨٥٢): صَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالدَّارَقُطْنِيّ وَالنَّوَوِيُّ.

(٣) ورقة ١٧٨/ الصفحة الأولى.

(٤) في كتاب الزكاة صـ ٣٩ في قسم التحقيق.

ذلك بقوله: "**قلنا**: خلاف ظاهر الأدلة"[1].

وإن كان يُؤخذ على المؤلف إيراده بعض الأحاديث الباطلة والضعيفة، إلا أنها قليلة بالنسبة لمجموع الأحاديث، وهذا المأخذ عليه بسبب نقله من كتبٍ أخرى لا تعتني بتخريج الأحاديث من أصولها والتدقيق في ثبوتها، كالـ"الغيث" و"الشفا". وسيأتي تفصيل هذه الملاحظة في الكلام على المآخذ على الكتاب.

٥- الاستطرادات والفوائد:

إذا كان هناك شيءٌ متعلق بالموضوع مما يُعد استطراداً أو شرحاً لكلمة أو تفسيراً لسبب أو إفادة بموضوع ذكر في الشرح، فإن المؤلف يفردها بعد الشرح بعنوان منفصل بقوله: فائدة. والاستطراد في الفوائد هي عادة المؤلفين الأولين في ذكر الفوائد والنكت في كتبهم وإن كانت خارجه عن الموضوع الأصلي لكن حَسُنَ ذلك بغرض إفادة القارئ. وميزة المؤلف أنه يفصلها عن الشرح بعنوان مستقل، فيقول: فائدة، أو تنبيه.

ومن أمثلة ذلك: عند تطرقه لنصاب زكاة الدينار والدرهم، ذكر نقولاً في ضرب الدينار والدرهم الإسلاميين وكيف تم ذلك وفي عهد من ومن أشار بذلك.

ومن ذلك عندما ذكر أخذ بعض العلماء بالاستحسان في ضم نصاب جنس لآخر في نقود الصيارفة لأنها كسلع التجارة تضم جميعها في اعتبار النصاب. تطرق بإيجاز محمود له

---

(١) المصدر السابق.

إلى ذكر الاستحسان ومعناه فقال: " وقد اختلفت أقوال العلماء في الأخذ بالاستحسان، فعن المؤيد أن الاستحسان هو العدول إلى أقوى القياسين للدلالة، وعن أبي طالب وأبي عبدالله البصري أنه العدول عن الحكم في الحادثة بحكم نظائرها لدلالة تخصها، وفي ذلك أقوال أخرى موضعها كتب الأصول والله أعلم."

٦- التركيز والانتصار للمذهب:

التركيز على فقه المذهب الزيدي إذ الكتاب موضوع في ذلك.

وغالباً ما يرجح ما رجحه مصنف الأثمار أو المذهب، لكن عن طريق الاستدلال له ومناقشة أدلة المخالفين.

٧- الاحتفاء والتعظيم للمتن ومؤلفه:

الاحتفاء الكبير بمؤلف المتن الإمام المتوكل، وبعباراته، واختصاراته، واختياراته، حتى لا يكاد المؤلف يخالفه في حكم، أو ينتقده في لفظ. ويرجح ترجيحاته ويقف عند اختياراته. وهذا الأمر له أسبابه القوية، فالإمام المتوكل صاحب المتن هو شيخ المؤلف وهو الحاكم والإمام حينها وهو الذي طلب من المؤلف شرح المتن، كما أنه كان يُقرأ بحضوره. ونلاحظ في سيرتهما أن معاملته للمؤلف تتسم بالكرم والاحترام والحفاوة. كل ذلك يجعلنا نتفهم ما سبق من الميل والانتصار والتقدير من الشارح ابن بهران لشيخه مؤلف المتن المتوكل. فالمودة والاحترام كان متبادلاً.

ومن ذلك قوله في هذا الشرح: " تنبيه: قد أتى المؤلف عليه السلام ونفع بحقائقه في هذا الفصل بما لم يسبق إليه أحد من أهل المذهب ولا غيرهم من تفصيل الكلام على النكاح غير الصحيح وتمييز كل قسم منه، وذكر ما يخصه من الأحكام، وزيادة ما خرج عن عبارة "الازهار"، فجعل القسم الأول له حكم الزنا من دون فصل، والقسم الثاني: له حكم الباطل، والقسم الثالث: فاسدا، القسم الرابع: له حكم بين الحكمين، وذلك غير بدع ممن رشحه الله لإحياء معالم الدين، ونوَّر خلده لتحقيق حقائق الحق المبين، زاده الله مما خصه الله به من المزايا الباهرة، وبلغه غاية آماله من خيرات الدنيا والآخرة بمنه وطوله وقوته وحوله".

٨- إظهار ميزات (الأثمار) عن أصله (الأزهار):

مؤلف الأزهار – كما تقدم- هو الإمام المهدي وهو جد الإمام المتوكل، وقد تقدم ذكر مكانة هذا الكتاب وأهميته وعناية العلماء به وكثرة شروحه وتخريجاته وغير ذلك مما يتعلق به. ومع ذلك فإن الإمام المتوكل بعد الدراسة الوافية لكتاب جده (الأزهار) وجد فيه ملاحظات عدّة واستدراكات في بعض المواضع، وإسهاباً لا يناسب الاختصار، وغير ذلك، فقام بتأليف هذا الكتاب (الأثمار) محاولاً إصلاح ذلك، ليكون هذا الكتاب بديلاً لكتاب (الأزهار) خالٍ من النواقص والاستدراكات التي فيه. وهذه الأمور سيلاحظها القارئ لشرح ابن بهران، إذ يهتم رحمه الله كثيراً بإبراز ما تميز به الأثمار عن الأزهار، ويذكر ذلك آخر الشرح كلما وجد.

ويظهر لي أن الإمام المتوكل مؤلف المتن كان يناقش ابن بهران في بعض المواضع، ويذكر له سبب اختياره لفظ "الأثمار" خلافاً لما في "الأزهار". ومن ذلك قوله في كتاب الحج بعد أن ذكر ميزة ألفاظ الأثمار ختمها بقوله: (**هذا** حاصل ما نقل عن المؤلف عليه السلام، وهو الغاية في التحقيق والنهاية في التدقيق).

وقد وجدت أن هذه الاختلافات أو الميزات التي تميز بها متن "الأثمار" عن أصله يمكن تلخيصها في خمسة أمور مستخرجة من دراسة الشرح وهي:

أ- الاختصار: فالكتاب من مقاصده الكبرى هو اختصار الألفاظ والجمل قدر الإمكان، كما هو الشأن في المتون الفقهية، لكون الأزهار في بعض المواضع قد يذكر أموراً لا داعي لذكرها إما لأنها قد ذكرت أو أنها مشمولة بعبارة أخرى مذكورة أو تكون الجملة مفهومة مما قبلها، ونحو ذلك مما ينافي الاختصار. فجاء كتاب الأثمار ليستدرك ذلك.

- ومن أمثلة ذلك: ما ذكره الشارح ابن بهران قوله في كتاب الزكاة: (إنما ترك المؤلف عليه السلام تعداد الأصناف -كما في الأزهار استغناء بما سيذكره في مواضعه مع قصد الاختصار".

- وقول ابن مهران أيضاً: (وحذف قوله في الأزهار (إلى ستين وفيها تبيعان.. إلى آخره) للاختصار وإذ لا حاجة إلى ذلك هنا).

- وكذلك قوله: (حذف قوله في الأزهار: «فمن أبدل جنسا بجنسه فأسامه، بنى، وإلا استأنف»؛ لفهم ذلك مما تقدم أول كتاب الزكاة مع قصد الاختصار).

- وقوله في كتاب الزكاة: (وعبارة الأثمار هذه أولى من عبارة الأزهار وأخصر كما لايخفى).

ب- إهمال الأقوال الضعيفة: فالمؤلف في (الأثمار) يحذف الأقوال الضعيفة أو المخالفة للمعتمد في المذهب، أو لكونها مرجوحة عنده

- ومن أمثلة ذلك قول الشارح ابن مهران: وحذف المؤلف أيده الله تعالى قوله في "الأزهار": (قيل ويعتبر حول الميت ونصابه) إلى آخره؛ لأن الصحيح للمذهب خلافه وهو أنه لا يعتبر بحول الميت مطلقاً ؛ إذ المال قد انتقل إلى ملك الوارث. **ومن عادته في هذا المختصر أن لا يشير إلى القول الضعيف كما تقدم.**

ج- ترك الألفاظ الموهمة: وهي من الأمور المستحسنة في المتون وغيرها، أن يكون اللفظ معانيه واضحة بلا لبسٍ ولا إيهام.

- ومن أمثلته قول ابن مهران: (وإنما عدل المؤلف عليه السلام عن قوله في الأزهار: «إخراج الجنس » إلى قوله: ويجوز مثل؛ لأن عبارة الأزهار توهم جواز إخراج بنت مخاض عن بنت لبون مثلا؛ إذ جنسهما واحد. وحذف قوله: «والموجود» ؛ لإيهامه جواز إخراج الموجود ولو من غير الجنس على جهة القيمة.

والله أعلم).

د- **الزيادة:** فالأثمار ليس اختصاراً فحسب بل هو إكمالٌ لما فات الأزهار من الأحكام الهامة والمعاني اللازمة، فالأثمار فيه زوائد هامة خلا منها الأزهار.

- ومن أمثلة ذلك قول الشارح ابن مهران: (قوله أيده الله وتصح مشروطة بحالي، فلا يسقط المعلوم ولا رد مع لبس). أي تصح أن تكون النية مشروطة بشرط حالي غير مستقبل، وقوله بحالّي من زوائد الأثمار، ولابدّ منه لأنه يعتبر في الزكاة حقيقة التمليك..).

هـ- **حسن السبك والصياغة:** ويشير إلى حسن صياغة الأثمار وبلاغته بعدة أساليب وعبارات.

- ومن أمثلة ذلك قول الشارح: " (وحول أصل ومبدل لفرع وبدل إن اتفقا في الصفة) هذه العبارة فيها لَفٌّ ونَشْرٌ، وهي نوع من البديع وحقيقته ذكر متعدد ثم ما لكلٍّ من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه".

٩- الإشارة إلى الأقول الضعيفة أو المخالفة للمذهب

سواء كانت هذه الأقوال من فقهاء المذهب أنفسهم وهو الغالب أو من أقوال غيرهم، وذلك بتصديرها بكلمة (قيل)،. فكل قولٍ ذكر قبله (قيل) يذكر بعده من قاله أحياناً إما بالرمز أو بالتصريح، وهو علامة على مخالفة هذا القول للمذهب، وعلامة على تضعيفه،

وقد صرح بذلك بقوله (ولهذا أشرنا إلى هذا التضعيف بقولنا قيل)، وهو أيضاً مستفاد من استقراء الكتاب.

وهذا الاصطلاح يسير عليه أيضاً متن الأزهار، إذ يذكر أحياناً بعض الأقوال بالمتن مصدراً لها بـ(قيل). وابن مهران يبين في شرحه أن المؤلف قصد بذلك تضعيف هذا القول، ثم يذكر وجه تضعيفه.

وأحياناً يخرج الماتن عن ذلك، ويكون قصده غرابة هذا القول، لكن يوضح الشارح هذا، وذلك مثل قوله: " ولا بد أن تكون الإجازة نافذة كما يقتضيه إطلاق عبارة "الأثمار"، فإن كانت مشروطة لم تصح الإجازة حتى يحصل الشرط. مثال ذلك: أن تقول المرأة أجزت العقد بشرط أن يكون المهر كذا؛ فإنه لا ينفذ العقد بإجازتها إلا إذا كان المسمى مثل ما[1] ذكرت، وروي عن الإمام المهدي عليه السلام أنه كان يقوي قول "التخريجات"، ويقول: إنما قلنا: **قيل**؛ لغرابته لا لضعفه، وكذلك قواه المؤلف عليه السلام بما هي قاعدته في هذا المختصر ".

ولهذا فقد لاحظت ذلك أثناء طباعة الشرح، فميزت هذه الكلمة (قيل) بجعلها أغمق، حتى ينتبه القارئ لذلك.

---

(١) ورقة ٣١٨/ الصفحة الثانية.

المطلب الثاني: مصادر المؤلف في الشرح:

اعتمد المؤلف على مصادر كثيرة في شرحه، وسوف ابتدئ بتفصيل أهم المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها الشارح رحمه الله، ثم أذكر باقي المصادر التي ذكرها في الشرح وذلك كالتالي:

١- مؤلفات الإمام المهدي:

الحقيقة أن الشارح ابن مهران رحمه الله، يعتمد في كتابه (تفتيح القلوب والأبصار) اعتماداً كبيراً على الإمام المهدي، وعلى كتبه الثلاثة التي سبق الإشارة إليها تفصيلاً في ترجمة الإمام المهدي وهي: (كتاب الأزهار، والغيث المدرار، والبحر الزخار)، ولعل ذلك يرجع إلى أمرين، الأول: تعظيم الشارح ابن مهران للإمام المهدي ولمكانته العلمية والمذهبية والسياسية..، والثاني: المكانة العلمية والفقهية لهذه المؤلفات حيث أنها قد احتوت على خلاصة الفقه الزيدي ولبِّه وأسسه.

فأما كتاب الأزهار، فهو لا ينفك في نهاية كل شرح لمتن الأثمار أن يقارن بينه وبين كتاب الأزهار، فيذكر نص كتاب الأزهار أو يشير إليه، ثم يذكر ميزة الأثمار على الأزهار في دقة الاختصار أو تميزه بالصياغة، أو إهماله لما حاجة له، وسبق ذكر ذلك

بالتفصيل.[1]

كما لا ينفك المؤلف ينقل عن الغيث في مواضع كثيرة، حتى أنه قد يعاب بكثرة تلك النقول، وكأنه رحمه الله أراد أن يستوعب جميع الفوائد العلمية الموجودة في الغيث والتي يراها مهمة ولا بد من معرفتها.[2] والغريب أن المؤلف ينقل من الغيث حتى عن الكتب التي بين يديه ويستطيع أن ينقل منها مباشرة، مثل كتاب " شفاء الأوام في أحاديث الأحكام"، فإنه ينقل عن الغيث عن الشفاء، فيقول: قال في "الغيث": قال في "الشفا". مع أن "الشفا" بيد المؤلف وينقل منه في مواضع كثيرة.

وإذا أطلق ابن بهران في كتابه هذا كلمة "الشرح"، فالغالب أنه يقصد به هذا الكتاب يعني شرح الأزهار. حيث يقول أحياناً: قال في الشرح.. وذكر في الشرح.

وقل مثل ذلك عن كتاب البحر الزخار، فلا ينفك أن ينقل منه الفوائد والتعليلات، قائلاً: قال في البحر، وذكر في البحر.[3]

ولهذا فلا غرابة أن نجد تلميذ ابن بهران العلامة يحيى بن محمد بن حسن بن حميد

---

(١) انظر صـ١٠٨ من هذه الدراسة.

(٢) فمثلاً في كتاب الصوم نقل عن الغيث صـ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٣، ٢٧٩.

(٣) فمثلاً في كتاب الصيام نقل عن البحر الزخار صـ، صـ . وقد سبق التعريف بكتب الإمام المهدي ومنها البحر الزخار عند ترجمته.

المقرائي (١) (٩٠٨-٩٩٠هـ) يعتبر أن كتاب شيخه ابن مهران (تفتيح القلوب) يحتوي على شرح البحر الزخار، والأزهار[٢]. ولو زاد وذكر (الغيث المدرار) لما أبعد.

وهذا لا يعني غمط مكانة شرح ابن بهران، ولكن فيه دلالة على الاعتماد الكبير للشارح على مؤلفات الإمام المهدي في الفقه. ولا غرو فقد قال القاضي أحمد الجنداري (١٢٧٩-١٣٣٧هـ) في ترجمة للإمام المهدي: " مهما باشرت علم الفقه وجدت الجم الغفير يغترفون من بحره، وينتجعون من غيثه، فالدفاتر من بعده وإن تعددت فشيخها أحمد، والعلماء وإن تكاثروا فإنه واسطة عقدهم المنضد"[٣].

٢- (سنن أبي داود):

الشارح ابن بهران رحمه الله يهتم بالنقل من الصحيحين في المقام الأول، وأما في غيرهما فإنه يعتني كثيراً بسنن أبي داود ويعظمها، فكثيراً ما ينقل منها في عشرات المواضع، وقد

---

(١) والذي قام أيضاً بشروح للأثمار ذكرها من ترجم له وهي (الوابل المغزار المطعم لأثمار الأزهار) وكتاب (فتح الأزرار عن مخبآت الأثمار) وهي عبارة عن شرح للأثمار كتبه في هامشه. و (شرح فتح الغفار المفتح لمقفلات الأثمار).(الشموس والأقمار الطالعة من أفق فتح العزيز الغفار المفتح لمقفلات الأثمار المنتزع من الوابل المغزار في فقه الأئمة الأطهار) كما قام أيضاً بشرح مقدمة كتاب الأزهار سماه (معاني مقدمة الأزهار الكافل لغير المجتهد بالسلامة من الأخطار). انظر ترجمته في: طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١٣٤. أعلام المؤلفين الزيدية ١١٤٨-١١٤٩. مقدمة تحقيق كتاب مكنون السر في تحرير نحارير السر لزيد بن علي الوزير.

(٢) انظر: مكنون السر في تحرير نحارير السر ص ٨٥.

(٣) منقولة من مقدمة كتاب الأزهار، الطبعة الخامسة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م. طبعة غمضان.

صرح بمكانة السنن وأهميتها في مقدمة هذا الشرح فقال: (من شروط المجتهد أن يكون عالماً بالسنة النبوية.. ويكفيه ذلك كتاب جامع لأكثر ما ورد من ذلك كسنن أبي داود..).[1]

ومقصود الشارح وغيره من العلماء احتواء سنن أبي داود على أصول أحاديث الأحكام، وليس معناه الإحاطة والاستيعاب، أو الاقتصار عليه، وهو صنيع الشارح ابن بهران رحمه الله، حيث نقل عن الصحيحين وعن الموطأ والسنن وغيرها، لكن كان له عناية واهتمام بسنن أبي داود، وهو ما يدل على بصره بمكانتها التي اتفق العلماء عليها، وقد قال الإمام الخطابي[2] في مقدمة شرحه لسنن أبي داود : "فأما السنن المحضة فلم يقصد واحد منهم جمعها واستيفاءها ولم يقدر على تخليصها واختصار مواضعها من أثناء تلك الاحاديث الطويلة ومن أدلة سياقها على حسب ما اتفق لأبي داود". وقال أيضاً: "وقد جمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم وأمهات السنن وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدماً ما، سبقه إليه ولا متأخراً لحقه فيه". ثم قال: "سمعت أبا سعيد بن الاعرابي ونحن نسمع عليه هذا الكتاب - يعني " سنن " أبي داود - يقول: لو أن رجلا لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب، لم يحتج معهما إلى شئ من العلم بتة.[3]

---

(١) شرح الأثمار، القسم الأول، بتحقيق بشرى العماد ، ١/ ١٩٠.

(٢) شرح سنن أبي داود المسمى "معالم السنن" للخطابي ١/ ٤-٦. مطبوع بهامش سنن أبي داود مع تعليقات ابن القيم . وقد نقل أقواله هذه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة الخطابي .

(٣) ومن ثم صرح الامام الغزالي بأنها تكفي المجتهد في أحاديث الاحكام وتبعه أئمة على ذلك. إلا أن في ذلك كما قال

ومؤلف السنن هو أبو داود سليمان بن الأشعث (٢٠٢- ٢٧٥هـ). الإمام، شيخ السنة، مقدم الحفاظ أبو داود الأزدي، السجستاني، محدث البصرة، صاحب السنن. صنف كتابه (السنن) قديما، وعرضه على أحمد بن حنبل، فاستجاده، واستحسنه.أ.هـ وقال عن كتابه السنن: كتبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خمس مائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب، جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثماني مائة حديث، ذكرت الصحيح، وما يشبهه ويقاربه....[1]

٣- (تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير) لابن حجر

تخريج الحديث فن أساسي من فنون الحديث، وقد كان للحفاظ والمحدثين عناية خاصة بتخريج أحاديث الكتب الفقهية، حيث أنها أساس العمل ومصدر الأحكام والحلال والحرام. ومن أهم الكتب المؤلفة في هذا الباب كتاب الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) (تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير). والكتاب تخريج لكتاب (الشرح الكبير لكتاب الوجيز)[2] في الفقه الشافعي للإمام عبدالكريم بن محمد القزويني الرافعي (٥٥٥هـ-٦٢٣هـ) شيخ الشافعية في وقته.

الإمام ابن الأمير في إجابة السائل شرح بغية الآمل ١/ ٣١٨: " فيه قصور وتقصير وتساهل كثير" أ.هـ

(١) ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٥/ ٢١٩.

(٢) والوجيز هو من تأليف الإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله، وقد شرحه الرافعي بشرحين كبير وصغير.

وقد ذكر الحافظ في المقدمة التعريف بالكتاب وما يحتويه فقال ما لفظه:

" فقد وقفت على تخريج أحاديث شرح الوجيز للإمام أبي القاسم الرافعي، شكر الله سعيه، لجماعة من المتأخرين، منهم: القاضي عز الدين بن جماعة(1)، والإمام أبو أمامة بن النقاش(2)، والعلامة سراج الدين عمر بن علي الأنصاري(3)، والمفتي بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي(4)، وعند كل منهم ما ليس عند الآخر من الفوائد والزوائد، وأوسعها عبارة وأخلصها إشارة، كتاب شيخنا سراج الدين، إلا أنه أطاله بالتكرار فجاء في سبع مجلدات(5)، ثم رأيته لخصه في مجلدة لطيفة(6)، أخلَّ فيها بكثير من مقاصد المطول وتنبيهاته، فرأيت تلخيصه في قدر ثلث حجمه مع الالتزام بتحصيل مقاصده، فمن الله

---

(1) هو القاضي أبو عمر عز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني، الحموي الأصل، الدمشقي المولد، ثم المصري، الشافعي، المتوفى بمكة (سنة ٧٦٧هـ). وكتابه (تخريج أحاديث الرافعي) ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد ٦/ ٢٠٧ .

(٢) هو الإمام محمد بن علي بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الرحيم الدكالي، ثم المصري، الشافعي أبو أمامة، المعروف بـ "ابن النقاش"، خطيب جامع ابن طولون، (ت٧٦٣ هـ). وكتابه هو (تخريج أحاديث الرافعي). ترجمته في البدر الطالع للشوكاني ٢/ ٢٠٤.

(٣) هو الإمام عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله، عمدة المصنفين، سراج الدين أبو حفص الأنصاري، المعروف بابن الملقن (٧٢٣هـ-٨٥٤هـ). ترجمته في البدر الطالع ١/ ٤٨٥ (٢٥٥)

(٤) هو محمد بن بهادر بن عبد الله، العالم العلامة، المصنف المحرر، بدر الدين أبو عبد الله المصري، الزركشي. (٧٤٥-٧٩٤هـ)، وكتابه هو (الذهب الإبريز في تخريج أحاديث فتح العزيز). وله كتاب آخر في التخريج اسمه (المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر) مطبوع. ترجمته في أنباء الغمر لابن حجر ١/ ١٦٨.

(٥) وهو كتاب (البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير) طبعت أجزاء منه.

(٦) وهو كتاب (خلاصة البدر المنير) مطبوع.

بذلك، ثم تتبعت عليه الفوائد الزوائد من تخاريج المذكورين معه، ومن تخريج أحاديث الهداية في فقه الحنفية، للإمام جمال الدين الزيلعي[1]، لأنه ينبه فيه على ما يحتج به مخالفوه، وأرجو الله إن تم هذا التتبع، أن يكون حاويا لجل ما يستدل به الفقهاء في مصنفاتهم في الفروع، وهذا مقصد جليل".[2]

وكتاب التلخيص الحبير هو من الكتب الأصيلة والمهمة في التخريج، ويرجع إليه أكثر الفقهاء، حيث أنه قد اشتمل على تخريج أغلب الأحاديث الفقهية، كما يتميز بذكر الحكم عليها في الغالب من حيث الصحة والضعف والقبول والرد، ولمكانة مؤلفه رحمه الله ومنزلته في علم الحديث، حيث يذكر خلاصة الحكم على الحديث من حيث الصحة أو الضعف. ولهذا قال بعض الأئمة: يكفي المجتهد من علم السنة تلخيص الحبير لابن حجر. قال الإمام ابن الأمير، تعليقاً على ذلك: قلت من يريد الاجتهاد فيما ينوبه ويتعلق بتكاليفه فنعم يكفيه ذلك.[3]

والشارح ابن بهران رحمه الله كثيراً ما ينقل من تلخيص الحبير،، يقول: قال في

---

(١) هو الإمام الفاضل البارع، المحدث المفيد، الحافظ المتقن، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن أيوب بن موسى الحنفي الزيلعي (توفي ٧٦٢ هـ.) رحمه الله. وكتابه المشهور (نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية). ترجمته في مقدمة كتابه نصب الراية.

(٢) مقدمة تلخيص الحبير ١/ ١١٦. طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٨٩م.

(٣) إجابة السائل شرح بغية الآمل، للعلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق:القاضي حسين السياغي ود.حسن محمد مقبولي الأهدل، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م. صـ ٣١٨.

التلخيص، ذكر في التلخيص، صحححه في التلخيص. ما يقارب عن ٤٣ موضعاً من النص المحقق في هذه الدراسة.

ومن أمثلة ذلك: قول المؤلف: (لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (في كل سائمة دينار) ذكره في التلخيص بمعناه منسوبا إلى الدارقطني،[1] وقال: إسناده ضعيف جدا).

وقوله: (ومن ذلك ما في رواية البيهقي من حديث أبي هريرة: «في الركاز الخمس» قيل: وما الركاز يا رسول الله؟ قال: «الذهب والفضة خلقت في الأرض يوم خلقت»[2]. انتهى، وفي راويه: أنه متروك ومضعف. ذكره في التلخيص[3]، والله أعلم.)

وقوله: (هكذا لفظه في التلخيص (٤)، ونسبه إلى الدارقطني والبيهقي، وقال: بإسناد صحيح... إلى آخر ما ذكره.)

وأحياناً ينقل الشارح ابن بهران من التلخيص جميع أحاديث الباب التي ذكرها ابن حجر، انظر مثالاً على ذلك في أول كتاب النكاح، فبعد أن ذكر تعريف النكاح وحكمه ، قال: قال في التلخيص.. ثم ساق أحاديث الباب التي ساقها وهي ثمانية أحاديث مع ما ذكر ابن حجر من تخريجها والحكم عليها.

---

(١) في السنن ٢/ ١٢٥ (١) بلفظ (في الخيل السائمة في كل فرس دينار تؤديه) وقال: تفرد به غورك عن جعفر وهو ضعيف جداً ومن دونه ضعفاء.

(٢) سنن البيهقي الكبرى ٤/ ١٥٢ (٧٨٩٠). وقال: تفرد به عبد الله بن سعيد المقبري وهو ضعيف جدا.

(٣) تلخيص الحبير ٢/ ٣٩٤ (٨٦٤).

(٤) تلخيص الحبير ٢/ ٢١١.

ما تقدم من مصادر هي أهم المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها الشارح في كتابه، أما المصادر الأخرى فهي كثيرة، بعضها مخطوط وبعضها مطبوع، وقد رتبتها على حسب حروف المعجم، وقد ذكرت تعريفاً موجزاً قدر الإمكان لكل كتاب وما يتعلق به:

١)- <u>**إحياء علوم الدين**</u>: للإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥هـ)(١)، وقد ألفه في مدينة دمشق. وقد اختلف الناس في كتابه هذا اختلافاً كبيراً، بين معظم له وبين مزرٍ له، وأعظم ما انتقد عليه هو كثرة إيراده للأحاديث الضعيفة والموضوعة، وقد جمع الإمام السبكي في طبقاتهالأحاديث الواقعة في كتاب الأحياء التي لم يجد لها إسنادا، وعدتها ٩٤٣ حديثا تقريبا. ولهذا فقد قام الحافظ العراقي بتخريج أحاديث إحياء علوم الدين باختصار، وهو المطبوع في هامش الكتاب.

قال أبو بكر الطرطوشي: شحن أبو حامد " الإحياء " بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا أعلم كتابا على بسيط الأرض أكثر كذبا منه، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ومعاني رسائل إخوان الصفا، وهم قوم يرون النبوة مكتسبة، وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق. وقال الذهبي: فيه من الاحاديث الباطلة جملة، وفيه خيركثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية، نسأل الله علما نافعا.(٢)

---

(١) والكلام مبسوط على كتاب الإحياء ومؤلفه في سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٩/ ٣٢٢ (٢٠٤).

(٢) ٦/ ٢٨٧- ٣٨٨.

٢)- **أصول الأحكام في الحلال والحرام** - للإمام أحمد بن سليمان المتوكل (٥٠٠- ٥٦٦هـ) أحد أئمة الزيدية الأعلام. وهو كتاب مشهور، يحتوي على ٣٣١٢ حديثاً، لَخَّصَهُ من التجريد، وحذف أسانيده، وقد طبع محققاً عن مؤسسة الإمام زيد بتحقيق عبد الله بن حمود العزي، في مجلدين.

٣)- **الأحكام في الحلال والحرام**: للإمام الهادي: يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي (٢٤٥- ٢٩٨ هـ) وقد طبع الكتاب بتحقيق علي بن أحمد بن أبي حريصة.[١]. ونقل الهادي بن إبراهيم الوزير في هداية الراغبين ١/ ٢٧٢ عن القاضي حميد قوله عن الكتاب: وهو مجلدان في الفقه، مضمناً من تفصيل الأدلة من الآثار والسنن النبوية والأقيسة القوية؛ ما يشهد له بالنظر الصائب والفكر الثاقب، وحسن المعرفة.[٢]

٤)- **الأذكار** / المسمى بـ " حِلْيَةُ الأَبْرَارِ وَشِعَارُ الأَخْيَارِ في تَلْخِيصِ الدَّعوَاتِ والأَذْكَارِ المُسْتَحَبَّةِ في اللَّيْل والنَّهَارِ"- للإمام النواوي أبي زكريا يحيى بن شرف (٦٣١هـ- ٦٧٦هـ) إمام أهل زمانه في مذهب الإمام الشافعي، له مصنفات كثيرة مثل الروضة في الفقه والمجموع شرح المهذب، وشرح صحيح مسلم ورياض الصالحين. والأذكار كتاب لا تكاد تخلو منه مكتبة علمية، وقد اشتهر في فضله قولهم

---

(١) منشورات مكتبة التراث الإسلامي – صعدة، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

(٢) انظر: في هداية الراغبين للهادي بن إبراهيم الوزير، الناشر: مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ١/ ٢٧٢.

(بع الدار واشتر الأذكار). وقد قال المؤلف في مقدمة الكتاب عن الدافع له وعن منهجه: "وقد صنَّف العلماءُ رضي اللهّ عنهم في عمل اليوم والليلة والدعوات والأذكار كتباً كثيرةً معلومةً عند العارفين، ولكنها مطوّلة بالأسانيد والتكرير، فضَعُفَتْ عنها هممُ الطالبين، فقصدتُ تسهيل ذلك على الراغبين، فشرعتُ في جمع هذا الكتاب مختصراً مقاصد ما ذكرته تقريباً للمعتنين، وأحذف الأسانيد في معظمه لما ذكرته من إيثار الاختصار، ولكونه موضوعاً للمتعبدين، وليس إلى معرفة الأسانيد.. وأقتصر في هذا الكتاب على الأحاديث التي في الكتب المشهورة التي هي أصول الإِسلام وهي خمسة: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي. وقد أروي يسيراً من الكتب المشهورة غيرها. وقد طبع الكتاب طبعات عدة".

٥)- **الإرشاد في الفقه**: لمؤلفه العلامة إسماعيل بن أبى بكر المعروف بالمقرىء الزبيدى (٧٥٤هـ- ٨٣٧هـ). قرأ في عدة فنون وبرز فى جميعها، وفاق أهل عصره، وطال صيته، واشتهر ذكره، ومهر في صناعة النظم والنثر، وجاء بما لا يقدر عليه غيره، وأقبل عليه ملوك اليمن وصار له حظ عظيم عند الخاص والعام. وولاه الملك الأشرف تدريس المجاهدية بتعز والنظامية بزبيد فأفاد الطلبة وعين للسفارة الى الديار المصرية. وقال الحافظ ابن حجر : "عالم البلاد اليمنية ، شرف الدين أصله من

الشرجة من سواحل اليمن ، وولد سنة خمس وستين وسبعمائة[1] بأبيات حسين ، وسكن زبيد ، ومهر في الفقه والعربية والأدب ، وجمع كتابا في الفقه سماه عنوان الشرف ، يشتمل على أربعة علوم غير الفقه ، يخرج من رموز في المتن عجيب الوضع ، اجتمعت به في سنة ثمانمائة ثم في سنة ست وثمانمائة ، وفي كل مرة يحصل لي منه الود الزائد والإقبال..."[2].

وقال الإمام الشوكاني عن مؤلفه العجيب المعروف بـ (الشرف الوافي).: "ومن تأمله رأى فيه ما يعجز عنه غالب الطباع البشرية... وقال لما ترجمته: وترجمته تحتمل كراريس . وقال عن كتابه " الإرشاد": "وهو كتاب نفيس في فروع الشافعية، رشيق العبارة، حلو الكلام، فى غاية الايجاز مع كثرة المعانى. وشرحه في مجلدين. وقد طار فى الآفاق واشتغل به علماء الشافعية فى الأقطار وشرحه جماعة منهم.[3]

٦)- **الإفادة**: لأبي القاسم بن ثال (توفي في القرن الخامس الهجري) وهو الحسن بن أبي الحسن الهوسمي. فقيه، يروي مذهب الإمام المؤيد بالله وأبي طالب والقاسم عن الأول وأخذ عنه القاضي يوسف بن الحسن، وقد ألف كتابه هذا- "الإفادة" في فقه شيخه المؤيد بالله الهاروني.[4]

---

(١) ذكر الشوكاني في البدر الطالع ١/ ١٣٢ (٨٩) وغيره أن مولده سنة ٧٥٤هـ وأهل الدار أدرى بمن فيه.

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر، للحافظ ابن حجر ، ٨/ ٣٠٩. طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

(٣) انظر: البدرالطالع ١/ ١٣٢ (٨٩).

(٤) انظر: أعلام المؤلفين للوجيه ص ٣١٢.

٧)- **الأم**: كتاب صنفه الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠هـ- ٢٠٤هـ)، جمع فيه أقواله وآراءه في الفقه مع بيان النصوص القرآنية والحديثية التي أداه اجتهاده باستنباط الأحكام منها. وهو من الكتب التي يرجح أن الشافعي رحمه الله دونها بنفسه مثل كتاب الرسالة. وله ميزة خاصة حيث أنه دونه بمصر، فهو مصدر لآراء الشافعي المتأخرة أو ما يعرف بالمذهب الجديد له، وقد اشتمل هذا الكتاب على معظم أبواب الفقه، وقد قيل إنه أول كتاب صنف في الفقه، ولم يقتصر الأمر على هذا بل كان للإمام السبق في تأليف وتبويب كتب لم تعرف قبله مثل: كتاب الرسالة، وكتاب المسابقة والمناضلة.

وكما أن "الأم" كتاب حديثي فقهي، فهو يحتوي على مناضرات فقهية وأصولية مع المخالفين، ومن ذلك أن الشافعي رحمه الله مكنه الله من انواع العلوم حتى عجز لديه المناظرون من الطوائف وأصحاب الفنون واعترف بتبريزه وأذعن الموافقون والمخالفون في المحافل المشهورة الكبيرة المشتملة على أئمة عصره في البلدان وهذه المناظرات معروفة موجودة في كتبه رضى الله عنه وفي كتب الأئمة المتقدمين والمتأخرين، وفي كتاب الأم للشافعي رحمه الله من هذه المناظرات جمل من العجائب والآيات، والنفائس الجليلات، والقواعد المستفادات، وكم من مناظرة وقاعدة فيه يقطع كل من وقف عليها وانصف وصدق أنه لم يسبق إليها.[١]

---

(١) انظر : مقدمة كتاب المجموع شرح المهذب ، للإمام شرف الدين النووي ، تحقيق : محمد نجيب المطيعي، الناشر: دار

وقد طبع الكتاب طبعات كثيرة وقديمة، ومنها طبعة دار الفكر.

٨)- **الانتصار على علماء الأمصار في تقرير المختار من مذاهب الأئمة وأقاويل علماء الأمة**: للإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم (٦٦٩هـ-٧٤٧هـ) وقد طبع أجزاء من أوله بتحقيق: عبد الوهاب بن علي المؤيد وعلي بن أحمد مفضل.(١)

٩)- **البلغة في الفقه**: من كتب المؤيد بالله أبي الحسين الهاروني (٣٣٣ ـ ٤١١هـ). تقدمت ترجمته.

١٠)- **التجريد في فقه الهادي يحيى بن الحسين وجده القاسم الرسي عليهما السلام**: للمؤيد بالله: أبي الحسين أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين الهاروني، الحسني (٣٣٣ـ ٤١١هـ) وهو من أشهر كتب الزيدية وأهمها حتى اليوم ولا تكاد تخلو منه مكتبة من المكتبات الشهيرة. وقد طبع بإعداد: عبد الله بن حمود العزي.(٢)

١١)- **التحرير**: للإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني (٣٤٠-٤٢٤هـ). في فروع الفقه الزيدي، وهو كتاب قيم جمع فيه مسائل فقه القاسم والهادي وولديه عليهم السلام، وصاغها بصياغة أنيقة مبوبة على أبواب الفقه. قال الحجوري في الروضة: " صنف كتاب (التحرير) وجمع فيه فقه أهل البيت، ثم شرحه واحتج له، فهو أجمع كتاب من

الفكر، بيروت ، سنة النشر ١٩٩٧م. ج١ صـ١٠.

(١) مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

(٢) مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية – عمان – الأردن – ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م

كتب أهل البيت ". وقيل إن في التحرير بفوائده وأصوله ما يزيد على عشرين ألف مسألة، ولم يكن فقه العترة قبل القاسم إلا في مجموع.. في ورقتين أو ثلاث.[1]

١٢)- **التـرغيب والترهيب**: للشيخ الإمام الحافظ زكي الدين أبي محمد: عبد العظيم بن عبدالقوي المنذري (توفي ٦٥٦هـ)، وهو كتاب كبير في مجلدين، ذكر أنه: ألفه حاويا لما تفرق في غيره من الكتب مقتصراً على ما ورد صريحا في: (الترغيب والترهيب)، وذكر الحديث بعزوه إلى من رواه من أصحاب الكتب المشهورة (كالصحيحين) و (السنن الأربعة) وبعض المسانيد، ثم يشير إلى: صحة إسناده وحسنه أو ضعفه وأفرد للراوي والمختلف فيه بابا في آخر الكتاب، ذكرهم: مرتبا على الحروف، وذكر الأحاديث في: خمسة وعشرين كتابا على ترتيب: (المصابيح)[2].

١٣)- **التقرير في شرح التحرير**: في الفقه الزيدي، وهو كتاب من مؤلفات الأمير الحسين بن بدر الدين (٥٨٢ ـ ٦٦٢هـ) مؤلف كتاب (شفاء الأوام)[3]. والتقرير ستة أجزاء في أربعة مجلدات له عدد من النسخ المخطوطة.[4]

---

(١) انظر: طبقات الزيدية ٣/ ١٢٧.مقدمة الإفادة في تاريخ الأئمة السادة ١/ ٨.

(٢) المصابيح ، كتاب للإمام الحسين بن أحمد البغوي، جمع فيه متون أحاديث مبوبة في الترغيب والترهيب والأحكام الشرعية، وهو كتاب عظيم لقي القبول من العلماء وعليه شروح وتعليقات كثيرة أشهرها كتاب (مشكاة المصابيح) للتبريزي.

(٣) سيأتي التعريف بكتاب شفاء الأوام برقم (٥٢).

(٤) انظر: طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٣٥٤. ومآثر الأبرار ٢/ ٢٢٤. وأعلام المؤلفين الزيدية ١/ ٣٩٣.

١٤)- **التنبيه**: كتاب في فقه الشافعية وهو من تأليف الإمام أبي إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف (٣٩٣ – ٤٧٦ هـ). قال الذهبي: الشيخ، الإمام، القدوة، المجتهد، شيخ الإسلام، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي، الشيرازي، الشافعي، نزيل بغداد. ثم قال: وبحسن نيته في العلم اشتهرت تصانيفه في الدنيا، " كالمهذب "، و"التنبيه"، و" اللمع في أصول الفقه ". وقد كان إمام وقته ومرجع الطلاب. قال في مقدمته: "هذا كتاب مختصر في أصول مذهب الشافعي رضي الله عنه اذا قرأه المبتدي وتصوره تنبه به على أكثر المسائل واذا نظر فيه المنتهي تذكر به جميع الحوادث ان شاء الله تعالى". والكتاب مطبوع عدة طبعات منها طبعة عالم الكتب بتحقيق عماد حيدر في مجلد.[1]

١٥)- **الحفيظ**: كتاب للقاضي العلامة يوسف بن محمد الأكوع (توفي في القرن الثامن الهجري). قرأ في الفقه وغيره على السيد محمد بن إدريس الحمزي، وألقى عليه تلميذه البوسي كتاب (الحفيظ) في الفقه، وكان تمام تأليفه منتصف شهر ربيع الآخر ٧٦٢هـ، وكان من المعاصرين للإمام يحيى بن حمزة. قال العلامة ابن أبي الرجال: وهذا (الحفيظ) من أجلّ كتب المذهب وأحواها للشوارد، بحيث لا ينبغي تركه لطالب تحقيق، وهو مخدوم بالشروح، وفيه يقول القاضي زين الدين المذكور:

---

(١) انظر: في سير أعلام النبلاء ٣٥/ ٤٢٨ (٢٣٧). وفيات الأعيان ١/ ٢٩. والأعلام ١/ ٥١. مقدمة التنبيه.

حفظ (الحفيظ) مقال كل موافق ** وغدا يفيض بزاخرٍ متدافقِ

متوشحاً بمسائلٍ منثورةٍ ** متطوِّقاً بمسلسلٍ متعانقِ

يا سالكاً في الفقه منهج مهتدٍ ** لاتقصدن سوَى (الحفيظ) الفائقِ

جمع (الكفاية) و(الزيادة) و(المنَى) ** حصر المسائل كلها باللاَّئقِ

سبعون ألفاً جرّدت في متنه ** من بعد ألفٍ بالمقال الصَّادقِ

ولـ"الحفيظ" نسخة بخط المؤلف بمكتبة السيد محمد زبارة. ونسخ أخرى متفرقة.[1]

١٦)- <u>**الزهور المشرقة على اللمع**</u>: للفقيه يوسف بن أحمد بن محمد عثمان الثلائي، المتوفى (٨٣٢هـ).[2]

١٧)- <u>**الزهور المضيئة المحصلة لمعاني اللمع الخفية من فقه الأئمة الزيدية**</u> المشهور بشرح اللمع أو الزهرة على اللمع - للفقيه العلامة جمال الدين علي بن يحيى الوشلي (٦٦٢-٧٧٧هـ)، وهو من الفقهاء المذاكرين، والذين يرمز لهم المؤلف بـ الفقيه علي أو (ع). قال ابن أبي الرجال: هو الفقيه المذاكر، أوحد المذاكرين، وناظورة المتأخرين، هو الحجة في المذهب...، لم يضع الفقيه علي بن يحيى شيئاً في كتبه إلا ما كان مذهباً للهادي.[3]

---

(١) ترجمة المؤلف في طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١٦٢ (٨١٣). ومطلع البدور ١/ ٩٣.

(٢) ترجمته في: مطلع البدور ومجمع البحور للعلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال ٤/ ٦٣٨.

(٣) ترجمته في طبقات الزيدية ٢/ ٢٤٨ (٥١٨). ومطلع البدور ٣/ ٣١٤.

١٨)- **الشامل**: كتاب في فقه الشافعية لابن الصباغ عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد، أبي نصر الفقيه الشافعي البغدادي (٤٠٠- ٤٧٧هـ)، فقيه العراق وكان يضاهي أبا إسحاق الشيرازي، وكانوا يقولون: هو أعرف بالمذهب من أبي إسحاق. وكانت الرحلة إليهما. والشامل كما يصفه الأولون كتاب كبير، قيل: لو تم لكان ثلاثمائة مجلدة تم منه ثمانون مجلدة. وقال ابن خلكان: وهو من أجود كتب الشافعية وأصحها نقلا. وله عدة شروح وتعليقات، كشرح الشاشي (ت٥٠٧هـ) وسماه الشافي. وشرح لعثمان الكردي (ت٧٣٨هـ) وغيرهما.[١]

١٩)- **الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية** - للإمام اللغوي العظيم إسماعيل بن حماد الجوهري أبي نصر (ت ٣٩٣هـ) لغوي، من الأئمة، وخطه يذكر مع خط ابن مقلة، أشهر كتبه (الصحاح) مجلدان، وله كتاب في (العروض) ومقدمة في (النحو). أصله من فاراب[٢]، ودخل العراق صغيرا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وأقام في نيسابور[٣]. يقال إنه: أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله، فقد تأبط

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٤ (٢٣٨). والوافي بالوفيات ٦/ ١٦٠. أبجد العلوم ٣/ ١١٥. وكشف الظنون ٢/ ١٠٢٥.

(٢) **فاراب**: ولاية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك وهي أبعد من الشاش بالقرب من بلاد ساغو، ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم إلا أن بها منعة وبأسا وقد خرج منها جماعة من الفضلاء، منهم الجوهري هذا، والفارابي الفيلسوف (ت٩٣٣). انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، ٤/ ٢٢٥. وتقع في تركيا وتسمى الآن أترار وهي مدينة فوق الشاش قريبة من مدينة بلاساغون (أرشيف منتدى الألوكة صـ٥٩٥).

(٣) نيسابور: مدينة عظيمة ذات فضائل وتسمى (أبرشهر)، من مدن خراسان، وإحدى عواصمها. كانت في العصر

الجناحين ونهض بهما، فخانه اختراعه، فسقط إلى الأرض قتيلاً. وكتابه "الصحاح" أصح معجم عربي، وهو أول معجم لغوي صحيح سار على نهج يسر اللغة وقربها وجعلها في متناول الناس جميعا، حيث بناه على حروف الهجاء، والاعتماد على آخر الكلمة – بدلا من أولها – ثم النظر إلى ترتيب حروف الهجاء عند ترتيب الفصول، وقد سمى الحرف الأخير " بابا " والحرف الأول " فصلا " فكلمة " بسط " يبحث عنها في باب الطاء، لأنها آخر حرف فيها، وتقع في فصل الباء، لأنها مبدوءة بها.[1]

٢٠)- **الطراز على اللمع**: كتاب للقاضي عبد الله بن الحسن اليمانى الصعدى الزبدى الملقب الدوارى (٧١٥هـ- ٨٠٠هـ). قال ابن أبي الرجال: ولعمري إنه مفقود النظير، جمعه وقت قراءته (لِلُمَعِ) الأمير علي بن الحسين – عليهما السلام – وكان سمَّاه (الطراز)، ثم سمَّاه (الديباج النضير على لمع الأمير، من أجل الكتب، كان الإمام المؤيَّد بالله محمد بن القاسم لا يفارقه، ثم تلاه صنوه المتوكل على الله، أثنى عليه كثيراً. وله مصنفات أخرى، قرأ على علماء عصره وتبحر فى غالب العلوم وصنف التصانيف

العباسي من أشهر مراكز الثقافة والتجارة والعمران، نسب إليها كثير من العلماء منهم الثعالبي مصنف (يتيمة الدهر)، والخيام مصنف المقامات، و الميداني مصنف مجمع الأمثال، ومسلم بن الحجاج مصنف الصحيح، والبيهقي. انظر: بحث منشور على موقع الإسلام بعنوان: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، صـ٣٩٤. ومعجم البلدان لياقوت، ٥/ ٣٣١. ولا زالت المدينة قائمة وتقع الآن في شمال شرق إيران في محافظة خراسان رضوى.

(١) ترجمته في الأعلام للزركلي.١/ ٣١٣. وانظر مقدمة كتابه "الصحاح".

الحافلة منها في الاصول "شرح جوهرة الرصاص" وهو أحسن شروحها.[1]

٢١)- **الكافي:** لمحمد بن يعقوب الهوسمي (توفي ٤٥٥هـ) من تلاميذ القاسم بن إبراهيم الرسي ـ عليه السلام والإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني، وكان محققاً مجتهداً من قضاة السيد أبي طالب، ومن مصنفاته (الإبانة وشرحها الكبير والصغير، والمتوسط)، و (الكافي)، وكتاب (أصول الديانات) في الكلام، و (تعليق العمدة في أصول الفقه). والكافي والإبانة وشرحها صارا عمدة في كتب الزيدية.[2]

٢٢)- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: تفسير مشهور أبان فيه مؤلفه عن وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن، وفصل في جمال النظم القرآنى وبلاغته، ومؤلفه هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزَّمَخْشَري الخُوارزمي (٤٦٧هـ- ٥٣٨هـ) قال العلامة ابن خلدون في مقدمته عنه[3]:" والصنف الآخر من التفسير و هو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة و الإعراب و البلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد و الأساليب.... ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد فيأتي بالحجاج على مذاهبهم

---

(١) البدر الطالع ١/ ٣٦٥ (٢٥٨). طبقات الزيدية ٢/ ١٥ (٣٦١). ومصادر التراث للوجيه ١/ ٣٧٨. ومطلع البدور ٣/ ٦١.

(٢)ترجمته في طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ٣ (٦٩٧)

(٣) صـ ٤٢٢ (طبعة دار الفكر، بيروت ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).

الفاسدة حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة. فصار ذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه و تحذير للجمهور من مكامنه مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان و البلاغة و إذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنية محسناً للحجاج عنها فلا جرم إنه مأمون من غوائله فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان. و لقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين و هو شرف الدين الطيببي من أهل توريز من عراق العجم شرح فيه كتاب الزمخشري هذا و تتبع ألفاظه وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزيفها ويبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة لا على ما يراه المعتزلة فأحسن في ذلك ما شاء مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة و فوق كل ذي علم عليم".

ومؤلف الكشاف هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزَّمَخْشَري الخُوارزمي، النحوي،اللغويَ،المتكلم،المعتزلي،المفسر، يلقب جار الله، لأنه جاور بمكة زماناً. كان ممن برع في الأدب،والنحو واللغة، لقي الكثير، وصنّف التصانيف، ودخل خراسان عدّة نوب،وما دخل بلداً إلا واجتمعوا عليه وتلمذوا له. وكان علاّمة الأدب، ونسّابة العرب، تُضْرَب إليه أكباد الإبل. وقد ذكر ابن خلكان في ترجمته أنه كان "معتزلي الاعتقاد متظاهراً به". وأن له التصانيف البديعة منها " الكشاف " في التفسير لم يصنف قبله مثله، و" الفائق في غريب الحديث " و"أساس

البلاغة" وغير ذلك.[1]

٢٣)- **اللمع في فقه أهل البيت عليهم السلام**، مؤلفه الأمير علي الحسين (ت ٦٢٤هـ) من فقهاء الزيدية المشاهير في اليمن. وكتابه من الكتب الزيدية الهامة في أربعة مجلدات، وعليه شروح كثيرة، وقد أخذه من كتابي التجريد والتحرير للإمامين الهارونيين. ونسخه المخطوطة كثيرة مبثوثة في المكتبات، منه ١٥ مجلداً في مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير تضم أجزاءه المختلفة.[2]

٢٤)- **المفردات**: واسمه " الأدوية المفردة" وقد طبع في مجلدين. والكتاب من تأليف ابن البيطار عبد الله بن أحمد المالقي، (ت٦٤٦هـ)، إمام النباتيين وعلماء الأعشاب. ولد في مالقة[3]، وتعلم الطب، ورحل إلى بلاد الأغارقة وأقصى- بلاد الروم، باحثا عن الأعشاب والعارفين بها، حتى كان الحجة في معرفة أنواع النبات وتحقيقه وصفاته وأسمائه وأماكنه.واتصل بالكامل الأيوبي (محمد بن أبي بكر) فجعله رئيس العشابين في الديار المصرية. وللمؤلف ابن البيطار أيضاً كتاب " المغني في الأدوية المفردة"

---

(١) ترجمته في طبقات المفسرين للإمام السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ)، صـ ٤٧ (١٤٧). والتفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ١/ ٤١٢.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ١٦٨. وانظر: أعلام المؤلفين الزيدية (٧٢١)

(٣) **مَالَقة**: بفتح اللام والقاف، مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية سورها على شاطىء البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية، وتقع على ساحل البحر المتوسط . استولى عليها الإسبان واستخلصوها من يد المسلمين سنة ١٤٨٧م. انظر: معجم البلدان لياقوت، ٥/ ٤٣. والتعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية، صـ٢٩٩.

مرتب على مداواة الأعضاء، و "ميزان الطبيب".[1]

٢٥)- **المنتخب**: للإمام الهادي: يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي (٢٤٥-٢٩٨هـ). والإمام الهادي هو أول من صنف في فقه المذهب بالترتيب الفقهي المعروف، ولهذا فالمذهب في اليمن ينسب إليه كما تقدم. قال الفقيه حسام الدين حميد في بيان تصانيف الإمام: ومنها (كتاب المنتخب) في الفقه أيضاً وهو من جلائل الكتب، وفيه فقه واسع وعلم رائق. وقال الهادي بن إبراهيم الوزير: وسمعت عن شيخنا وسيدنا العلامة فخر الدين قدس الله روحه أن المنتخب أول ما صنف الهادي عليه السلام، وهو حدث السنين دون العشرين. وقد طبع في مجلد نشرته دار الحكمة اليمانية مع كتاب الفنون عام ١٩٩٣م.[2]

٢٦)- **المهذب**، كتاب في فقه الشافعية، وهو عمدة فيه ولا زال، وهو الذي شرحه النووي في كتابه (المجموع شرح المهذب). وهو من تأليف الإمام أبي إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف (٣٩٣ - ٤٧٦ هـ). قال الذهبي: الشيخ، الإمام، القدوة، المجتهد، شيخ الإسلام، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي، الشيرازي، الشافعي، نزيل بغداد. ثم قال: وبحسن نيته في العلم اشتهرت تصانيفه

---

(١) ترجمته في الأعلام للزركلي ٤/ ٦٧.

(٢) انظر: هداية الراغبين للهادي بن إبراهيم الوزير ١/ ٢٧٢. وكتاب: الإفادة في تاريخ أئمة السادة، لأبي طالب يحيى بن الحسين ١/ ٩٦.

في الدنيا، " كالمهذب" و" التنبيه "، و " اللمع في أصول الفقه ". وقد كان إمام وقته ومرجع الطلاب. واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة.وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية على شاطئ دجلة، فكان يدرس فيها ويديرها.وعاش فقيرا صابرا.وكان حسن المجالسة، طلق الوجه، فصيحا مناظرا، ينظم الشعر.[1]

٢٧)- **المهذب لمذهب الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة:** والمنصور بالله: هو الإمام عبدالله بن حمزة، الحسني اليمني (٥٦١ـ٦١٤هـ) أحد أئمة الزيدية المشهورين ومن أبرز فقهائهم، واختياراته الفقهية لها قدر كبير لدى فقهاء الزيدية.[2]

جامع الفتاوى : هذه الفتاوى للإمام المنصور جمعها الشيخ العالم محيي الدين محمد بن أحمد بن علي بن الوليد القرشي الصنعاني (المتوفى سنة ٦٢٣هـ)[3] في كتابه الذي سماه (الدر المنثور في فتاوى الإمام المنصور).

مؤلف المهذب: محمد بن أسعد بن علاء بن إبراهيم المرادي المذحجي العنسي، من

---

(١) ترجمته في سير أعلام النبلاء ٣٥/ ٤٢٨ (٢٣٧). وفيات الأعيان ١/ ٢٩. والأعلام ١/ ٥١.

(٢) قام بالإمامة سنة ٥٨٣هـ، وخاض معارك عديدة مع المطرفية حتى كاد يفنيهم، ومع سلاطين بني حاتم، وضد السلطان طغتكين، وتفنن في علوم عدة، وجمع في خزائنه الكتب الكثيرة، وله عدة مؤلفات غالبها فتاوى ومسائل وجلها مخطوط، وسيرته مفردة في كتاب السيرة المنصورية تأليف علي بن نشوان في أربعة مجلدات، وسيرته مبثوثة في التراجم الزيدية. انظر: طبقات الزيدية الكبرى لإبراهيم بن القاسم برقم (٣٦٥). وأعلام المؤلفين الزيدية برقم (٦٠٨). ويرمز له المؤلف ابن بهران كما في بعض النسخ بالفقيه ص.

(٣) ترجمته في مقدمة تحقيق كتاب المهذب ١/ ١٠.

كبار علماء الزيدية في عصر الإمام عبدالله بن حمزة (المتوفى بعد سنة ٦٠٣هـ).

وهذا الكتاب هو ترتيب وتهذيب لما جمعه القرشي من الفتاوى، حيث إن الفقيه محمد بن أسعد (مهذبه) قال يشرح دافعه إلى تأليفه: فإني نظرت فيما جمعه الشيخ العالم محي الدين... فوجدت مسائل الكتاب مشتبكة، وفنونها مختلطة، فرأيت أن أضم كل جنس إلى بابه وألحقه بنوعه، وأكفي طالب الفائدة تكلف الطلب، وأخفف عنه مؤنة التعب.أ.هـ كما أنه بالإضافة لما ذكره فإنه يذكر في أغلب مسائل الكتاب موافقة الإمام المنصور بالله عليه السلام لمذاهب يحيى أو القاسم أو الناصر أو المؤيد، أو غيرهم من الأئمة والمخرجين والمحصلين والشارحين والفقهاء المؤصلين، أو تفرده في المسائل مما يزيدها جلاء ووضوحاً، ويبين اجتهاد ومذهب ورأي الإمام عليه السلام.[1]

٢٨)- **النهاية في غريب الحديث والأثر** – كتاب مشهور متداول ومطبوع في أربعة أجزاء – لابن الأثير (أبي السعادات) المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري مجد الدين، المحدث اللغوي الأصولي (٥٤٤هـ- ٦٠٦هـ)، نشأ في جزيرة ابن عمر[2] صنف الكتب الحسان كهذا الكتاب، وكتاب "جامع الأصول في أحاديث

---

(١) وقد طبع الكتاب بتحقيق عبدالسلام الوجيه، الناشر: مؤسسة الإمام زيد الثقافية. الطبعة الأولى ٢٠٠٠م

(٢) **جزيرة ابن عمر**: بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام، على الضفة اليمنى (الغربية) لنهر دجلة، يذكر إن أول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي وكان له امرأة بالجزيرة وذلك سنة قرابه سنة ٢٥٠هـ. وأخربها التتار لما غزو العراق، وينسب إليها جماعة من العلماء منهم علماء أسرة ابن الأثير وهم مجد الدين وضياء الدين وعز الدين، انظر: معجم

الرسول"، وهو مطبوع في عشرة أجزاء جمع فيه الكتب الستة.[1]

٢٩)- **الوابل المغزار من كتاب شرح الأثمار** – المؤلف يحيى بن محمد بن حسن بن حميد المقرائي (٩٠٨–٩٩٠هـ).[2] وانتهى من تأليفه يوم الجمعة سادس جمادى الأولى سنة ٩٤١هـ. [3] وقد قرئ بحضور الإمام المتوكل وجماعة من العلماء. وهذا هو الشرح المشهور من شروح المقرائي وهو المتبادر عند ذكر (شرح الأثمار). والظاهر أنه شرح منتقى أو مختصر من شرحه الكبير كما يفهم من عنوانه.

٣٠)- **الوافي**: متن مشهور في فقه الحنفية، ومؤلفه هو أبو البركات عبد الله بن احمد بن محمود المعروف بحافظ الدين النسفي (توفي٧١٠هـ)، كان إماماً كاملا عديم النظير في زمانه رأسا في الفقه والأصول بارعا في الحديث ومعانيه، تفقه على محمد بن عبدالستار الكردري وعلى حميد الدين الضرير وبدر الدين جواهر زاده، وله تصانيف معتبرة منها: الكافي شرح الوافي، وكنز الدقائق متن مشهور في الفقه، والمنار متن في الأصول، وشرحه كشف الأسرار، والمصفى، والمستصفى، والاعتماد شرح العمدة، ودخل بغداد سنة ٧١٠هـ ووفاته في هذه السنة.

البلدان لياقوت، ٢/ ١٣٨. وتعريف بالأماكن المذكورة في البداية والنهاية، صـ٤١٦.

(١) ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ١٤١ (٥٥٢).

(٢) ذكر هذا الاسم المؤلف نفسه حيث قال: وكذا الأثمار وشرحي عليه (الوابل المغزار). انظر طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١٣٤.

(٣) ذكر ذلك في آخر ورقة منه، نقلاً عن مقدمة تحقيق كتاب مكنون السر للمؤلف – لزيد بن علي الوزير، ص ٤٧.

٣١)- **الوافي على مذهب الهادي** لعلي بن بلال. منه نسخة مخطوطة في القرن السادس في ١٦٧ ورقة كتبت لخزانة المنصور بالله عبدالله بن حمزة برقم ١٢٦١ مكتبة الأوقاف. والمؤلف هو العلامة الفقيه أبو الحسن علي بن بلال (توفي أواخر القرن الرابع الهجري) ، صاحب التصانيف، من أكابرعلماء الزيدية ومشاهيرهم من مدينة آمل طبرستان، وله عدة كتب في المذهب منها (الوافر) في مذهب الناصر – عليه السلام – كتاب جليل، وهذا الكتاب.[1]

٣٢)- **الوسيط في الفرائض** – لأحمد بن نسر بن مسعود العنسي (ت٦٧٠هـ) فقيه، فرضي من علماء القرن السابع الهجري، تلقى علومه على العلامة أحمد بن القاسم الشاكري، وعلي بن مسعود النويرة وغيرهما. وكتابه الوسيط في الفرائض شهير وله عدة نسخ مخطوطة، منه نسخة خطية برقم (٣) فرائض المكتبة الغربية، بالجامع الكبير بصنعاء، وأخرى ضمن مجموع مكتبة آل الوزير في هجرة السر، خط سنة ٨١٢هـ بخط ممتاز، وثالثة بمكتبة السيد العلامة محمد بن محمد المنصور ضمن مجموع، ونسخة مصورة عنها بمكتبة السيد محمد بن عبدالعظيم الهادي خطية سنة ١٠٧٣هـ.

قال في خطبته ما لفظه: فإنه لما سمع عليَّ الفقيه أحمد بن قاسم الشاكري مذاكرة في الفرائض ألقيتها على وجه الإجمال من غير أن آتي له في شيء منها بمثال، على الحد

---

(١) ترجمته في أعلام المؤلفين الزيدية للوجيه (ص٧٠٤)، ومطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ٣/ ١٨٧.

الذي سمعته وحفظته على شيخي (القاضي) علي بن مسعود النويرة، كما سمعه وحفظه النويرة من الشيخ أبي الفضل العصيفري فسألني بعد ذلك المساعدة إلى تعليقها وبيان كل مسألة منها بمثال". [1]

وقد وهم بعض المترجمين فجعله للحسن بن أحمد بن مسعود كما في مطلع البدور ٢/ ٦ وأعلام المؤلفين الزيدية صـ ٣٠١. متابعاً لمصادر الحبشي.. والصحيح هو الأول حيث تنقل عنه كتب الفقه الزيدية، وما تفيده ترجمته.

٣٣)- **الياقوتة**: تأليف السيد عماد الدين، يحيى بن الحسين الحسني (توفي ٧٢٩هـ). أخذ العلم عن المؤيد بن أحمد، عن الأمير الحسين، عن جده الأمير علي بن الحسين بسنده. وأخذ عنه: ولده الهادي بن يحيى، ومحمد بن عبد الله بن حمزة مؤلف كتاب الذريعة، وغيرهما. قال القاضي ابن أبي الرجال: هو السيد العماد حافظ الشريعة، وسيد المذاكرين، وعلامة الفقهاء، وفقيه العلماء صاحب (الياقوتة) و (الجوهرة) وله كتاب في الفقه يسمى (اللباب)، وله مسائل غير ذلك. توفي وعمره نيف وستون سنة. [2]

٣٤)- **تجريد الصحاح**: لرزين بن معاوية العبدري السرقسطي (المتوفى: سنة ٥٣٥هـ). جاور بمكة دهرا، وحدث عنه: قاضي الحرم أبو المظفر محمد بن علي الطبري، والزاهد أحمد بن محمد بن قدامة والد الشيخ أبي عمر، والحافظ أبو موسى المديني،

---

(١) انظر: أعلام المؤلفين الزيدية صـ ٢٠٣. مطلع البدور لابن أبي الرجال ١/ ٣٨٩. وانظر: طبقات الزيدية ١/ ٢٠٥.

(٢) ترجمته في طبقات الزيدية ٣/ ٩٨ (٧٧٥) ومطلع البدور ٢/ ١٣٨. ومآثر الأبرار ٢/ ٢٥٩.

والحافظ ابن عساكر، وقال: كان إمام المالكيين بالحرم.

وكتابه في الحديث هو تجريد جمع فيه بين " الموطأ " والصحاح الخمسة[1]، ورتب كتابه على الأبواب دون المسانيد، قال الإمام الذهبي: أدخل كتابه زيادات واهية لو تنزه عنها لأجاد.

وعليه اعتمد ابن الأثير في تصنيف كتابه " جامع الأصول ". حيث قال في مقدمة كتابه ١/ ٤٩: ورأيت كتاب «رزين» هو أكبرها وأعمها (أي الكتب التي جمعت مصنفات الحديث) حيث حوى هذه الكتب الستة التى هي أم كتب الحديث، وأشهرُها في أيدي الناس، وبأحاديثها أخذ العلماء، واستدل الفقهاء، وأثبتوا الأحكام، و شادوا مباني الإسلام... فحينئذ أحببت أن أشتغلَ بهذا الكتاب الجامع لهذه الصحاح. ثم قال: فلما تتبعته وجدته-على ما قد تعب فيه - قد أودع أحاديث في أبواب، غير تلك الأبواب أولى بها، وكرر فيه أحاديث كثيرة، وترك أكثر منها. ثم إنني جمعت بين كتابه وبين الأصول الستة التى ضمنها كتابه، فرأيت فيها أحاديث كثيرة لم يذكرها في كتابه، إما للاختصار، أو لغرض وقع له فأهملها، ورأيت في كتابه أحاديث كثيرة لم أجدها في الأصول التي قرأتها وسمعتها ونقلت منها، وذلك لاختلاف النسخ والطرق، ورأيته قد اعتمد في ترتيب كتابه على أبواب البخاري،

(١) الصحاح الخمسة : البخاري ومسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي.

فذكر بعضها، وحذف بعضها.[1]

والشارح ابن بهران لا ينقل عن رزين مباشرة بل بواسطة كتاب جامع الأصول، وذلك يظهر بعد تتبع المواضع التي نقل منها.

٣٥)- **جامع الأصول في أحاديث الرسول** – كتاب مشهور متداول ومطبوع في عشرة أجزاء جمع فيه الكتب الستة – وهو من تأليف ابن الأثير المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري أبي السعادات مجد الدين، المحدث اللغوي الأصولي. (٥٤٤هـ- ٦٠٦هـ).[2]

وقد ذكر فيه مقدمة رائقة في علم الحديث وكتبه، وذكر سبب تأليفه أنه وقف على الكتب السابقة التي جمعت مصنفات علم الحديث ككتاب تجريد الصحاح لرزين العبدري الذي هو أكبرها وأعمها، حيث حوى الكتب الستة التى هي أم كتب الحديث، وأشهرُها في أيدي الناس، وبأحاديثها أخذ العلماء، واستدل الفقهاء، وأثبتوا الأحكام، و شادوا مباني الإسلام. ومصنفوها أشهر علماء الحديث، وأكثرهم حفظاً، وأعرفهم بمواضع الخطأ والصواب، وإليهم المنتهى، وعندهم الموقف.. فحينئذ أحببت أن أشتغلَ بهذا الكتاب الجامع لهذه الصحاح. ثم ذكر الانتقادات التي في كتاب رزين وعقب عليها بقوله: فناجتنى نفسي- أن أُهذِّب كتابه، وأرتب

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٠٤. وكشف الظنون ١/ ٣٤٥.

(٢) ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ١٤١ (٥٥٢).

أبوابه، وأوطيء مقصده، وأسهل مطلبه، وأضيف إليه ماأسقطه من الأصول، وأتبعه شرح ما في الأحاديث من الغريب والإعراب والمعني، وغير ذلك مما يزيده إيضاحاً وبياناً.

والذي يظهر للدارس لشرح ابن مهران أن مؤلفه ينقل الأحاديث النبوية عن ثلاثة مصادر: أولها جامع الأصول، والثاني تلخيص الحبير، والثالث شفاء الأوام.

والأساس فيها هو جامع الأصول، فالمؤلف يسير على منهج ابن الأثير في ضم الموطأ إلى الكتب الستة بدلاً من ابن ماجه. كما ينقل منه الألفاظ والروايات والتخريجات، وعند المقارنة بين ما يذكره المؤلف ابن بهران بما ورد في جامع الأصول، وجدت المؤلف يعتمد كثيراً عليه، وهو يصرح بذلك في بعض المواضع، كما في كتاب الحج في نزول الأبطح، حيث أورد ما يقارب ١١ حديثاً في ذلك، ثم قال عقبه: "**نقل جميع ذلك من جامع الأصول**".

وقد لا يشير إلى النقل منه، لكن عند التتبع والمقارنات يظهر جلياً أنه هو المعتمد في نقل الأحاديث والروايات، فمثلاً تجد في بعض الروايات أن ابن الأثير قد يغفل ذكر الترمذي مثلاً وينقل الرواية عن الموطأ مع أنه أولى بالذكر، فيتابعه المؤلف في ذلك كما في حديث تزويج ميمونة في كتاب الحج، وغير ذلك من المواضع.

واعتماد المؤلف على هذا الكتاب ليس بغريبٍ، فـ"جامع الأصول" هو مرجع الفقهاء والعلماء في الرجوع إلى أحاديث الكتب الستة، حيث إنه أجاد في جمعها وتبويبها

وترتيبها وذكر اختلاف ألفاظها، بطريقة متميزة وميسرة أقرب تناولاً وأسهل من مراجعة الكتب الستة كلاً على حدة.

٣٦)- **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري):** لإمام المفسرين محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ). من الأئمة المجتهدين، وهو شيخ المفسرين وشيخ المؤرخين، ويعتبر تفسيره من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسِّرين الذين عنوا بالتفسير النقلى، وكذا في التفسير الموضوعي، نظراً لما فيه من الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحاً يعتمد على النظر العقلى، والبحث الحر الدقيق. قال السيوطى رضى الله عنه: "وكتابه أجَّل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، والإعراب، والاستنباط، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين". وقال النووى: "أجمعت الأُمة على أنه لم يُصنَّف مثل تفسير الطبرى" وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما التفاسير التى فى أيدى الناس، فأصحها تفسير ابن جرير الطبرى، فإنه يذكر مقالات السَلَف بالأسانيد الثابتة، وليس فبه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين، كمقاتل بن بكير والكلبى".[1]

٣٧)- **حياة الحيوان الكبرى:** لمحمد بن موسى الدميري (٧٤٢هـ- ٨٠٨هـ) قال الشوكاني في البدر الطالع ٢/ ٢٦٤: ومن مصنفاته "حياة الحيوان" الكتاب المشهور الكثير

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ١/ ١٩٢. الناشر دار إحيار التراث العربي، ط ٢ .

الفوائد مع كثرة ما فيه من المناكير. قال في مقدمته: "هذا كتاب لم يسألني أحد تصنيفه، ولا كلفت القريحة تأليفه، وإنما دعاني إلى ذلك أنه وقع في بعض الدروس، التي لا مخبأ فيها لعطر بعد عروس، ذكر مالك الحزين والذيخ[1] المنحوس، فحصل في ذلك ما يشبه حرب البسوس، ومزج الصحيح بالسقيم... فقلت عند ذلك في بيته يؤتى الحكم، وبإعطاء القوس باريها تتبين الحكم، وفي الرهان سابق الخيل يرى، وعند الصباح يحمد القوم السرى، واستخرت الله تعالى وهو الكريم المنان، في وضع كتاب في هذا الشأن وسميته حياة الحيوان، جعله الله موجباً للفوز في دار الجنان، ونفع به على ممر الأزمان، إنه الرحيم الرحمن، ورتبته على حروف المعجم، ليسهل به من الأسماء ما استعجم".

٣٨)- **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى**[2]: لمحب الدين أبي العباس أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن محمد الطبري (٦١٥-٦٩٤هـ). ولد بمكة، وأفتى ودرس، وتفقه وصنف كتابا كبيرا في الأحكام في ست مجلدات وتعب عليه مدة ورحل إلى اليمن

---

(١) **الذيخ**: بكسر الذال ذكر الضباع الكثير الشعر والأنثى ذيخة والجمع ذيوخ وأذياخ وذيخة. ورد ذكره في حديث في صحيح البخاري. انظر: حياة الحيوان للدميري صـ٥٠٦. بتحقيق أحمد حسن ، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ط٢.

(٢) طبع هذا الكتاب بدار الكتب المصرية في مجلد.وطبع بتحقيق أكرم البوشي، مكتبة الصحابة، جدة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م. وطبع في: مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي بالقاهرة (سنة ١٣٥٠هـ) (عن نسخة دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية.

وأسمعه للسلطان صاحب اليمن، له مكانة عند الملك المظفر صاحب اليمن، وكان يسافر إلى اليمن ويسمع عليه المظفر هناك بعض مروياته وتواليفه. وروى عنه الدمياطي وابن العطار وابن الخباز والبرزالى وجماعة. ومن مؤلفاته: كتاب الرياض النضرة في فضائل العشرة، وكتاب ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، وكتاب السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، وكتاب القرى في ساكن أم القرى، وغير ذلك.[1]

وهذا الكتاب مستودع للأحاديث المكذوبة والموضوعة وخرافات وأساطير الرافضة، ينقل الأحاديث بلا إسناد، وعن كتب لا تُعرف، أو أنها كتب رافضية بلا أسانيد تجمع الأكاذيب والخرافات، وهذا يدركه أي طالب علم يتصفح ولو جزءاً منه، وليس هذا من كتب السنة وحاشا السنة من مثل هذا الكتاب. وقد حطَّ منه الإمام السخاوي وذكر عن الحافظ ابن حجر أن مؤلفه كان كثير الوهم في عزو الحديث.[2] كما أشار لذلك الهيثمي في الصواعق المحرقة.[3]

كما ذكر الفاسي مؤرخ مكة في كتابه "العقد الثمين" أن المحب الطبري يضمِّن كتبه أحاديث ضعيفة وموضوعة في فضائل الأعمال وفضائل الصحابة من غير تنبيه على

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد ٥/ ٤٢٤.

(٢) ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد ٥/ ٤٢٤.

(٣) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، للحافظ ابن حجر الهيثمي، ٢/ ٦٤٧. حققه: عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م.

ذلك، ولا ذكر إسنادها ليعلم منه حالها، وغاية ما صنع أن يقول: أخرجه فلان ويسمى الطبراني مثلاً وغيره من مؤلفي الكتب التي أخرج منها الحديث المشار إليه...[1]

وقد ذكر ابن حجر في لسان الميزان[2]:حديث (من أطعم اخاه لقمة حلوة لم يذق مرارة يوم القيامة) قال: وقد أورده المحب الطبري في أحكامه وقال هذا غريب يتلقى بالقبول ويعمل به، وما درى أن فضالة متهم بالوضع، فإن ابن عدى أخرج له عن أبي يعلى عن بن عرعرة عنه بهذا السند ما عرض على النبي صلى الله عليه و سلم طيب قط فرده وقال لا يرويه عن محمد إلا فضالة وكان عطارا فاتهم بهذا الحديث لينفق العطر.. الخ.

وهكذا أغلب ما ذكر في الكتاب. والشارح ابن بهران لم ينقل عنه مباشرة إنما بواسطة "الغيث"، بل وعقَّب على أحد أحاديثه بقوله: (وقد عد ابن الجوزي هذا الحديث من الموضوعات، وقطع بذلك وبالغ فيه..).

٣٩)- **روضة الطالبين وعمدة المفتين**: للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، الشافعي،

---

(١) انظر مقدمة كتاب المحب الطبري "القرى لقاصد أم القرى"، تحقيق: مصطفى السقا، طبعة دار الفكر، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، صـ١٧.

(٢) لسان الميزان، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ٤/ ٤٣٤، تحقيق : دائرة المعرف النظامية – الهند ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(٦٣١ - ٦٧٦هـ) وهـذا الكتـاب مـن الكتـب المعتمـدة في تقريـر مـذهب الشـافعي اختصـره مـن شرح الرافعـي. (٥٥٧هـ-٦٢٣هـ) (العزيـز شرح الـوجيز)، والـ"الوجيز" هو للغزالي. وقد استدرك فيها على الرافعي مواضع جمة، وزاد عليه مسائل وقيودا وشروطا، وقد أفرد بعضهم زياداتها في مجلدين لطيفين.

والنووي هو محرر مذهب الشافعي وقد انتشرت تآليفه في الآفاق، وتعلق بها الطلبة والعلماء وانتفعوا بها، وما يزال الناس ينتفعون بكتبه، ويؤثرونها. وقال ابن كثير عنه: شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه.وقال الذهبي: وكان مع تبحره في العلم وسعة معرفته بالحديث والفقه واللغة وغير ذلك بما قد سارت به الركبان رأسا في الزهد، قدوة في الورع.أ.هـ.[1]

٤٠)- **زوائد الإبانة**: لمحمد بن أحمد القرشي (ت ٦٢٣هـ). والإبانة من الكتب المعتمدة في فقه الزيدية، من تأليف محمد بن يعقوب الهوسمي (ت ٤٥٥هـ)، وزوائد الإبانة كانت في الأصل حواشي وهوامش لجماعة من علماء العراق كمحمد بن صالح وغيره، فلما وصلت نسختها إلى اليمن في زمن القرشي وجد الحواشي في مواضع قد زادت على الأصل فنسخها متناً وجعل علامة الإبانة الأصل، وعلامة الزوائد زيادة

(١) ترجمته في المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي للحافظ السيوطي، مطبوع في أول كتاب روضة الطالبين، دار الكتب العلمية، بيروت. وكذا في: طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة. تحقيق: د.الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧ هـ، الطبعة: الأولى. ٢/ ١٥٣. و العبر في خبر من غبر، للذهبي (٦٧٣هـ/ ٧٤٨هـ) تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الناشر مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤، الكويت. ٥/ ٣١٢.

وذلك في رمضان سنة ٦١٠هـ.

٤١)- **سنن ابن ماجه**: لمحمد بن يزيد أبي عبدالله القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ). قال الذهبي في السير[1]: قد كان ابن ماجة حافظا ناقدا صادقا، واسع العلم، وإنما غض من رتبة سننه ما في الكتاب من المناكير، وقليل من الموضوعات. وحكى الذهبي عن ابن الأثير أنه قال: كتابه كتاب مفيد قوي النفع في الفقه، لكن فيه أحاديث ضعيفة جدا، بل منكرة حتى نقل عن الحافظ (المزي) أن الغالب فيما تفرد به الضعف، ولذا لم يضفه غير واحد إلى الخمسة، بل جعلوا السادس الموطأ، قال الحافظ ابن حجر: أول من أضاف (ابن ماجة) إلى الستة أبو الفضل ابن طاهر حيث أدرجه معها في (أطرافه)، وكذا في (شروط الأئمة الستة)، ثم الحافظ عبد الغني في كتاب (الكمال في أسماء الرجال)، الذي هذبه الحافظ المزي، وقدمه على (الموطأ) لكثرة زوائده. انتهى[2]

٤٢)- **سنن أبي داود**: وقد تقدم الكلام عليه في المصادر الأساسية للمؤلف.

٤٣)- **<u>سنن البيهقي (السنن الكبرى)</u>**: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي (توفي ٤٥٨هـ) قال ابن الصلاح: ما ثم كتاب في السنة

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٨.

(٢) الرسالة المستطرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق محمد المنتصر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٤، ١٤٠٦هـ، صـ ١٤٧.

أجمع للأدلة من كتاب (السنن الكبرى للبيهقي)، وقال الذهبي[1]: ليس لأحد مثله، وقال التاج السبكي[2]: ما صنف في علم الحديث مثله تهذيبا وترتيبا وجودة اهـ.

وقد طبعت (السنن الكبرى) أولا بالهند في سنة ١٣٥٣هـ في دائرة المعارف العثمانية في (١٠) مجلدات، ثم صورت في دارالفكر، وطبعت أيضا في دارالكتب العلمية ١٤١٤هـ بتحقيق (محمد عبد القادر عطا)، وعدد أحاديثها (٢١٨١٢) حديثا، وقد وضعت أرقام صفحات الطبعة الهندية بهامشها، وذلك مفيد جدا، ثم طبعت مرة ثالثة في دارالفكر ١٩٩٦ في (١٥) مجلدا، وعدد أحاديث هذه الطبعة (٢٢٤٤٠) حديثا، وآخر طبعاتها بمكتبة الرشد الرياض ١٤٢٥هـ في (١٠) مجلدات، ضبط نصها الشيخ (عبد السلام علوش)، وينقص جميع هذه الطبعات تخريج الأحاديث والآثار.[3]

٤٤)- **سنن الترمذي**: لمحمد بن عيسى الترمذي (٢٠٠-٢٧٩هـ). قال الباجوري في (حاشية الشمائل): وناهيك بجامعه الصحيح الجامع للفوائد الحديثية والفقهية، والمذاهب السلفية والخلفية، فهو كاف للمجتهد، مغن للمقلد، نعم عنده نوع تساهل في التصحيح، ولا يضره، فقد حكم بالحسن مع وجود الانقطاع في أحاديث

---

(١) في سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٦ في ترجمة البيهقي.

(٢) طبقات الشافعية ، للسبكي. تحقيق: د.محمود الطناحي ود. عبدالفتاح الحلو، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع- ١٤١٣هـ، الطبعة: الثانية. ٤/ ٩

(٣) انظر: الرسالة المستطرفة ص٢٧٢.

من سننه، وحسن فيها ما انفرد روايته به، كما صرح به هو، فإنه يورد الحديث ثم يقول عقبه أنه حسن غريب، أو صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، لكنه أجيب بأنه اصطلاح جديد، ولا مشاحة في الاصطلاح انتهى و عدد أحاديث (الجامع) كما في طبعة دار الفكر١٩٩٤ (٣٩٨٢) حديثا، وفي طبعة بشار عواد معروف (٤٣٤١) حديثا.[١]

٤٥)- **سنن النسائي**: لأحمد بن شعيب الخراساني (٢١٥هـ-٣٠٣هـ)، وهي المعروفة (بالسنن الصغرى)، وسماه المجتبى، قال (أبو علي الغساني): اختصره من كتابه الكبير في السنن، وذلك أن بعض الأمراء سأله عن كتابه في السنن: أكله صحيح ؟، فقال: لا، قال: فاكتب لنا الصحيح منه مجودا، فصنع (المجتبى)، فهو المجتبى من السنن، ترك كل حديث أورده في السنن مما تكلم في إسناده بالتعليل.اهـ ذكره ابن خير في فهرسته[٢]، ونقل الذهبي[٣] نحوه عن ابن الأثير وتعقبه بقوله: قلت: هذا لم يصح بل (المجتنى) اختيار ابن السني.اهـ، وحكى عن الحاكم قوله: كلام النسائي على فقه الحديث كثير، ومن نظر في سننه تحير في حسن كلامه اهـ.

---

(١) انظر: الرسالة المستطرفة صـ ١٣٣.

(٢) فهرسة ابن خير الاشبيلي، لأبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي(٥٠٢هـ-٥٧٥هـ) ، تحقيق محمد فؤاد منصور، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م . صـ ٩٧.

(٣) في سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣١ .

وعدد أحاديثه (٥٧٧٤). قال الحافظ ابن كثير[1]: قول الحافظ أبي علي بن السكن، وكذا الخطيب البغدادي في كتاب (السنن للنسائي) إنه صحيح، فيه نظر، وإن له شرطا في الرجال أشد من شرط مسلم غير مسلم، فإن فيه رجالا مجهولين، إما عينا، أو حالا، وفيهم المجروح، وفيه أحاديث ضعيفة، ومعللة، ومنكرة، كما نبهنا عليه في الأحكام الكبيرا.هـ.[2]

٤٦)- **<u>شرح الإبانة</u>** – لأبي جعفر محمد بن يعقوب الهوسمي (ت٤٥٥هـ) وتقدم ترجمة المؤلف عند ذكر كتابه (الكافي).

٤٧)- **<u>شرح الإرشاد – واسمه (الاسعاد بشرح الارشاد)</u>**: كتاب في الفقه الشافعي تأليف ابن أبي شريف محمد بن محمد كمال الدين أبي المعالي المقدسي الشافعي (٨٢٢هـ- ٩٠٦هـ)، أخذ عن الشهاب بن رسلان، والحافظ بن حجر، والشيخ عبدالسلام البغدادي، والكمال بن الهمام، وغيرهم. ولازم خدمة العلم، فبرع في الفقه والأصلين، والعربية، وغيرها. وتصدى للتدريس والإفتاء والتأليف. ومن

---

(١) في كتاب الباعث الحثيث ، صـ ٢٩.

(٢) انظر: الرسالة المستطرفة صـ ١٤٢. وقد طبعت السنن في دهلي الهند سنة ١٢٨١ في جزئين، وبهامشه (زهر الربي للسيوطي)، وفي جزء واحد بكانبور الهند سنة ١٨٤٧ وسنة في ١٨٨٢ (٨٤٠) صفحة، وفي المطبعة الميمنية مصر سنة ١٣١٢هـ، ومعها الشرح المذكور وكذا (حاشية السندي) في جزئين، وفي دار المعرفة.بيروت ١٤١٤ في ٤مجلدات، والخامس للفهارس العلمية، وهي أحسن طبعات الكتاب، وطبع طبعات أخرى في مجلد واحد في دار ابن حزم، ودار المعارف الرياض، ومعها أحكام العلامة (الألباني) رحمه الله.

تصانيفه: حاشية على شرح جمع الجوامع للجلال المحلي.[1]

والمؤلف ابن بهران رحمه الله يعتمد كثيراً على الإرشاد وشرحه في تقرير مذهب الشافعية، بل وفي بعض الفوائد الفقهية الأخرى، والظاهر أن الإرشاد وشرحه كان هو السائد عند فقهاء الشافعية في اليمن في عصر المؤلف.

والإرشاد هو لأبي بكر إسماعيل المقرئ، المتوفى (٨٣٧هـ).

٤٨)- **شرح الزيادات**: للقاضي أبي مضر- شريح بن المؤيد (توفي في القرن الخامس الهجري). قال ابن أبي الرجال: القاضي أبو مضر، مفخر الزيدية وحافظ مذهبهم، ومقرّر قواعدهم، شريح بن المؤيَّد، العالم الذي لا يمارى، ولا يشك في بلوغه الذروة ولا يتمارى، عمدة المذهب في العراق واليمن، وكل الأصحاب من بعده عالة عليه ومقتبسون من فوائده. وكتابه هذا الذي ينقل منه فقهاء الزيدية وعليه شروح وتعليقات كثيرة واسمه: (أسرار الزيادات وكتاب المقالات لقمع الجهالات المشهور بـ (شرح الزيادات) (فقه) ومنه نسختان من الجزء الأول، والأولى خطت سنة٧٢١هـ في ١٩١ ورقة رقم ١١٣٧، والثانية خطت في القرن السادس وعليها تمليك مؤرخ سنة ٥٧٣هـ في ٢٣٦ ورقة برقم ١١٣٩ مكتبة الأوقاف الجامع الكبير وهي مصورة بمكتبة السيد محمد بن عبدالعظيم الهادي. قال ابن أبي الرجال: ولما ورد شرح أبي مضر-

---

(١) ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد، طبعة دار الكتب العلمية، ٨/ ٢٨. ونظم العقيان في أعيان الأعيان، للحافظ جلال الدين السيوطي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت. صـ ١٦٠. والبدر الطالع للشوكاني، ١/ ٩٥ (٨٩).

للزيادات إلى اليمن اختصره شيخ الشيوخ محمد بن أحمد بن علي بن الوليد القرشي في كتاب أسماه (الجواهر والدرر المنتزعة من شرح أبي مضر) وهي خطية مصورة بمكتبة السيد محمد بن عبدالعظيم الهادي. قال القاضي عبد الله الدواري:اعلم أن الشروح التي توجد لأصحابنا ثمانية: (شرح التحرير) لأبي طالب، و (شرح التجريد) للمؤيّد، (والإفادة) للأستاذ، و (شرح النصوص) لأبي العباس، و (شرح الأحكام) لأبي العباس أيضاً، و (شرح أبي مضر) ومثله (شرح الحقيني) وكلاهما على الزيادات.[١]

٤٩)- **شرح السنة**: للحسين بن مسعود البغوي (المتوفى سنة ٥١٦هـ) وهو الشيخ، الإمام، العلامة، القدوة، الحافظ، شيخ الإسلام، الشافعي المفسر، صاحب التصانيف، كـ(شرح السنة)و (معالم التنزيل) و (المصابيح)، وكتاب (التهذيب)في المذهب، و (الجمع بين الصحيحين)، و (الأربعين حديثا). وكان البغوي يلقب بمحيي السنة وبركن الدين، وكان سيدا إماما، عالما علامة، زاهدا قانعا باليسير، كان يأكل الخبز وحده، فعذل في ذلك، فصار يأتدم بزيت، وكان أبوه يعمل الفراء ويبيعها، بورك له في تصانيفه، ورزق فيها القبول التام، لحسن قصده، وصدق نيته، وتنافس العلماء في تحصيلها

---

(١) انظر: طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٤٣٨ (٢٨٤). مطلع البدور لابن أبي الرجال ٢/ ٣٣٦. وأعلام المؤلفين الزيدية للوجيه ١/ ٤٥٥.

وأما كتابه شرح السنة فقال في مقدمته:: يتضمن إن شاء الله سبحانه وتعالى كثيرا من علوم الأحاديث، وفوائد الأخبار المروية عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من حل مشكلها، وتفسير غريبها، وبيان أحكامها، يترتب عليها من الفقه واختلاف العلماء جمل لا يستغني عن معرفتها المرجوع إليه في الأحكام، والمعول عليه في دين الإسلام. ولم أودع هذا الكتاب من الأحاديث إلا ما اعتمده أئمة السلف الذين هم أهل الصنعة، المسلم لهم الأمر من أهل عصرهم، وما أودعوه كتبهم، فأما ما أعرضوا عنه من المقلوب والموضوع والمجهول، واتفقوا على تركه، فقد صنت الكتاب عنها. وما لم أذكر أسانيدها من الأحاديث، فأكثرها مسموعة، وعامتها في كتب الأئمة، غير أني تركت أسانيدها حذرا من الإطالة، واعتمادا على نقل الأئمة.

قال (حاجي خليفة)[1]: قسم أحاديث كل باب إلى صحاح وحسان، وعنى بالصحاح ما أخرجه (الشيخان)، وبالحسان ما أورد (أبو داود)، و(الترمذي) وغيرهما، وما كان فيها من ضعيف، أو غريب أشار إليه، وأعرض عن ذكر ما كان منكرا، أو موضوعا.

وقال (النووي) في "التقريب"[2]: وأما تقسيم (البغوي) إلى حسان وصحاح مريدا

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ. ١/ ١٦٩٨.

(٢) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت٦٧٦هـ)، الناشر: موقع الوراق. صـ٢.

بالصحاح ما في (الصحيحين) وبالحسان ما في (السنن)، فليس بالصواب لان في السنن الصحيح، والحسن، والضعيف، والمنكر انتهى

ولم يعين (البغوي) في كتابه من أخرج كل حديث على انفراده، ولا الصحابي الذي رواه، وقام بتعيين ذلك الإمام (ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي)، وزاد عليه فصلا ثالثا ، وسماه: (مشكاة المصابيح)، وفرغ من جمعه سنة٧٣٧ هـ.[١]

وقد طبع الكتاب عن مؤسسة الرسالة بتحقيق الأرناؤوط والشاويش في ١٥ مجلداً.

٥٠)- **شرح القاضي زيد بن محمد الكلاري** (توفي في القرن الخامس الهجري): ويسمى الجامع في الشرح، وهو في عدة مجلدات. وقيل: هو منتزع من شرح أبي طالب، ولذلك يسمى أيضاً تعليقاً. قال ابن أبي الرجال: ليس لشرحه بعد ذهاب الشرحين شرحي (التجريد) و(التحرير) للأخوين – عليهما السلام- نظير، أقرّ له المخالف والموالف حتى إن شيخنا المحقق أحمد بن محمد الشابي..القيرواني المالكي، اطلع عليه فبهره، وتعجَّب من تحقيقه وجودته. ثم قال: وجميع مشائخ الزيدية يغترفون من رحيقه، ويعترفون بتحقيقه، ولقد مرَّت مسألة بمجلس الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن أمير المؤمنين – عليهما السلام- وشيخه العلامة عامر بن محمد الذماري

---

(١) ذكرذلك الكتاني في الرسالة المستطرفة ، صـ١٧٨.

– رحمه الله – في (البيان الشافي)، فتبادر القاضي إلى تضعيفها ومعارضتها، وقد كان المرجوع إليه في وقته، فلمَّا قال ابن مظفر – رحمه الله – ذكره القاضي زيد في الشرح، هاب القاضي عامر التكلم وقال: الشرح جُهْمَة[1].

قال ابن أبي الرجال عنه: هو القاضي، الإمام، حجة المذهب، شيخ الشيوخ، وحيد أهل الرسوخ، زيد بن محمد، حافظ المذهب، وعالمه الذي لا يبارى ولا يمارى ولا يجارى، حقَّق الفوائد، وقيَّد الأوابد، وصحَّح الأدلة والشواهد، حتى استغنى بتحصيله المحصلون، وانتفع بتفصيله المفصلون... وشرحه هو المشهور في كتب الفقه الزيدي بـ (شرح القاضي زيد).[2]

٥١)- **<u>شرح النجري للأزهار</u>**: للفقيه جمال الدين علي بن محمد النجري (توفي:نحو٨٤٠ هـ). سمع الأزهار على الإمام المهدي، وكان للنجري عناية بعلم الإمام المهدي في الفروع، ولازمه وسأله عن مقاصده، وله تلامذة أجلاء منهم: صنوه عبدالله العلامة، ومنهم (والده) محمد بن أبي القاسم فإنه سمع عليه تأليفه (شرح الأزهار) وسمعه عليه الفقيه علي بن زيد كما حققناه. قال ابن أبي الرجال: كان علي بن محمد عالماً، فقيهاً، محققاً، متقناً، شارح الأزهار، سأل الإمام عن مقاصده فلذلك كان

---

(١) يعني بحر عميق مثل سواد الليل لا يدرى حدوده، والجُهْمَةُ من الليل والجهْمَةُ بَقِيَّةٌ من سوادِ الليلِ. كما في المخصص لابن سيده ٢/ ٣٨٩.

(٢) انظر: طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٤١١ (٢٦٣) ومطلع البدور ٢/ ٢٦١.

عظيماً في بابه.[1]

٥٢)- **شفاء الأوام في أحاديث الأحكام** - ومؤلفه: الأمير الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد (٥٨٢-٦٦٢هـ). ويرجع إليه المؤلف ابن بهران كثيراً. قال بعض علماء الزيدية: وهو في كتب الزيدية مثل كتاب البيهقي في كتب الشافعية. وقد ابتدأ بتصنيفه بالجزء الثاني من كتاب البيع، ثم بالجزء الأول إلى باب ما يصح من النكاح، ثم توفي فتممه ابن أخيه صلاح بن إبراهيم إلى باب النفقات، ثم تممه بكتاب الرضاع السيد صلاح بن الجلال، وقد خرج أحاديثه الحافظ عبدالعزيز بن أحمد الضمدي في القرن الحادي عشر تخريجاً حسناً في مجلد، وعليه حاشية، (وبل الغمام) للقاضي محمد بن علي الشوكاني.وقد طبع الكتاب مع حاشيته (وبل الغمام)[2] من قبل وزارة العدل، ونسخه الخطية كثيرة، ذكرها الوجيه في كتاب مصادر التراث في المكتبات الخاصة.[3]

وقد بين الشوكاني في تعليقه على هذا الكتاب أن أصوله التي اعتمد عليها بعضها مسند، وبعضها لا إسناد فيه، وقال: "إنه ظهر من تصرفاته في هذا الكتاب أن المعتبر عنده أن يكون له في الكتاب المنقول عنه رواية من سماع أو إجازة كما يقول في غير

---

(١) انظر: طبقات الزيدية الكبرى، لابن أبي الرجال، ٢/ ٢١٦ (٤٩٠)

(٢) وطبع "وبل الغمام" أيضاً مستقلاً بتحقيق محمد صبحي حسن حلاق، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤١٦هـ. وقد قام بتحقيقه أيضاً القاضي محمد بن علي الأكوع، قامت بطبعه مكتبة الإرشاد بصنعاء .

(٣) انظر: طبقات الزيدية الكبرى (القسم الثالث)، لابن أبي الرجال، ١/ ٣٥٤ (٢٢٢). وأعلام المؤلفين الزيدية لعبدالسلام الوجيه ١/ ٣٩٢.

موضع، بعد نسبة الحديث الذي ينقله من كتاب من الكتب المعروفة: وهو لنا سماع، ونحو هذه العبارة. وكثيراً ما يذكر الحديث ويتعقبه أنه لم يصح له سماعه، ثم يتردد في صحة الرواية، كما سيأتي في الكلام على طهارة الجلود بالدباغ فإنه قال... رواه في كتاب "نزهة الأبصار" ولم يصح لي سماع هذا الكتاب، والله أعلم بصحة الرواية. انتهى كلامه. فهذا يدل على أن الصحة عنده ثبتت لجميع ما في كتاب من الكتب بمجرد سماعه له، أو ما يقوم مقام السماع".أ.هـ [1]

ثم ذكر الشوكاني أنه قد عزا كثيراً مما في هذا الكتاب إلى مؤلفات لم يذكر فيها رجل من رجال الإسناد حتى الصحابي، مع تأخر عصر مصنفيها، فتدبر هذا في الكتاب تقف على صحته.

وبناء على هذا فإن الأحاديث والروايات التي في هذا الكتاب "الشفاء" لا تؤخذ على وجه التسليم حتى يعرف من رواها وحتى يعرف إسنادها وفي أي كتاب من كتب الحديث المسندة على القواعد والأصول التي أصلها المحدثون على مرّ القرون. وإلغاء هذه القواعد وإهمالها يعني إلغاء السنة وإلغاء جهود مئات الألوف من الرواة والمحدثين الذين أتعبوا أنفسهم وواصلوا ليلهم بنهارهم وسافروا بين البلدان طلباً للأسانيد والرواة، ثم الحفاظ النقاد الذين أفنوا أعمارهم في التفتيش عن رجال الأسانيد ومعرفة أحوالهم وتعديلهم وتضعيفهم ومن مات وهو ضابط ومن اختلط

---

(١) وبل الغمام ١/ ٥٧-٥٨.

قبل أن يموت ثم من روى عنه قبل أن يختلط وبعده.. إلى آخر ما هناك من المعارف والعلوم الحديثية التي انبهر بها حتى غير المسلمين ؛ لأن علم الإسناد هذا لم يوجد إلا في هذه الأمة المباركة، وهو داخل في قوله تعالى (إنا نحن نزلن الذكر وإنا له لحافظون) فحفظ الكتاب يتضمن حفظ السنة كما ذكر العلماء.

٥٣)- **صحيح البخاري** / واسمه: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. للإمام البخاري: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ) ولد في بخارى[1] ونشأ يتيماً وقام بالرحلة الطويلة في طلب الحديث، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ستمئة ألف حديث اختار منها ماجمعه في كتابه الصحيح، وهو أعلى الكتب الستة سنداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شئ كثير من الاحاديث، وذلك لان أبا عبد الله أسنّ الجماعة، وأقدمهم لقيا للكبار، أخذ عن جماعة يروي الائمة الخمسة عن رجل عنهم. قال البخاري: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي صلى الله عليه وسلم، فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب. وقال: ما وضعت في كتابي " الصحيح " حديثا إلا اغتسلت

---

(١) **بخارى**: من أعظم بلاد ما وراء النهر وأجلها ، تقع في إقليم الصغد غربي سمرقند . كانت قاعدة المملكة السامانية كما كانت إحدى مراكز الفكر الإسلامي . ينسب إليها عدد من العلماء منهم إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل المعروف بالبخاري، وابن سينا الحكيم وغيرهما . وتقع اليوم في إقليم أوزبكستان بروسيا الأسيوية. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، ١/ ٣٥٣. وبحث على موقع الإسلام بعنوان : تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، صـ٢٩٩.

قبل ذلك، وصليت ركعتين. وكتابه الصحيح لا تخفى منزلته حتى قيل إنه أصح كتاب بعد كتاب الله.[1]

٥٤)- **<u>صحيح مسلم</u>**: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (٢٠٤-٢٦١هـ). وهو ثاني الكتب المعتمدة التي يرجع إليها الناس في معرفة الحديث الصحيح بعد صحيح شيخه البخاري. وقد جمع فيه (٥٥٠٥) نصًا صحيحًا مسندًا، تشتمل على كثير من أصول الشرع الشريف، في جميع جوانبه العملية والاعتقادية، ثم رتبها في عدة كتب، وأدرج تحت كل كتاب عددًا من الأبواب، كل باب به عدد من النصوص يختلف قلة أو كثرة، على وفق مراد المؤلف. وقد بدأ بـ " كتاب الإيمان " فـ " كتاب الطهارة "،... وهكذا حتى ختم الكتاب بـ " كتاب التفسير ". والمؤلف يسوق النص الواحد بعدد من الأسانيد، يكون الإسناد الأول هو الأصل، وغيره من باب المتابعات والشواهد. وقد يجمع هذه الأسانيد على سند واحد إذا كان بينها راو مشترك، ويستخدم حرف التحويل (ح). والمؤلف لا يكرر المتن مع كل سند يذكره، بل يحيل على المتن المذكور مع السند الأول، إلا إذا كان هناك زيادة في المتن فإنه يذكرها.[2]

٥٥)- **<u>طبقات ابن سعد</u>**: (الطبقات الكبرى) لمؤلفها: محمد بن سعد بن منيع أبي عبدالله

---

(١) ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٩١.

(٢) بحث بعنوان "المصنفات في السنة النبوية" ، في المكتبة الشاملة، صـ ٩٧.

البصري الزهري (١٦٨- ٢٣٠هـ). قال الإمام الذهبي: وكان من أوعية العلم، ومن نظر في (الطبقات)، خضع لعلمه. قال فيه الخطيب: " محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته ". وقال ابن خلكان: "كان صدوقاً ثقة " وقال ابن حجر: "أحد الحفاظ الكبار الثقات المتحرين". ووصفوه بالفضل والفهم والنبل، وفضلوه على أستاذه الواقدي الموصوف بالضعف.

وكتابه "الطبقات" تحدث فيه عن الرسول والصحابة والتابعين إلى عصره مقتفياً خطى أستاذه الواقدي الذي ألف أيضاً كتاب " الطبقات "، ويبدو أن عمل ابن سعد شمل رواية الواقدي نفسه في السيرة والتراجم مضافاً إليها روايات أخذها عن غير الواقدي في السيرة والتراجم أيضاً، فإذا كتابه صورة أكمل وأوسع لأنه يمثل نشاط المحدثين والإخباريين والنسابين في عصره وفيما قبله، في تناول شامل للنواحي الفقهية والحديثية والعلمية والاجتماعية في لغة سهلة مستوية جزلة، وفي اعتدال وقصد وموضوعية.[1]

٥٦)- **عمل اليوم والليلة** - لأبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدِّينَوَرِيُّ المعروف بابن

---

(١) ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٧٩. ووفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ٣٥١. تهذيب التهذيب ، للحافظ ابن حجر، الناشر : دار الفكر-بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ، ٩/ ١٦١. وانظر: مقدمة كتاب "الطبقات" لمحققه الدكتور إحسان عباس. والكتاب مطبوع بعدة طبعات منها الطبعة التي بتحقيق: إحسان عباس الناشر لها: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى: ١٩٦٨م.

السني (ت٣٦٤هـ). وقد اجتهد مؤلفه أن يجمع كتابًا فيما كان يقوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أثناء يومه ـ بل أثناء حياته كلها ـ من الأذكار والأوراد، وقد اشتمل هذا الكتاب على (٧٧١) نصًا مسندًا، رتبها المؤلف تحت عدد من الأبواب، بدأها بـ" باب في حفظ اللسان " وقد يظن أنه لا مدخل لهذه الترجمة في موضوع الكتاب، لكن المؤلف قد قصد بها؛ حفظ اللسان عن غير الذكر، وإطلاقه في كلام وخيمة عاقبته أو غير نافع. ثم أعقب ذلك بـ" باب ما يقول إذا استيقظ من نومه "، " باب ما يقول إذا لبس ثوبه "...الخ

ويتضح من هذا الترتيب أن المؤلف قد قصد أن يرتب الأذكار على حسب وقوعها من المسلم خلال يومه. وقد تباينت أحوال أسانيد الكتاب صحة وضعفًا، ونرى المؤلف قد اكتفى بمجرد جمع النصوص دون انتقاء الثابت منها، بل أورد ما هو ظاهر الضعف عملًا بقول المحدثين: " من أسند لك فقد أحالك ".[1]

٥٧)- **<u>فتح العزيز شرح كتاب الوجيز</u>**: للإمام عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي، (٥٥٥هـ-٦٢٣هـ) شيخ الشافعية، عالم العجم والعرب، كان رحمه الله إماماً في غالب العلوم، شديد الاحتراز في ترجيحها وفي نقلها وعزوها لأهلها إذا شك في

---

(١) وقد طبع الكتاب أكثر من طبعة منها: ١- بعناية دائرة المعارف النظامية، بحيدر آباد الدكن، سنة ١٣١٥هـ، ثم سنة ١٣٥٨هـ. ٢- بتحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا، صدرت عن مكتبة القاهرة، سنة ١٤٠٤هـ. ٣- بتحقيق بشير محمد عيون، صدر عن دار الفيحاء بدمشق، سنة ١٤٠٧هـ.

أصلها، وهو من الذين اصطلح بتسميتهم بمجتهدي الفتوى، وهم المتبحرون في مذهب إمامهم، والقادرون على الترجيح دون الاستنباط، وأبرز هؤلاء الإمامان الشهيران عبدالكريم الرافعي ويحيى النووي. وأشهر كتبه " المحرر" من أجل كتب الشافعية وأحكمها. و"فتح العزيز شرح فيه الوجيز " للغزالي، الذي اختصره النووي في روضة الطالبين.[1]

٥٨)- **<u>فقه اللغة وسر العربية</u>**: لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (٣٥٠-٤٣٠هـ) لقب بالثعالبي لأنه كان فرَّاء يخيط جلود الثعالب، عاش بنيسابور، كان يلقب بجاحظ زمانه وتصانيفه الأدبية كثيرة إلى الغاية، ومن أشهر كتبه المطبوعة " يتيمة الدهر، وكتاب ثمار القلوب. وكتابه هذا "فقه اللغة"، وهو كتاب عجيبٌ في فنه وتأليفه، قال في مقدمته: من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً صلى الله عليه و سلم ومن أحبَّ الرسول العربي أحبَّ العرب ومن أحبَّ العرب أحبَّ العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ومن أحبَّ العربية عُنيَ بها وثابر عليها وصرف همَّته إليها.[2]

٥٩)- **<u>مجمع الزوائد</u>**: للإمام أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عمر الهيثمي (ت٨٠٧هـ). عمله

---

(١) ترجمته في سير أعلام النبلاء٤٢/ ٢٥٣. وانظر بحثاً بعنوان (المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي) بقلم: فهد عبد الله الحبيشي، ضمن المكتبة الشاملة، ص٣٧.

(٢)انظر مقدمة الكتاب.

بإشارة من شيخه العراقي وجمع فيه زوائد ٦ كتب من كتب السنة وحذف الأسانيد فقال له شيخه: لو تكلمت على هذه الأسانيد التي حذفتها. وهو من الكتب العظيمة في جمع الأحاديث والكلام على رجالها وأسانيدها. ومقصده في هذا الكتاب جمع الأحاديث الزائدة على كتب الحديث الستة المعروفة، التي وردت في مسند أحمد، ومسند أبي يعلى، ومسند البزار، ومعاجم الطبراني الثلاثة، وجرد أسانيد هذه الأحاديث ورتبها على الأبواب، مع عزو كل حديث إلى مخرجه، ثم الحكم عليه وذكر الحكم على رجال إسناده.[1]

٦٠)- **مجموع علي خليل**- للقاضي علي بن محمد بن الخليل (توفي في القرن الخامس الهجري) ترجم له ابن أبي الرجال وحكى عن (الزهور) قوله: (مجموع علي خليل)، جمع فيه بين (الإفادة) و(الزيادات) وعلي خليل متقدم على القاضي زيد لأن القاضي زيد يروي عنه. قال في (الكنز): والمجموع من محاسن فقه الزيدية، وفيه فقه حسن، وتعليل صحيح، وهو من الكتب التي قدم بها القاضي شمس الدين جعفر بن أحمد وذهبت منه قطعة فصنفها القاضي جعفر وهي معروفة.[2]

٦١)- **مختصر المزني** صاحب الشافعي أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى (١٧٥هـ- ٢٦٤هـ).

---

(١) بحث بعنوان: دليلك إلى أكثر من ٣٥٠ كتاب، جمع أبي عبدالله الفوزان،راجعه الشيخ عبدالعزيز الطريفي، صـ٢٠.

(٢) انظر ترجمته في طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٢٢١ (٤٩٥). وكتاب الزهور المشرقة للثلائي تقدم الكلام عليه برقم ١٧، وأما كتاب الكنز: فهو لإدريس بن علي بن عبد الله (ت٧١٤هـ)، ذكره في طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٢٢٢ وقال: من أجل التواريخ قدر أربع مجلدات. والزيادة والإفادة مذكورتان في هذا المساق.

ويعتبر أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي رضي الله عنه، وعلى مثاله رتبوا ولكلامه فسروا وشرحوا. وقد طبع ملحقاً بكتاب الأم للشافعي. وكان إذا فرغ من مسألة وأودعها مختصره قام إلى المحراب وصلى ركعتين شكرا لله تعالى.. وقد شرح بعدة شروحات أشهرها كتاب الحاوي للماوردي، حيث قال في مقدمته: لما كان أصحاب الشافعي رضي الله عنه قد اقتصروا على مختصر إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى المزني رحمه الله، لانتشار الكتب المبسوطة عن فهم المتعلم، واستطالة مراجعتها على العالم حتى جعلوا المختصر أصلا يمكنهم تقريبه على المبتدئ، واستيفاءه للمنتهي، ووجب صرف العناية إليه وإيقاع الاهتمام به. ولما صار مختصر المزني بهذه الحال من مذهب الشافعي، لزم استيعاب المذهب في شرحه واستيفاء اختلاف الفقهاء المغلق به.[1]

والمؤلف ابن بهران لا ينقل عنه مباشرة وإنما بواسطة شرح كتاب الإرشاد في فقه الشافعية.

٦٢)- **<u>مسائل محمد بن سعيد:</u>** من الكتب المنسوبة للإمام الهادي، والتي يستدل بها على مذهبه في المسائل الفقهية. والمدون لها هو محمد بن سعيد اليرسمي، كان من أصحاب الهادي بل من زعماء أصحابه ووجوههم، وقد نقل عنه بعضاً من سيرة

---

(١) مقدمة كتاب الحاوي للماوردي، وانظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٩١. ووفيات الأعيان ١/ ٢١٩ (٩٣)..

الهادي وشيئاً من فقهه كما في هذا الكتاب.[1]

٦٣)- **مناقب الشافعي**: كتاب مشهور لمحمد بن الحسين بن إبراهيم أبي الحسن الآبُرِيِّ (ت٣٦٣هـ) وآبر من قرى سجستان، رحل وطوف، روى عن ابن خزيمة وطبقته. قال الكتاني: كان حافظا نبيلا كتب القناطير وحدث باليسير. وقال الذهبي: محدث سجستان[2] بعد ابن حبان. وقد صنف هذا الكتاب المشهور في "مناقب الشافعي". وقد وصفه السبكي في "طبقاته"[3]: بأنه حافل ومرتب على أربعة وسبعين بابا. وقال ابن قاضي شهبة: وصنف كتابا في فضائل الشافعي وفيه غرائب وفوائد قال السبكي وهو من أحسن ما صنف في هذا النوع.[4]

---

(١) ترجمته مختصرة في مطلع البدور لابن أبي الرجال ٤/ ٢٨٣.

(٢) **سِجِسْتَان** : بلد جليل له من الكور مثل ما بخراسان وأكثر، غير أنها منقطعة متصلة ببلاد السند والهند، وكان يضاهي خراسان. وهي اليوم المنطقة التي تشمل القسم الغربي من أفغانستان وبعض إيران وكانت ولاية واسعة هامة. وينسب إليها كثير من العلماء منهم مؤلف السنن أبو داود. وكانت عاصمتها في العصور الوسطى مدينة (زرنج) وقد خربها تيمورلنك وما زالت أطلالها باقية . انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد الحِميري، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، الطبعة:٢،١٩٨٠م. صـ ٣٠٤. وبحث بعنوان : تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، منشور في موقع الإسلام .

(٣) الطبقات للسبكي ، ١/ ٣٤٤..

(٤) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٩٩ (٢١٠). طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١٤٧. الوافي بالوفيات ١/ ٣٠٠. والعبر في خبر من غبر للذهبي ٢/ ٣٣٦.

الكتب المشابهة لهذا الكتاب:

لقي كتاب (الأثمار) كما تقدم القبول والعناية من العلماء، ولذلك فقد كثر منهم العناية به شرحاً وتعليقاً وحواشي وتخريجاً واستدلالاً في حياة المؤلف وبعدها.

إلا أنه من خلال استقراء هذه المؤلفات نجد أنها كانت في حياة المؤلف الإمام المتوكل وبطلبٍ أو إيعازٍ منه كما ذُكِرَ صراحة في شرح ابن مهران وشروح المقرائي وشرح النمازي..الخ. وبعضها كان تقرباً ومحاباة للمؤلف كما نجد في شرح الفقيه علي بن راوع حيث بدأ بشرحه حتى كتاب البيع، فلما وقع بينه وبين الإمام وحشة وتنافر[1] توقف عن الشرح، ثم لما انصلح الحال بينهما طلب منه المؤلف إكمال الشرح مع ملاحظات أبداها له، فاختار الفقيه ابتداء شرح جديد وصل فيه إلى كتاب النكاح فقط ولا ندري هنا ما سبب عدم إكماله. وربما شروح أبناء المؤلف كذلك. ومعلومٌ أن كثرة الشروح والحواشي على كتابٍ تجعل له أهمية وميزة كبيرة، حيث إن ذلك إقرار ودلالة من هؤلاء العلماء بمكانة الكتاب وأهميته ؛ لكن ما ذكرته سابقاً يعارض ذلك، خصوصاً أن المؤلف لم يكن من أهل العلم فحسب بل انضاف له السلطان والمال والجاه والنسب. وهذه مجرد نظرة موضوعية مجردة لا تعني التقليل من مكانة الكتاب وميزاته التي ذكرناها سابقاً.

---

(١) ذكر بعض المؤرخين أن الإمام طلب إليه أن يلتزم بمذهبه في الأحكام فرفض، إلا إذا ظل يحكم بمذهبه هو، واستقال. فلم يصبه أي عقاب. انظر: مكنون السر، صـ٢٢٦.

ومن المؤلفات التي وقفت عليها من خلال كتب التراجم وفهارس المخطوطات، حيث إن جميعها لا زال مخطوطاً:

١) **شرح خطبة الأثمار** - للمؤلف نفسه: الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين (٨٧٧-٩٦٥هـ)[١].

٢) **باكورة الأثمار ونفحة الأزهار**- وقيل اسمه (تلقيح الأفكار شرح خطبة الأثمار) - تأليف عبد الله بن الإمام شرف الدين (٩١٣-٩٧٣هـ) قال ابراهيم بن القاسم في طبقات الزيدية الكبرى: لا نظير له.[٢]

٣) **شرح على مقدمة الأثمار** - (شرح موجز) وذكر أن اسمه: تلقيح الأفكار شرح خطبة الأثمار- لابن المؤلف / عبدالله بن الإمام شرف الدين (٩١٣-٩٧٣هـ)[٣].

٤) **أسئلة على خطبة كتاب الأثمار**- للإمام شرف الدين أجاب عليها عبدالله بن الإمام شرف الدين. ولعل هذا هو الكتاب الأول.[٤]

---

(١) طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٤٤٦. ومصادر التراث في المكتبات الخاصة في ١/ ٥٩١.

(٢) طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٧٥. وانظر مصادر التراث للوجيه ١/ ٥٨٠.

(٣)في كتاب (السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية اليحيوية) لمحمد بن إبراهيم بن المفضل بن إبراهيم المفضل بن علي بن أمير المؤمنين شرف الدين (١٠٣٣-١٠٨٥هـ)، ذكر أن له شرحان بسيط ووجيز. كما نقل ذلك في طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١١٦.

(٤) أعلام المؤلفين الزيدية ١/ ١٥٢.

٥) **شرح خطبة الأثمار** – لولد المؤلف: جمال الدين.[١]

٦) **الوابل المغزار من كتاب شرح الأثمار** – المؤلف يحيى بن محمد بن حسن بن حميد المقرائي (٩٠٨-٩٩٠هـ).[٢] وانتهى من تأليفه يوم الجمعة سادس جمادى الأولى سنة ٩٤١هـ.[٣] وقد قرئ بحضور الإمام المتوكل وجماعة من العلماء.

٧) **فتح الغفار المفتح لمُقْفَلات الأثمار** – واسمه في بعض النسخ: فتح الله الغفار والمطعم لأثمار الأزهار- المؤلف: يحيى بن محمد بن حسن بن حميد المقرائي (٩٠٨-٩٩٠هـ). شرح وقرئ في حياة المؤلف كما سبق.[٤]

٨) **الشموس والأقمار من أفق فتح العزيز الغفار المطعم لأزهار الأثمار**- وذكر أيضاً باسم: الشموس والأقمار من أفق فتح العزيز الغفار المنتزع من الوابل المغزار في فقه الأئمة الأطهار- المؤلف: يحيى بن محمد حميد المقرائي الحارثي المذحجي (٩٠٨-٩٩٠هـ).[٥] وانتهى من تأليفه سنة ٩٧٢هـ، وقيل ٧٩٣هـ.[٦]

---

(١) طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٣١١. وجمال الدين هو ابن الإمام المتوكل ، وكان قد أعده لخلافته لكن الظاهر أنه لم يكن ذا همة للملك، وخالف والده في بعض مسائل في العقيدة ، مع بره به وطاعته، إلا أنها أغضبت والده.

(٢) ذكر هذا الاسم المؤلف نفسه حيث قال: وكذا الأثمار وشرحي عليه (الوابل المغزار). انظر طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١٣٤.

(٣) ذكر ذلك في آخر ورقة منه، نقلاً عن مقدمة تحقيق كتاب مكنون السر للمؤلف - لزيد بن علي الوزير، ص ٤٧.

(٤) طبقات الزيدية الكبرى ٣/ ١١٧.

(٥) ومصادر التراث ١/ ٢٢٩، ٢٣٧، ٣٠٨، ٣٧٩.. والأعلام للزركلي ٨/ ١٦٨.

(٦) مقدمة تحقيق كتاب مكنون السر للمقرائي- صـ ٤٧. نقلاً عن مصادر العمري.

٩) **الإبانة بفتح الأزار عن مخبآت الأثمار** - وهو شرح على الأثمار كتبه في هامشه- للمقرائي السابق.[١]

فالمؤلف يحيى المقرائي له ثلاثة أو أربعة شروح على الأثمار[٢]، الأول الكبير وسماه الوابل المغزار، والثاني وسط وهو فتح الغفار..، والثالث هو الشموس والأقمار. كما أن له أيضاً حاشية عليه.

١٠) **حاشية الأثمار**. قال ابن أبي الرجال: تشبه الشرح.- تأليف الحسن بن محمد الزريقي (٨٩٦-٩٦٠هـ)[٣].

١١) **شرح الأثمار** – ذكر أن اسمه: الأنهار المتدفقة في رياض الأثمار المقتطف من الأزهار - للفقيه صالح بن صديق النمازي الشافعي (ت ٩٧٥هـ).[٤] وقال الشوكاني: رحل إلى حضرة الإمام شرف الدين ولازمه، وحضر مجالسه، وشرح الأثمار شرحا مفيدا.

١٢) **شرح الأثمار** – تأليف الفقيه: علي بن عبدالله بن راوع (ت٩٥٩هـ). وقد ذكر

---

(١) ينظر: مكنون السر ص ١٩١، وذكره يحيى بن محمد المقرائي في كتابه الفتح.

(٢) انظر: مصادر التراث ١/ ٥٨٠. وقد ذكر أن الأول الوابل المغزار، والثاني الشموس والأقمار وهو مختصر من الوابل المغزار والثالث هو فتح الله الغفار والمطعم لأثمار الأزهار.

(٣) طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٣١١ (١٩٧). والبدر الطالع ٢/ ٤٤٠. وقال: وله حاشية نافعة على كتاب الأثمار.

(٤) البدر الطالع ١/ ٢٧٠. وطبقات الزيدية الكبرى ٢/ ٤٧١. مصادر الفكر للحبشي، ص ٢١٢.

أن له شرحان. [1] وهو أحد تلامذة المؤلف الإمام شرف الدين، وقد كان من أقران المؤلف ابن بهران، وبينهما مراسلات شعرية[2]. والشرح الأول بلغ فيه إلى كتاب البيع. والشرح الثاني بلغ فيه إلى كتاب الزكاة. قال هو في مقدمته: " وبعد فإني كتبت شرح الأثمار حتى بلغت كتاب البيع، ثم عرض ما صد عن الإتمام حتى مضى بضع من الأعوام، ثم أشار مؤلفه بإنشاء شرح ثاني لما تعقب ذلك الشرح في لفظ الأثمار من زيادة ونقصان، وأجبته إلى ذلك ميلاً إلى إسعاده ومسارعة إلى تنفيذ مراده، متجنباً للتطويل الممل والاختصار المخل، فمن أراد الاطلاع على الأسانيد والأقوال والرموز والقواعد والفوائد، فعليه بالشرح الكبير يجد ما طلبه محققاً مستوفاً، ويظفر بمراده مبيناً مستوفاً، فقد بذلت فيه التحقيق والتدقيق وبالله الثقة والتوفيق. ".[3]

١٣) **أسئلة على خطبة كتاب الأثمار** – للسيد أحمد بن عز الدين بن الحسن الحسني اليمني (٨٧٣هـ- ٩٤١هـ)[4].

١٤) **شرح الأثمار** – للقاضي محمد بن عطف الله العبسي. (توفي في القرن العاشر) وكان علامة في جميع العلوم وله تأليفات، منها شرحه على معيار الإمام المهدي. لكن

(١) البدر الطالع ١/ ٤٥٠. طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ١٩١.

(٢) انظر: مكنون السر، صـ٢٢٦.

(٣) انظر: مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ٣/ ٢٤١. في ترجمة المؤلف.

(٤) البدر الطالع ٢/ ٤٠٠.

شرحه هذا لم يتم.[1]

(١) مكنون السر، ص١٠٠.

المطلب الثالث: مصطلحات الكتاب:

مؤلفات الزيدية في اليمن، والفقهية منها خاصة، لها رموز مصطلح عليها من حرف أو حرفين أو ثلاثة، تمثل اختصاراً لأسماء بعض الأعلام والكتب، وبعض الفرق والمذاهب التي يكثر إيرادها، وترديدها، وكذا ألقاب مصطلح على تحديد المراد بها إذا أطلقت.[1]

وسوف أورد هنا تعريفاً لتلك الرموز والألقاب الموجودة في هذا الشرح فقط، والتي تنوعت وتوزعت فيه، وهي كذلك في الغالب في مختلف الكتب الفقهية الزيدية، وهي أنواع:

١-: ألقاب الأعلام:

١- الإمام الهادي،أو الهادي:	يحيى بن الحسين.
٢- القاسم، أو الإمام القاسم:	القاسم بن إبراهيم.
٣- الناصر،أو الإمام الناصر:	الحسن بن علي الأطروش (ت٣٠٤هـ).

(١) استخلصت هذا المبحث من مقدمات كتب الفقه الزيدية، حيث يرد الإشارة لذلك وتفسيرها: كمقدمة كتاب الأزهار، ومقدمة كتاب الانتصار على علماء الأمصار للإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة (٧٤٩هـ) ١/ ١٣١. ومقدمة كتاب البحر الزخار. وكذلك من خلال الاستقراء للنص المحقق، حيث أن بعض النسخ يرد الاسم الصريح وبعضها يرد الرمز.

٤- العبادلة الثلاثة:	عبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمر.
٥- والأربعة:	يضاف إليهم عبدالله بن عمرو بن العاص.
٦- السيدان، الأخوان:	المؤيد باللّه وأبو طالب.
٧- السادة الثلاثة:	المؤيد بالله وأبو طالب وأبو العباس.
٨- المؤيد بالله:	أحمد بن الحسين الهاروني.
٩- أبو طالب:	يحيى بن الحسين الهاروني.
١٠- المنصور بالله:	عبدالله بن حمزة.
١١- أبو العباس	العلاّمة أبو العباس أحمد بن إبراهيم المتوفى سنة ٣٥٣هـ

٢-: رموز الفقهاء والأئمة والأعلام:

الفقيه س:	الفقيه حسن بن محمد النحوي.
الفقيه ح:	الفقيه يحيى بن حسن البحيح.
الفقيه ل:	الفقيه محمد بن سليمان.
الفقيه ف:	الفقيه يوسف بن أحمد الثلائي
مد:	الفقيه يحيى بن أحمد بن حسن.
ي:	الفقيه محمد بن يحيى بن حسن.
ص:	المنصور بالله عبدالله بن حمزة، الحسني اليمني (٥٦١ـ ٦١٤هـ)
ط:	الفقيه أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني (٣٤٠ ـ ٤٢٤ هـ)
م:	**المؤيد بالله**: أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين الهاروني، الحسني (٣٣٣ ـ ٤١١هـ).
الفقيه ع:	الفقيه العلامة جمال الدين علي بن يحيى الوشلي (٦٦٢-٧٧٧هـ) وقد يذكره بـ(الفقيه علي).
ي:	الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم (٦٦٩هـ

	- ٧٠٥هـ)
ك:	الإمام مالك.
ش:	الإمام الشافعي .
ح:	الإمام أبو حنيفة.
ف	الإمام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة.
(ع):	أبو العباس العلاّمة أحمد بن إبراهيم المتوفى سنة ٣٥٣هـ.
هـ	الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، (المتوفى سنة ٢٩٨هـ(.
ق	الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي (ت ٢٤٥هـ)
لهب	اختصار المقصود به أحد الأقوال المحكية للمذهب.
خ م	البخاري ومسلم[1]

(١) رمز لهما بذلك في كتاب الخمس.

٣-: المصطلحات الخاصة بالشرح:

إذا قـــــال الأخـــــوان فالمقصود بهما[١]:	أبو طالب – والمؤيد بالله أبو طالب: يحيى بن الحسين الهاروني (٣٤٠-٤٢٤ هـ)، و المؤيد بالله: أحمد بن الحسين الهاروني، الحسني (٣٣٣-٤١١هـ)،
الفقهاء[٢]:	ل: الفقيه محمد بن سليمان. ي: الإمام يحيى بن حمزة. ن: الإمام الناصر محمد بن علي.
الفقهاء الأربعة:	أئمة المذاهب الأربعة (أبو حنيفة، مالك، الشافعي، أحمد بن حنبل)
وإذا قال السادة، فالمقصود بهم:	– المؤيد بالله – وأحمد بن الحسين الهاروني – وأبو طالب يحيى ابن الحسين الهاروني – وأبو العباس الحسني.

(١) الانتصار على علماء الأمصار الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة (ت٧٤٩ هـ)، ١/ ٢٩٩.

(٢) حيث يذكر الفقهاء ويرمز لهم في بعض النسخ بـ: ل ي ن.

الإمام	المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (٧٧٥هـ-٨٤٠هـ) مؤلف الأزهار
المصنف أو المؤلف	المتوكل على الله يحيى شرف الدين (٨٧٧هـ-٩٦٥هـ) مؤلف المتن (الأثمار)
المختصر	هو كتاب الأثمار
المذاكرون	هو اصطلاح خاص عند الزيدية الهادوية. ويقصد به بعض الفقهاء الذين ألفوا في الفقه وراجعوا أئمة المذهب المعاصرين وذاكروهم ونقلوا عنهم ويرجع إليهم في معرفة فقه المذهب. والذين ذكرهم القاضي ابن أبي الرجال في مطلع البدور والعلامة ابراهيم بن القاسم في طبقات الزيدية: هم: - علي بن زيد الشظبي (ت٨٨٢ هـ)[1] - علي بن يحيى الوشلي (٦٦٢-٧٧٧هـ)[2] -محمد بن أحمد بن أبي الرجال (ت٧٣٠هـ)[3] - محمد بن سليمان بن أبي الرجال (ت ٧٣٠هـ)[1]

---

(١) مطلع البدور ٣/ ٢٠٦. وطبقات الزيدية ٢/ ١٦٤.

(٢) مطلع البدور ٣/ ٣١٤. وطبقات الزيدية ٢/ ٢٤٨.

(٣) طبقات الزيدية ٢/ ٣٢٦.

	-محمد بن عبد الله الحسيني (توفي بعد سنة ٧٥٩هـ)[2] **وكذلك**: الفقيه حسن بن محمد النحوي، صاحب التذكرة، والفقيه يوسف بن عثمان، والفقيه يحيى البحيح، و الفقيه محمد بن يحيى حنش، ووالده الفقيه يحيى بن أحمد حنش، والفقيه علي بن أحمد النجراني، وابن معرف، والأمير المؤيد، والأمير علي بن الحسين، وسواهم ممن تصدى لمذاكرة الأئمة المعاصرين في ذلك التأريخ.
العترة	المقصود به (الناصرية والقاسمية) أي مذهب الإمام الناصر والإمام القاسم[3]. الإمام الناصر الأطروش الحسن بن علي (المتوفى سنة ٣٠٤هـ). الإمام القاسم بن إبراهيم الرسّي (ت٢٤٥هـ).
هب:	المقصود به المذهب (وقد ورد هذا الرمز في المتن) وإذا صرح به في المتن فهو دليل على تضعيفه وترجيح القول الآخر، كما صرح بذلك ابن بهران.

---

(١) طبقات الزيدية ٢/ ٣٩١.

(٢) طبقات الزيدية ٢/ ٤٢٢.

(٣) قال المرتضى في مقدمة البحر الزخار في تفسير الرموز ١/ ٥: وإذا أطلقنا الحكاية عن العترة فالمراد القاسمية والناصرية.

الفريقان	يقصد بهما الشافعية والحنفية (استفدته من كتاب الانتصار- في المقدمة وفي سياق الكتاب)

المطلب الرابع : المآخذ على الكتاب :

جرت سنة الخالق سبحانه أن لا يخلو كتابُ ألفه إنسانٌ من نقد أو قصور، فهو الدلالة على نقص الإنسان وقصوره مهما بلغ من العلم و الفضل والإتقان، وفي هذا المعنى يقول العماد الأصفهاني: " إني رأيت أنه لا يكتب أحدٌ كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زِيدَ هذا لكان يستحسن ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ".(١)

وعلى ذلك واتساقاً مع متطلبات البحث العلمي، فسأشير على بعض الجوانب المنتقدة على المؤلف في شرحه هذا، ومن ذلك:

المأخذ الأول: المبالغة في مجاراة مؤلف المتن

الدارس للكتاب يجد أن الشارح ابن مهران رحمه الله، يتابع المؤلف في كل ما ذهب إليه، ولا يذكر أي مخالفة له، ويكثر من إطرائه ومدحه، حتى أن شخصية المؤلف قد اندمجت في شخصية الإمام شرف الدين، فلم نلحظ لابن بهران رأيًا يخصه، مع أنه في منزلة عالية في العلم، والمذهب فيه من الأقوال والاجتهادات ما يتيح له الاختيار والترجيح. فهو يجاريه إذا أيد المذهب، وهو يؤيده ويستدل لقوله إذا خالف ظاهر المذهب.

---

(١) نقلها عنه حاجي خليفة في مقدمة كتابه كشف الظنون ١/ ١٤.

والمؤلف معذور في ذلك ؛ حيث إن الإمام شرف الدين شيخه، وهو كان السلطان والحاكم حينذاك، كما أن هذا الشرح كان بطلب منه، أضف لذلك الإكرام والاحترام الذي كان يقابل به المؤلف تجعله في حرج بالغ من انتقاده. كما يمكن أن نعتذر للمؤلف بعذر آخر وهو أن الشارح لكتاب ما ، فإنه من اللائق أن يسير على خطا الكتاب المشروح ويجاريه في ذلك، حتى يحصل الاتساق والانسجام، وإلا صار الشرح مناقضة واعتراضاً.

وانظر مثالاً لطيفاً لذلك:

" قوله: (ولا شيء في آلاتهما)[1] أي ولا تجب زكاة في آلات التجارة والاستغلال... وإنما عدل المؤلف أيده الله تعالى عن قوله في "الأزهار" " في مؤنهما" إلى قوله في (آلاتهما) لآن هذه الأشياء المذكورة ليست مؤناً وإنما هي آلات".

ثم نقل من الغيث شرح الأزهار أن المؤن ثلاثة أضرب، وفي آخره: " ففي قولنا أن المؤن على ثلاثة أضرب تسامح لأن الضرب الثالث ليس بمئونة في التحقيق لكن سلكنا ذلك ليحصل إيضاح المعنى الذي قصدناه ولا مشاحَّة في العبارة. انتهى النقل من الغيث

وعقب المؤلف ابن بهران رحمه الله: " قلت: وكذا تسمية الضربين الأولين آلاتاً ومئونة لا تخلو عن تسامح لا يخفى لكن ذلك يغتفر لقصد الاختصار ولولا ذلك لقيل ولا شيء في مؤنهما وآلاتها والله أعلم.

---

(١) أول كتاب الزكاة صـ ٦١.

فتلاحظ أن الانتقاد متوجه إلى عبارتي الأثمار والأزهار حيث إن كلاً منهما ذكر كلمة دون الأخرى، وكان اللازم أن يقولا (ولا شيء في مؤنهما وآلاتهما) لكن ابن بهران مدح (الأثمار) على عبارته ووجه انتقاده اللطيف للأزهار وشرحه، مع أن الانتقاد نفسه يتوجه إلى الأثمار.

ومثال آخر:

أن المؤلف رحمه الله مع ذكره لأقوال المخالفين وأدلتهم ومناقشتهم، فإنه في الأخير يرجح المذهب وينتصر له، وهو المنهج المتبع في غالب كتب الفقه المذهبي إلا القليل. لكن إذا خالف مؤلف المتن الإمام شمس الدين المذهب في مسألة، فإنه يتابعه ويذكر مستنده. كما في قوله[1]:

" قوله أيده الله تعالى: (ولا يجزئ ذكر عن أنثى إلا لعدمها في الملك فابن حولين عن بنت حول ونحوه) أي لا يجزئ إخراج الذكر من الإبل عن الأنثى التي هي الواجب، فلا يجزئ ابن مخاض ولا ابن لبون عن بنت مخاض ولا ابن لبون عن بنت لبون ونحو ذلك على المذهب لمخالفة النص"[2].

(١) في كتاب الزكاة صـ ٦٩.

(٢) ويعني بالنص ما ورد في كتاب أبي بكر في مقادير الزكاة: (فإن لم يكن ابنة مخاض فابن لبون ونحوه). رواه البخاري.

المأخذ الثاني: الإكثار من ذكر ميزات الأثمار على الأزهار

ومما يتعلق بما سبق أن المؤلف غالباً ما يلحق فقرات الشرح بالمقارنة بين (الأثمار) وأصله (الأزهار) وميزة الأول في الاختصار والصياغة ونحو ذلك مما فصلناه سابقاً في منهج المؤلف في الشرح، وهي أمور لا تعلق لها كثيراً بالشرح، ولا تفيد القارئ، حتى إنه يمكن أن يجمع ما ذكره المؤلف في شرحه من الاختلافات بين (الأثمار) وا(لأزهار) في كتاب مستقل. فكان يكفي المؤلف الإشارة لذلك في المقدمة، أو أن يذكر ذلك أحياناً. لكن أن يذكر ذلك في كل مواضع الاختلاف بين الأثمار والأزهار، فلم يكن ما سلكه المؤلف جيداً في رأيي.

والانتقاد الوحيد على صياغة " الأثمار"، نقله ابن مهران عن "شرح الأثمار" للمقرائي، حيث قال: " وعبارة الأثمار حيث قال: (ولا رد مع)[1]، ليست سالمة عما في عبارة الأزهار من الإشكال في قوله فلا يسقط بها ولا يردها ؛ لأن الضمير في بها إن عاد إلى النية لم يستقم قوله ولا يردها، وإن عاد إلى الزكاة فقد لا يكون المخرج زكاة، ذكر معنى ذلك في "شرح الأثمار" والله أعلم "[2].

---

(١) في كتاب الزكاة صـ ٢٨.

(٢) في كتاب الزكاة صـ ٢٩.

المأخذ الثالث: التقصير في عزو الأحاديث وفي ألفاظها

فالمؤلف قد يقصر في العزو، فيعزو الحديث إلى السنن مثلاً بينما أصل الحديث عند البخاري أو مسلم. أو يعزو الحديث لمسلم وهو عند البخاري أيضاً. مثل حديث (لا نورث ما تركناه صدقة). عزاه لمسلم وهو عند البخاري أيضاً.

أو يعزو الحديث لأبي داود والنسائي وهو في البخاري، مثل حديث جبير بن مطعم (أنا وبنو المطلب لا نفترق في جاهلية ولا إسلام، وإنما نحن وإياهم شيء واحد، وشبك بين أصابعه) قال[1]: رواه أبو داود والنسائي. والحديث رواه البخاري أيضاً.

ومثل حديث (لانذر في معصية) عزاه للنسائي فقط. وهو في صحيح مسلم وإن كان فيه قصة، لكن الحديث إن كان في الصحيحين أو في أحدهما فالعزو لغيرهما نقص، للاتفاق على أنهما أصح كتب الحديث، فالعزو لهما أو لأحدهما كافٍ لمعرفة صحة الحديث، والعزو لغيرهما يحتاج للبحث في سنده ورواياته لمعرفة صحته.

أما من حيث ألفاظ الحديث، فالشارح ابن بهران رحمه الله له عناية في ذكر ألفاظ الحديث ورواياته، لكنه أحياناً يعزو بذكر اللفظ ويعزوه إلى مصدر وعند الرجوع إليه نجد هناك اختلافاً وإن كان يسيراً، إلا أن ذلك ينتقد عند المحدثين. خصوصاً أن المؤلف ينص على أن هذا لفظ المصدر، وقد وضحت ذلك في التحقيق إلا إذا كان الاختلاف يسيراً في

---

(١) في كتاب الزكاة صـ ١٤٨.

اللفظ لا يؤثر في الحكم فإني أعرض عنه قصداً للاختصار وعدم تطويل.

وأحياناً يأتي بلفظ ليس موجوداً حتى عند رواة الكتب الستة مثل حديث[1]: «نحن معاشر الأنبياء لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ» أخرجه مسلم[2]. فاللفظ الذي ساقه المؤلف مع كونه مشهوراً يتناقله الفقهاء إلا أنه لم يرد في الكتب الستة، لكن روى النسائي في السنن الكبرى من حديث عمر نحوه بلفظ (إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة). وروى أحمد في المسند من حديث أبي هريرة (إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركت بعد مؤونة عاملي ونفقة نسائي صدقة).[3]

---

(١) في كتاب الزكاة صـ ٢٠٨.

(٢) في كتاب الجهاد والسير باب قول النبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نورث ما تركناه فهو صدقة ٥/ ١٥٣ (٤٦٧٩). بلفظ: (لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ) من حديث أبي بكر رضي الله عنه. وكذا رواه البخاري عنه في كتاب الفرائض باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا نورث ما تركناه صدقة) ٦/ ٢٤٧٤ (٦٣٤٦). ونحوه في الصحيحين وغيرهما من حديث عمر وعائشة وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين. **فائدة**: صان الله الأنبياء عن أن يورثوا دنيا ؛ لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وخلفوها لورثتهم، وذلك كما صان الله تعالى نبينا عن الخط والشعر صيانة لنبوته عن الشبهة.

(٣) سيأتي تخريجه مفصلاً في قسم التحقيق في موضعه.

المأخذ الرابع: إيراد الأحاديث الضعيفة والموضوعة

ومما يعاب على المؤلف رحمه الله، وهو خلل كبير، كثرة الأحاديث الموضوعة والضعيفة التي يوردها، فالمؤلف رحمه الله مع كونه ينقل من مصادر الحديث المعتمدة، إلا أنه ينقل أحياناً بعض الأحاديث عن كتاب (شفاء الأوام) كونه من مصادر الزيدية في الحديث. وقد ذكرت فيما سبق كلام الشوكاني على منهج الإمام الحسين في كتابه (شفاء الأوام). وأنه ينقل عن كل كتاب فقهي أو حديثي وقع له سماعه، سواء كانت مسندة أو غير مسندة.

وقد اشتهر في علم الحديث أن (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء). واستقرَّ عند العلماء أنه لا يجوز إيراد الأحاديث الباطلة إلا مع بيان حالها، فإسناد القول إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمرٌ عظيم. قال الحافظ ابن حجر: " وليحذر المرء من دخوله تحت قوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ)[1]. فكيف بمن عمل به ! ولا فرق في العمل بالحديث في الأحكام، أو في الفضائل، إذ الكل شرع"[2].

---

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه في باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين ١/ ٧ (١) من طريق المغيرة. والترمذي في كتاب العلم باب فيمن روى حديثا وهو يرى... ٥/ ٣٦ (٢٦٦٢). وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٥ (٩٠٣). وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب من حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ١/ ١٤ (٣٨-٣٩-٤١) من طريق علي وسمرة والمغيرة رضي الله عنهم.

(٢) تبيين العجب فيما ورد في شهر رجب، للحافظ ابن حجر العسقلاني ١/ ٢.

ومن خلال التتبع فإن ما نقله ابن بهران من أحاديث من هذا الكتاب، فالغالب أنها غير موجودة في كتب الحديث المعتمدة، وهي إما ضعيفة أو موضوعة أو لا أصل لها، وهذا بناءً على ما ذكره علماء الحديث وحفاظه الذين هم أهل الاختصاص بذلك، فكل علم له أهله الذين يرجع إليهم. ولهذا قال الإمام الشوكاني عن مؤلفي كتاب "شفاء الأوام" وكتاب "الكافي" وهما الحسين بن بدر الدين والهوسمي: "لكنهما ليسا من رجال هذا العلم، ولا يعرفان صحيحه من باطله، بل يتفق عندهما وعند أمثالهما ما هو موضوع، وهما لا يشعران بذلك".[1]

وقال الشوكاني أيضاً تعليقاً على إيراد مؤلف الشفاء الحديث المكذوب عن ابن عباس في صيام يوم عاشوراء: " ولعمري أن كل عالم يعرف أن هذا من الكذب على رسول الله الذي يقول فيما تواتر عنه: (من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار). ويقول: (من روى عني حديثاً يظن أنه كذب فهو أحد الكاذبين)، وقد صرح الحفاظ بأن هذا الحديث من وضع محمد بن علي بن الفتح العشاري حتى قال بعضهم بعد أن ساق بعض ألفاظه: فقبح الله من وضعه، والعتب هو على مُحدثي بغداد، كيف تركوا العشاري يروي هذه الأباطيل. انتهى وقال بعض الحفاظ وقد ساق بعض ألفاظه: انظروا إلى هذا الإفك". انتهى[2]

---

(١) وبل الغمام على شفاء الأوام ١/ ٥١٨ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق.

ثم قال الإمام الشوكاني: ولمثل هذه المزالق جمعت هذه الحاشية (يعني حاشية وبل الغمام) على هذا الكتاب، ليتجنب الوقوع في هذه المهالك أربابُ الألباب (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور). أ.هـ[1]

وكان الأولى بالمؤلف إغفال تلك الأحاديث التي لا أصل لها في كتب الحديث المعتمدة، وهي بحمد الله قليلة، وليس فيها أو بها غناء، ففيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غنية عن سواها.

وقد ذكر العلامة اللكنوي[2] أنه " لا عبرة للأحاديث المنقولة في الكتب المبسوطة ما لم يظهر سندها، أو يُعلم اعتماد أرباب الحديث عليها، وإن كان مُصَنِّفها فقيهاً جليلاً يُعتمد عليه في نقل الأحكام وحكم الحلال والحرام. ألا ترى إلى صاحب "الهداية" من أجلة الحنفية، والرافعي شارح "الوجيز" من أجلة الشافعية، مع كونهما ممن يُشار إليه بالأنامل، ويعتمد عليه الأماجد والأماثل، قد ذكرا في تصانيفهما ما لا يوجد له أثرٌ عند خبير بالحديث يُستفسَرُ كما لا يخفى على من طالع "تخريج أحاديث الهداية" للزيلعي، و"تخريج أحاديث شرح الرافعي" لابن حجر العسقلاني.. وإذا كان حال هؤلاء الأجلة هذا، فما بالك بغيرهم من الفقهاء الذين يتساهلون في إيراد الأخبار، ولا يتعمقون في سند الآثار".أ.هـ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في كتابه " الأجوبة الفاضلة عن الأسئلة العشرة الكاملة". صـ٢٩-٣٠.

ومن أمثلة ذلك حديث: " (أربعة إلى الولاة)، وفي رواية: (إلى الأئمة: الجمعة، والحدود، والفيء، والصدقة)[1] حكاه في "الشفاء" وغيره، وهو حديث مشهور".أ.هـ كلام ابن بهران[2]، مع أن الحافظ ابن حجر قال [3]: لم أجده. والشارح يقصد بـ مشهور يعني الاشتهار العرفي أي أنه مشهور عند الفقهاء وليس المعنى الاصطلاحي عند المحدثين. لكن الواقع أنه ليس مشهوراً في الحالين، إلا إذا قصد شهرته عند بعض فقهاء الزيدية فربما.

وكذلك حديث (شعبان شهري، ورجب شهرك يا علي، ورمضان شهر الله). والذي نقله المؤلف[4] عن الغيث، وهو حديث باطل مختوم بخاتم الكذب الرافضي. والغريب أن المؤلف ابن بهران نقل قبله أن أحاديث فضل رجب يضعفها العلماء، إلا أنه ساق بعده هذا الحديث الباطل، وكان الأولى إهماله. وقد علق العلامة الشوكاني على أحاديث شهر رجب في كتاب "الشفاء" المنقول منه هذا الحديث الباطل بقوله: " فهذا – يعني الحديث القدسي الصحيح (الصوم لي وأنا أجزي به)- يغني عن الأحاديث التي هي

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥/ ٥٠٦ (٢٨٤٣٨) من قول الحسن البصري بلفظ: (أربعة إلى السلطان الزكاة والصلاة والحدود والقضاء). ونحوه عن عطاء وابن محيريز. وقال الزيلعي في تخريج الكشاف ٤/ ٢٥: "غريب. ورفعه صاحب الهداية كما رفعه المصنف وهو في غالب كتب الفقه موقوف على ابن عمر". وكذا قال في نصب الراية ٣/ ٣٣٥. وقال ابن حجر في الدراية ٢/ ٩٩ (٦٥٧): لم أجده.

(٢) في كتاب الزكاة صـ ١٥٣.

(٣) في كتابه الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٢/ ٩٩ (٦٥٧) . وقد فصلت الكلام عليه عند تخريجه في الشرح.

(٤) في كتاب الصيام صـ ٣١٧.

من وضع القصاص واختلاق أهل الأهواء"[1]. أ.هـ

ومما يستغرب عليه أنه ينقل من التلخيص وغيره ضعف الحديث أو أن في رواته متروكاً ثم يسوقه، وإذا كان هذا قد يسلكه الكتب التي تختص بجمع الحديث والكلام عليه، فإن ذلك لا ينبغي سوقه في كتاب فقهي، فقد اتفق الفقهاء أن الأحكام لا تثبت بالأحاديث الضعيفة فكيف بالشديدة الضعف أو التي قيل فيها أنها موضوعة أو لا أصل لها. ففيما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفاية وغناء عن الضعيف بله الموضوع. وكل المواضع التي يُستدل بها بأحاديث شديدة الضعف أو موضوعة، ففي غيرها ما يغني عنها، ولا حاجة لها.

فالمؤلف رحمه الله في أول كتاب النكاح ساق أحاديث كثيرة في الترغيب في النكاح، وفيها الضعيف والموضوع المتفق على كذبه مثل حديث (شراركم عزابكم). ولو اكتفى بالصحيح منها لكان أبلغ وأوجز وأصوب.

ومثال آخر[2]: الحديث الذي ذكره المؤلف في كتاب الصيام (تُحْفَةُ الصَّائِمِ الدُّهْنُ وَالْمُجْمَرُ) أخرجه الترمذي، والظاهر أن الترمذي أورده ليبين بطلانه، لأنه قال عقبه: حديث منكر. وساقه ابن الجوزي وغيره في الموضوعات. وكذلك حديث (وَمَنْ نَزَلَ بقوم فَلا يَصُومَنَّ إِلَّابِإِذْنِهِمْ). وأورده ابن الجوزي والصاغاني والشوكاني والهندي في الموضوعات.

---

(١) وبل الغمام على شفاء الأوام ١/ ٥١٥.

(٢) في كتاب الصيام صـ ٢٥٧.

المأخذ الخامس: عدم الرجوع إلى المصادر الأصلية أحياناً

فالمؤلف يستروح في النقل عن "الغيث" و"الانتصار" و"البحر الزخار"، في نصوص ينقلونها هم عن غيرهم، وكان الأولى أن ينقل الشارح من المصادر الأصلية مباشرة سيما وقد تأكدنا وجودها لديه، من خلال نقله منها في مواضع أخرى مباشرة. وأظن أن غالب ما يذكره المؤلف من أحاديث كتاب "الشفاء" ينقله المؤلف من كتاب "الانتصار".ومثال ذلك قول الشارح ابن بهران في أكثر من موضع: قال في "الغيث": قال في "الشفاء"... فكان الأولى أن ينقل المؤلف الحديث مباشرة عن كتاب "الشفا".

المأخذ السادس: إكثار المؤلف من النقل من كتب محددة معينة

وهو مما يلحق بالنقطة السابقة إكثار المؤلف من النقل من كتب معدودة ذكرناها في أول مصادر المؤلف، وهي "الغيث" و"الانتصار" و"البحر الزخار"، وخاصة "الغيث" فإنه لا يمر فصل إلا وينقل عنه نصاً في الموضوع، بل ربما ينتهي من شرح قطعة من كلام المتن شرحاً مكتملاً، فإذا انتهى عطف على الغيث فذكر فائدة زائدة أو تعليقاً لم يذكر. والاستفادة من المصادر السابقة ليس عيباً أو نقصاً بل هو مسلك العلماء لكن الإكثار منه بهذه الصورة التي سيلاحظها القارئ هي قصور واسترواح.

المأخذ السابع:

ومما يعاب على المؤلف رحمه الله وهو من أهم الانتقادات عليه، تسلل بعض الأقوال والأباطيل الرافضية إلى كتابه هذا، مع أن الافتراق بل العداء والخصومة بين الرافضة والزيدية بدأ منذ ثورة الإمام زيد رضي الله عنه لما خذله هؤلاء الروافض، ثم استمر إلى يومنا هذا[1]، والمؤلف نفسه صرح في هذا الكتاب بأن الرافضة لا يعبأ بهم ولا يُعْتَدُّ بخلافهم. وما كان ينبغي لأقاويل هؤلاء المبطلين أن تمر على علماء أجلاء مثل الشارح غفر الله له، لكن الكمال عزيز والنقص ملازم لبني آدم.

وعندنا نحن المسلمين بحمد الله من الكتاب والسنة والعقل والنظر والعقيدة الصحيحة والقواعد الراسخة ما يرد ويبطل كل ما فيه قدحٌ أو تنقيص من قدر الصحابة الكرام ومن مكانة آل البيت العظام رضي الله عنهم أجمعين.

ومن هذه الأباطيل المتسللة لهذا الشرح:

أ) ما نقله من اللمز في الصحابي الجليل عمرو بن العاص...[2]

ب) وكذلك إيراده لقصة باطلة بدون مناسبة ولا حاجة ولا داعي لإيرادها. وقد

---

(١) حيث ألف أحد كبار علماء الزيدية في عصرنا وهو العلامة مجد الدين المؤيدي كتابه المشهور في التعريف بمذهب الرافضة وعداءهم لآل البيت وللزيدية بعنوان (من هم الرافضة).

(٢) في كتاب النكاح صـ ٦٤٨.

ذكرها[1] بعد حديث فاطمة بنت قيس لما استشارت النبي صلى الله عليه وسلم فيمن تختار من الخطاب، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم (« أَمَّا أبو جَهْمٍ فَلا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَامَّا مُعَاوِيةُ فَصُعْلُوكٌ لامَالَ لَهُ، انْكِحِي أُسامة). فذكر بعض فوائد الحديث ثم قال: (ومما يذكر في هذا الموضع قصة خطبة الحسن بن علي عليهما السلام التي أرسل يخطبها يزيد بن معاوية، وحاصل القصة: أن رجلا كانت له امرأة جميلة بالمدينة فوفد على معاوية بالشام، وكان ابنه يزيد راغبا فيها، وعرف ذلك معاوية فما زالا بالرجل المذكور حتى طلقها، ووعده معاوية أن يزوجه ابنته، فلما انقضت العدة أرسل معاوية أبا الدرداء وآخر معه أن يخطباها ليزيد، فلما قدما المدينة بدأ بالحسن بن علي عليهما السلام، فسلما عليه وخبراه بما قدما له، فقال لهما: اذكراني لها أيضا، فذكرا لها الحسن عليه السلام ويزيد، فاختارت الحسن وبلغ ذلك معاوية فقال: إنه من يرسل ذا بله وعمي يصير على ما هو أعظم من هذا، ولم يف للرجل ما وعده، فندم على طلاقها، فلما عاد إلى المدينة علم الحسن عليه السلام بحاله رق له فطلقها وعادت إلى زوجها الأول. انتهت باختصار، والله أعلم).انتهى

وهذه القصة لا شك في كذبها، وهي قصة سخيفة في مبناها ومعناها، وتُشتمّ منها رائحة اللمز الرافضي على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي يبرأ منه كل مسلم وكل زيدي أصيل، وليت أن المؤلف لم يوردها غفر الله له، فهي كما تُزري بمعاوية

---

(١) في كتاب النكاح صـ ٦٢٣.

رضي الله عنه وابنه، فهي تزري على أبي الدرداء الصحابي الجليل، وتزري على الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة. فكيف يشترك هولاء الفضلاء النبلاء في هذا الموضوع المُهين الذي لا يليق بعوام الناس فكيف بهم، في تطليق امرأة من زوجها، ليقوم أحدهم بتزوجها. فهذا علامة سقوطها من حيث موضوعها

وأما سقوطها تاريخياً فخلاصته أنه يستحيل وقوعها تاريخياً، فأبو الدرداء رضي الله عنه الصحيح أنه توفي سنة ٣٢هـ ويزيد بن معاوية ولد سنة ٢٦ أو ٢٧هـ، فكيف يمكن أن تطلق امرأة من زوجها بمثل هذه المؤامرة ليتزوجها طفل في السادسة من عمره؟!!!

وقد ذكر ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٧٤٧: عن سعيد بن عبدالعزيز قال: مات أبو الدرداء وكعب الأحبار لسنتين بقيتا من خلافة عثمان. وقال الواقدي وجماعة مات سنة اثنتين وثلاثين وقال ابن عبد البر إنه مات بعد صفين والأصح عند أصحاب الحديث أنه مات في خلافة عثمان.

وذكر ابن عساكر كما في مختصر تاريخ دمشق[1]: أن يزيد بن معاوية ولد سنة ست وعشرين. وقيل: ولد سنة سبع وعشرين.

- ومما يلحق بما سبق، ما أورده المؤلف في مسألة النثار في العرس[2]، في قصة عرس

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار الفكر. ١/ ٣٧٥٢.

(٢) في كتاب النكاح صـ٦٢٦.

فاطمة رضي الله عنها، فقد أورد المؤلف روايات كاذبة باطلة، وقد نقل هو بنفسه عن الحافظ ابن الجوزي ملخصاً لبطلان بعضها سنداً ومتناً، بل بعضها بلا سندٍ أصلاً. وما تحتوي عليه من أباطيل وكذب في مضمونها وألفاظها فهي تبطل نفسها بنفسها. وهكذا هي أباطيل وموضوعات الروافض لجهلهم وغبائهم يوردون فيها من المبالغات والافتراءات ما يجعلها تبطل نفسها بنفسها، وقد قال أكثر من عالم ممن عرف طريقتهم ومذهبهم أنهم أكذب الناس في المنقولات وأغباهم في المعقولات.

وقد نقل المؤلف في هذا الموضع[1] عن الغيث قوله: (روي أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لفاطمة حين زوجها إلى علي: «إن الله أمرني أن أزوجك من علي، أمر الملائكة أن يصطفوا صفوفا في الجنة، ثم أمر شجر الجنان أن تحمل الحلي والحلل، ثم أمر جبريل فنصب في الجنة منبرا، ثم صعد جبريل فخطب، فلما فرغ نثر من ذلك، فمن أخذ أحسن أو أكثر من صاحبه افتخر به إلى يوم القيامة يا بنية». **دل** هذا الخبر على ندب النثار وانتهابه، وأنه بعد العقد، وأنه يحسن بكل ما له خطر من مأكول أو غيره إلى آخر ما ذكره).

ومن العجب ما ذكره من الاستنباطات الفقهية بعد هذه القصة أنه يدل على استحباب النثار، وأنه بعد العقد.. الخ. ولا أدري من أين استنبطها مؤلف الغيث من ثنايا هذه القصة.

---

(١) في كتاب النكاح صـ ٦٢٦.

وكيف تنطلي هذه الأكاذيب على العلماء أمثال المؤلف وقبله مؤلف الغيث؟! وهل الملائكة مثلنا يحتاجون للحلي والحلل، وقد نقل الشارح عن الشافعي وغيره كراهة النهب لما فيه من الدناءة، وإنه لا يفعله إلا السفلة والرعاع، فكيف يُنسب للملائكة الكرام؟! وإذا كان ذلك فضيلة، فكيف لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر وخاتم النبيين وقد تزوج مرات عدة ولم يحصل ذلك، بل ولا حتى افترى هؤلاء الكاذبون له كما افتروا لغيره. وفي ليلة الإسراء ما نقل إلينا إلا فرض الصلاة على عباده المؤمنين، ولم ينقل لنا أن الله أمر بزواج علي ولا زواج غيره، فتعالى الله عما يقوله الظالمون ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾.

- ثم ذكر الشارح ابن بهران الحديث الآخر المكذوب[1]، ونقل كلام الحافظ ابن الجوزي في عده من الموضوعات وما فيه من كذب وافتراء.. الخ. ولأن هذا الحديث فيه من الأباطيل والسخافات التي يلفظها الشرع والعقل، مما اطلع عليه الشارح نفسه عن ابن الجوزي، فقد اكتفى الشارح باختصاره واجتزائه، ثم نقل عن ابن الجوزي بعض انتقاداته عليه.

وفاطمة رضي الله عنها وعلي والحسن والحسين وبقية آل البيت الكرام مكانتهم العالية وشرفهم الرفيع، ثابتة عند المسلمين بالقرآن وبالسنة الصحيحة الواضحة، ولا يحتاجون لمثل هذه القصص والافتراءات والمبالغات التي تقدح في الاعتقاد، وتفتري الكذب على

---

(١) في كتاب النكاح صـ ٦٢٧.

الله ورسوله وملائكته والمؤمنين. قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾[1]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتواتر عنه (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ)[2]

---

(١) سورة الأنعام / آية ٢١.

(٢) البخاري ١/ ٥٢ (١٠٧). ومسلم ١/ ١٠ (٣). وغيرهما.

المأخذ الثامن: عدم تمييز النص المنقول

ومن الانتقادات الشكلية، أن المؤلف عندما ينقل نصوصاً من الكتب الأخرى كـ"الغيث" مثلاً، ينص في مواضع على انتهاء النقل بقوله: انتهى، لكن في مواضع أخرى يهمل النص على نهاية النقل، فلا تدري أين انتهى النقل، وقد يتداخل كلامه مع النص المنقول فيقع الإيهام.

وفي الكتب التي نقل منها المؤلف وتيسر للباحث الرجوع إليها إذا كانت مطبوعة، فقد نبهت على ذلك إما بوضع نقطة والبداية من أول السطر إذا اتضح ذلك، أو بالنص على ذلك في الهامش.

المأخذ التاسع: عدم توضيح بعض الكتب التي ينقل منها:

المؤلف رحمه الله، ينقل في مواضع كثيرة من كتاب (شرح الأثمار)، لكن لم يذكر في جميع الكتاب مؤلف هذا الكتاب، فلا ندري ما هو هذا الشرح الذي ينقل منه، ولهذا فلم يستطع الدارسون لهذا الكتاب معرفة هذا الكتاب.[1]

والذي يظهر لي بعد التأمل والتتبع أنه يقصد به شرح الأثمار للعلامة يحيى بن محمد بن حسن بن حميد المقرائي (٩٠٨-٩٩٠هـ). والذي ألف وقرئ على عهد مؤلف المتن المتوكل، وهو من تلامذة الشارح ابن بهران ومن أقرانه، حيث إنه ألَّفه قبل المؤلف، وقرئ في الجامع الكبير بصعدة في حضور المؤلف. وقد تقدم الكلام عليه مفصلاً في قسم الدراسة. وحيثما ذكر المؤلف في هذا الكتاب: شرح الأثمار، أو الشرح، فالمقصود به شرح المقرائي، وإنما لا يذكر اسم المؤلف بتاتاً، بسبب أن مؤلفه هو من تلاميذه، والعادة أن لا ينقل الشيخ من كتاب تلميذه أو يستدل بكلامه، حفظاً لمقامه، لكن تواضع المؤلف وأمانته جعلته يشير إليه في بعض الفوائد التي رآه تميز بذكرها في شرحه.

(١) لم يستطع الزملاء المشاركون في تحقيق الكتاب تحديد هذا الشرح ومعرفة مؤلفه.

المأخذ العاشر: استقاء أقوال المذاهب من غير مصادرها الأصيلة:

أن الشارح رحمه الله قد ينقل أحياناً آراء العلماء والمذاهب من غير كتب أصحاب المذهب نفسه، وإنما من كتب مذاهب أخرى ، ومثل هذا قد يوقع في الخطأ.

ومن أمثلة ذلك قوله[1]: " وعن الظاهرية وقوم مجاهيل: معنى الآية (أي قوله تعالى: مثنى وثلاث ورباع) اثنتين وثلاثاً وأربعاً، فيصح الجمع بين تسع زوجات". وبالرجوع إلى كتاب المحلي لابن حزم وهو فقيه الظاهرية وأعلم الناس بمذهبه، وُجدَ أن نسبة هذا القول للظاهرية غير صحيح، حيث يقول ابن حزم: "ولا يحل لأحد أن يتزوج أكثر من أربع نسوة إماء أو حرائر... ثم قال: وأيضا فلم يختلف في أنه لا يحل لأحد زواج أكثر من أربع نسوة أحدٌ من أهل الاسلام، وخالف في ذلك قوم من الروافض لا يصح لهم عقد الإسلام".[2]

(١) في كتاب النكاح صـ ٦٦٤.

(٢) انظر: المحلى لابن حزم (ت٤٥٦)، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، سنة ١٣٥١هـ، ٩/ ٤٤١.

فهرس المواضيع